القنفـــــذة

نشـأة وتاريـخ

بحث موثق عن نشأة مدينة القنفذة وعن موقعها الجغرافي والإستراتيجي كميناء بحري وإقليمي هام

تأليف

الشريف يحيى بن ابراهيم بن يحيى العجلاني



القنفـــذة

نشـأة وتاريـخ

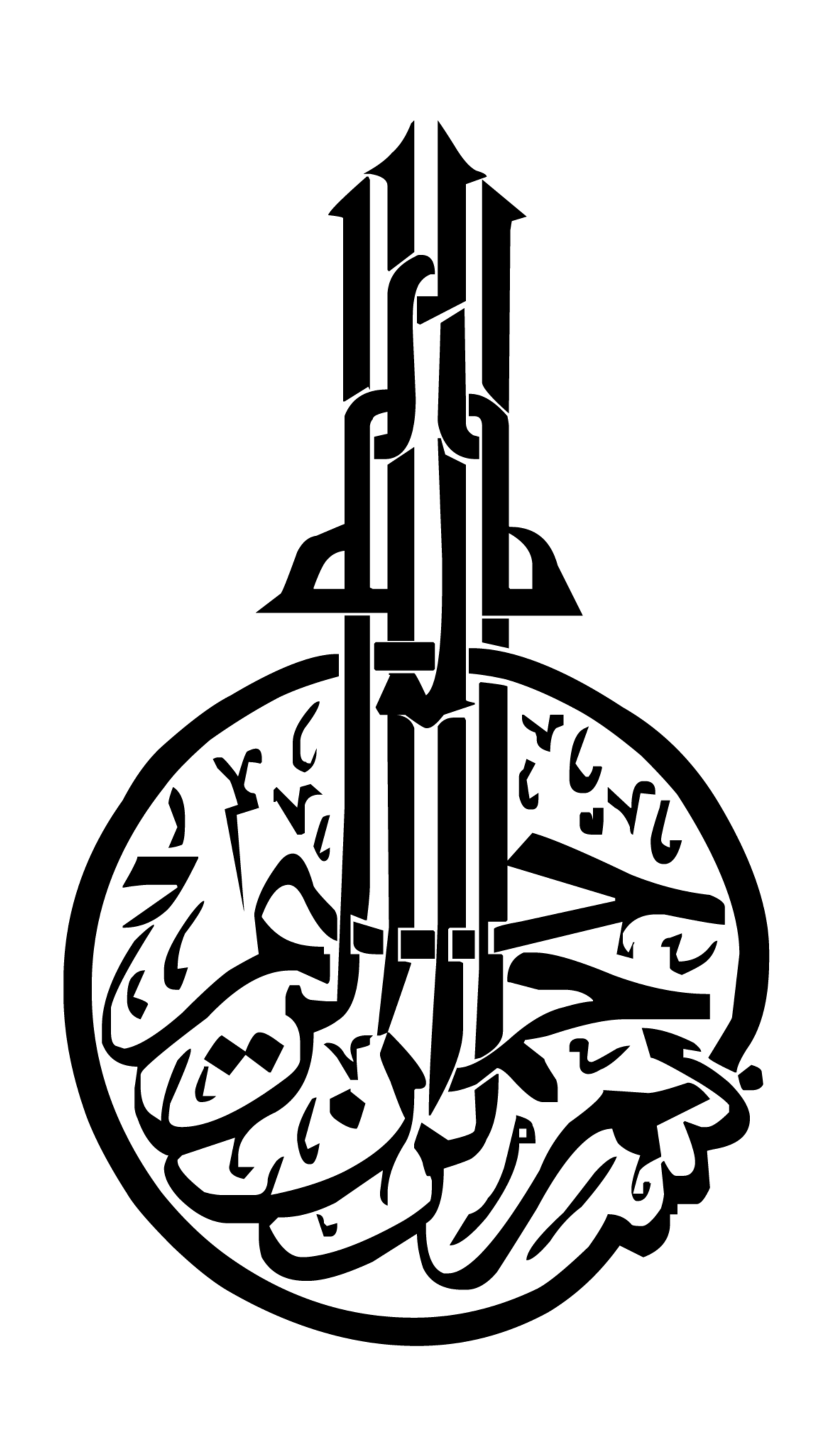
بحث موثق عن نشأة مدينة القنفذة وعن موقعها الجغرافي والإستراتيجي كميناء بحري وإقليمي هام

تأليف

الشريف يحيى بن ابراهيم بن يحيى العجلاني

الطبعة الثانية

١٤٣١هـ ٢٠١٠م


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أتشرف بإهداء هذا العمل المتواضع البسيط إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز آل سعود أمير منطقة مكة المكرمة ،، وسبب اختياري لسموه يعود إلى أن محافظة القنفذة هي إحدى المحافظات التابعة لمنطقة مكة المكرمة التي يتسلم سموه هرم القيادة فيها تحت ظل رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز فأحببت أن أرفع هذا الإهداء إلى من يتربع على قمة هرم هذه المنطقة .

كما إن الشاعر الشيخ يحيى بن مبارك والد والدي كان من المعجبين إلى الثمالة بشخصية الملك عبد العزيز وكان كثير الحديث عنه في مجالسه، وعندما توفى الملك عبد العزيز اغتم الشيخ يحيى بن مبارك لموته وحزن حزنا عظيما ثم قال لأولاده "أنا من أتراب الملك عبد العزيز وأشعر بأنني لن أعيش بعده طويلا" وبالفعل توفي في نفس السنة التي توفى فيها الملك عبد العزيز بل لم يكن يفصل بينهما من الزمن إلا ثمانية أشهر فقط حيث توفى الملك عبد العزيز في ١٣٧٣/٣/٢هـ وتوفى الشيخ يحيى بن مبارك في ١٣٧٣/١٠/٢٦هـ.

رحم الله الملك عبد العزيز رحمة واسعة وغفر له ورحم الله الشيخ يحيى رحمة واسعة وعفي عنه، ومتع الله سمو الأمير خالد الفيصل بالصحة والسعادة الدائمة.

الشيخ: يحي بن إبراهيم بن يحي بن مبارك العجلاني

مقدمة الطبعة الثانية



الحمد لله الذي هو أهل للحمد وهو المستحق له فرضاً على كل عبد، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله الأمين وعلى آله وصحابته الطاهرين الطيبين .. ثم أما بعد:

أولا: رغم الجهد الذي بذل في تأليف الطبعة الأولى من هذا الكتاب والذي وإن لم يكن جهداً شاقاً بما أشتمل عليه هذا المعنى لهذه الكلمة من دقة، إلا أنه كان جهداً مرهقاً في جمع المادة وتدوينها وتنسيقها ولكن المطبعة التي تولت طبع النسخة الأولى لم تكن موفقة في إخراج الكتاب بالصورة التي كنت أتمنى أن يخرج بها إذ أن عامل المطبعة لم يكلف نفسه أكثر من إدارة قرص الـ CD في جهاز الحاسوب ثم إعطاء أمرا بالطباعة، ثم تم تغليف الكتاب، فهو لم يكلف نفسه عناء الاهتمام بالعناوين، والعناية بإظهارها بصورة مشرفة ومشوقة وبارزة تعين القارئ على ترتيب الأبواب والمباحث وتنسيق الفصول. كما انه لم يتكرم بقراءة النص لتعديل بعض الأخطاء الإملائية. فخرج الكتاب بتلك الصورة التي أصابت الكثير وأنا أولهم بالإحباط الشديد مما جعلني أعض أصابع الندم بأن أذنت لعامل المطبعة التي قامت بطبع الكتاب بأن يواصل الطباعة بعد أن ألقيت نظرة سريعة بدون تأني على نسخة (التجربة). وكان يجدر بي أن أطلب طباعة نسخة ابتدائية بالألوان فأراجعها مراجعة دقيقة متأنية فاحصة لإضافة ما يجب إضافته وتعديل ما يلزم تعديله ومن ثم يبدأ الطبع النهائي على بصيرة متأنية وبعمل متقن مدقق إلا أن ذلك لم يتم فظهر الكتاب بالصورة المخيبة للآمال وكان محل نقد صارخ من حيث الإخراج الذي ظهر به إلى عالم النور وهو إخراج غير موفق.

ثانيا: ما من شك أن كل عمل يعمله الإنسان صغيراً كان أم كبيراً، جليلاً أم حقيراً، لا ريب أنه عندما يفرغ منه ثم يعود له بعد فترة من الانتهاء منه حتى ولو كانت تلك الفترة وجيزة جداً فلا بد من أن تظهر له حياله نظرات متعددة في مقدمتها قوله: لو أنني قلت كذا بدلاً عن كذا لكان أفضل. ولو أنني جعلت هذا محل ذاك لكان أولى. وهذا هو ما ألم بي حينما صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب ومن أجل ذلك شرعت فيما رأيت أنه كان بحاجة إلى بيان وأضفت ما بدا لي انه يحتاج إلى إضافة أو إلى زيادة توضيح، ومن ذلك تعديل صفة إخراج الكتاب من حيث ترتيب العناوين وطريقة وضعها وصفة كتابتها وألوانها.

ثالثا: رأيت أن من المهم أن أوضح بعض الجوانب التي كانت بحاجة إلى زيادة توضيح كما هو الحال بالنسبة لمدخل البحث، وكذلك خواتيم المباحث التي ظهر لي بأن بعضها كانت تحتاج إلى تفسير بعض

الجوانب الغامضة، أو زيادة نقاط استكمال المعاني التي شملها الحديث في كل عنوان حتى يظهر البحث في صورة متكاملة من بدايته حتى نهايته قدر المستطاع، وأن لا يكون هناك بتراً أو خللاً يؤدي إلى غموض في إيصال المعلومة كاملة إلى ذهن القارئ، وبالطبع لن يكون هناك كمال فطلب الكمال من المحال، ولكنما هو تسديد وتقريب والله المستعان.

كما رأيت أن البحث والتوثيق كان بحاجة إلى إضافة باب كامل يشتمل على عدد من المباحث، فقمت بزيادة باب ثالث في الفصل الرابع وضمنته ثلاثة مباحث جديدة هي النشاط السكاني، والمصالح الحكومية والمواقع السياحية وجعلت المبحث الرابع في الباب الثاني من الفصل الرابع هو المبحث الرابع من الباب الثالث وحاولت أن أشير إلى بعض الجوانب التي لها علاقة مباشرة بالبحث مثل أسماء بعض رؤساء المرافق الحكومية والمراكز، وذلك من أجل حفظ أسماء رجال هذا الزمن الذي نحن فيه حتى إذا ما قُدر لباحث أن يطلع على هذا البحث بعد حقبة من الزمن تكون لدية حصيلة بحثية متكاملة تشمل الزمان والمكان وصاحب الشأن تماماً مثلما يحتاجه الباحث اليوم حينما ينفق الوقت والجهد سعيا وراء كل مصدر يمده بما يحتاج إليه من جوانب يدعم بها الحقائق التي تجلي أحيانا عنده كل غموض يكتنف بحثه أو يعيق درسه. وقد يحجب البيان الكافي عن تكامل المعلومة إذا أراد أن يقدم بحثاً عن عصر من العصور السالفة بحيث يشمل ذلك البحث جميع الجوانب التي تظهر العمل في قالب متكامل من الحقائق التي تقدم للقارئ أو الدارس صورة مكتملة الجوانب.

والله ولي التوفيق وهو المستعان على كل أمر وعليه المعوَّل والتكلان.

وصلى الله على نبينا محمد و آله وصحبه وسلم

المؤلف

يحيى إبراهيم يحيى العجلاني

مقدمة الطبعة الأولى



الحمد لله القائل (والسماء رفعها ووضع الميزان)، وهو الذي خلق الأرض للأنام، وجعل فيها فاكهةً ونخلاً ذات أكمام، وحباً ذا عصفٍ وريحان، الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وجعل الأرض مستقراً له يتنقل فيها عبر الأزمان، من مكان إلى مكان، فكم من صروح شيدها هذا الإنسان، وكم من حضاراتٍ وأممٍ وجنودٍ جندت، ثم أتت عليها يد القدر الإلهي فأبيدت ودمرت، فأصبحت أثرا بعد عين، ثم قامت بعدها حضاراتٌ وأممٌ، ما تسبق من أمةٍ أجلها وما يستأخرون، وهكذا هو حال الحياة الدنيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ثم الصلاة والسلام على النبي الهاشمي المصطفى، محمد بن عبد الله المجتبى، وعلى آله وصحابته الأخيار النجباء، وعلى من سار على نهجه واقتفى، واستن بسنته واهتدى من أهل الصلاح والفلاح والتقى ... وبعد:

فهذا بحث وتوثيق عن مدينة القنفذة عكفت على جمعه وإعداده وتنسيقه وصياغته بأسلوب خاص حاولت من خلاله أن يكون السرد التاريخي فيه شيء من الطرافة الى جانب التقيد بالحقائق التي لا تقبل الخيال وضمنته من الحقائق والوثائق ما امكنني جهدي المتواضع من العثور عليها، وما كان من تلك الحقائق موثقاً فلم يكن لي فيه إلا جهد النقل فقط، وما كان منها مروياً او معتمداً على المشاهدة والملاحظة فليس لي فيه إلا جهد الصياغة، فإن اصبت فذاك هدفي وغاية مطلبي، وإن اخطأت فحسبي انني ما اردت إلا الإصلاح ما استطعت. أما الأمر الذي دفعني إلى القيام بهذا البحث والتوثيق فما هو إلا أن هذا الجزء من مملكتنا الحبيبة لم يحظ بتأليف مستقل، كمادة مستقلة، عنيت بدراسة هذا الجزء الغالي علينا جميعاً من حيث بداية نشأتها والأحداث التاريخية التي عصفت بها والارتباط المباشر بالحكومات التي قامت منذ قيام نشأتها إلى إن انضوت تحت الكيان السعودي المجيد كمدينة وميناء هام جدا قام في شبه الجزيرة العربية وبالتحديد الجهة الجنوبية الغربية منها، وكل ما ذكر عنها لم يأت إلا عرضاً كباب في كتاب، أو إشارة في فصل. وبما أنني من أبناء المنطقة وقد عاش آبائي وأجدادي وأهل عشيرتي في ربوعها وبين أكنافها وروابيها، فرووا ثراها بعروقهم، وحموا ذمارها بدمائهم، وتركوا على جنباتها بصماتهم واضحة لكل ذي عين مبصرة وأذن سامعة، حيث كانوا متأثرين في سِنيِّ البؤس بكل حدث عليها قد وقع، ومترنمين في أزمان الأنس بشدو كل طائر حلق فوقها وارتفع.

ووفاء مني لها ولأهلها وأبناءها وللقادم من الأجيال استعنت بالله العظيم، وتوكلت عليه فهو البر الكريم، وقمت بجمع وتصنيف هذا العمل التوثيقي الذي ليس لي فيه إلا إختيار السرد أو جهد البحث أو تنسيق المادة وإخراجها، وما عدا ذلك فهو توثيقٌ تحريتُ فيه جمع المواد من مضانها، وإرجاع

المعلومات الى مصادرها، وقد جعلت هذا البحث مكون من اربعة فصول، وفي كل فصل بابان أو ثلاثة، وتحت كل باب عدد من المباحث التوثيقية، و بعض المباحث يتبعها بعض الفروع المتعلقة بالبحث. وجعلت المرحلة الاولى من الباب الأول في الفصل الأول تتعلق بنشأة مدينة القنفذة وأسباب تلك النشأة وماهي أول المصادر التي ورد بها اسم القنفذة صريحاً، وإلى أي الإمارات كانت تتبع؟ وتعرضت الى الأمور التي تتعلق بحملات محمد علي باشا على الحجاز وسراة عسير وكيف استخدم ميناء القنفذة للسيطرة على سراة عسير.

أما القسم الأخير فإنه يتعلق بالحكم العثماني في القنفذة ثم الصراع بين الإدريسي وشريف مكة على القنفذة وما عرف بازمة القنفذة ايام الحرب العالمية الأولى ثم دخول القنفذة تحت الحكم السعودي بعد إخراج الأشراف منها. وقد ضمنت البحث أيضا بعض الصور الفوتوغرافية التي تم التقاط بعضها بواسطة الأستاذ الفاضل عبدالرحمن الحلواني وهو الذي عني بالكثير من الجوانب التاريخية والأثرية والحضارية لمدينة القنفذة وله جهد مميز في هذا الجانب يشكر عليه، فهو الذي جاب القنفذة بعدسته المرهفة متنقلاً بها بين القديم العتيد والجديد البديع فأخرج لنا العديد من الصور الرائعة التي يستطيع من يراها أن يقف على معرفة القنفذة ويرى كيف كانت في العصر القديم وكيف هي اليوم في عصر النهضة الحديث، حتى لكأن من يرى تلك الصور يشاهد القنفذة بأم عينه حقيقة واقعة لاصورة ضوئية قد عكست على ورقة لامعة. والبعض الآخر من تلك الصور قمت انا بإلتقاطها بعدستي الخاصة وبالمناسبة فأنا قد حظيت حينما كنت في عملي الحكومي السابق بالحصول على دورتين فنيتين في مجال علوم التصوير الثابت والمتحرك كانت احداهما في داخل المملكة والأخرى في الخارج الا ان تركي لهذا الفن لفترة تزيد على عشرين سنة قد انستني الكثير من قواعد علوم فن التصوير. وفي ختام هذه المقدمة فالله أسال ان يتولانا بعونه وتوفيقه وان يسدد هذا العمل ويجعل فيه الفائدة والصلاح لكل من يطلع عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المؤلف

يحيى إبراهيم يحيى العجلانـي

الفصل الأول

- **الباب الأول: التوثيق التاريخي والعوامل المساعدة**

  - القنفذة عبر التاريخ
  - دور إنقراض مدينة حلي في نشوء مدينة القنفذة

- **الباب الثاني: بداية ظهور التسمية والموقع**

  - بداية أول ظهور لإسم القنفذة
  - الموقع الجغرافي للقنفذة

الفصل الأول

الباب الأول
التوثيق التاريخي والعوامل المساعدة

- ### القنفذة عبر التاريخ

على الرغم من الأهمية التاريخية والجغرافية لمدينة القنفذة إلا أنها كما أسلفت لم تلق حقها من البحث والتوثيق التاريخي الذي يحدد زمن بداية قيامها ومتى كانت نشأتها اللهم إشارات عابرة في مصادر شتى. وأغلب الظن عندي بأن الباحث الأكاديمي المؤصل إذا أراد أن يخصص جزءً كافياً من وقته وجهده للبحث عن تاريخ بداية قيام ونشأة مدينة القنفذة على وجه التحديد فلن يكون من غير المتيسر له أن يلم بمادة بحثية توثيقية جيدة جداً عن بدايات تكوُّن ونشوء هذه المدينة الساحلية الحالمة التي بات من المؤكد في علمي أن بداية تاريخ نشأتها قد قام على عاملين تاريخيين أساسيين، أولهما بداية اتخاذها ملجأ لمن يفر من بعض أمراء الأشراف من مكة المكرمة عندما تقوم الصراعات بينهم، حيث أشار إلى ذلك بعض الباحثين المعاصرين ومنهم عاتق بن غيث البلادي صاحب مصنف "بين مكة واليمن" رحلات ومشاهدات، ومنهم أيضاً الوالد الكاتب والباحث حسن إبراهيم الفقيه. وثانيهما بداية اندثار مدينة حلي بن يعقوب التي كانت قائمة إلى أواخر القرن التاسع الهجري باتفاق معظم المصادر التي جرى إطلاعي عليها. وذلك ان مدينة حلي بن يعقوب لم تكن تبعد عن القنفذة الا ستين كيلا. إلا أن الأمر في حالة العزم على القيام بالبحث عن أول ظهور لمدينة القنفذة في عالم الوجود يحتاج الى جهد شاق ومكلف جداً لمن أراد أن يستقصي سبل البحث تاريخياً، ذلك أن المصادر المتوفرة كمراجع مطبوعة كانت شحيحة جداً في إيراد الصورة التي كانت منها نقطة بداية ظهور مدينة القنفذة في عالم الوجود وأن أول من أشار إلى القنفذة من المؤرخين هو المؤرخ الشيخ عبد الملك العصامي في مصنفه "سمط النجوم العوالي في أنباء الأول والتالي" ثم من جاء بعده صار على نهجه ولم يأت بجديد. وهذه الإشارة التاريخية التي ذكرها العصامي هي حتماً لم تكن مواكبة تماماً لأول ظهور لنواة القنفذة في عالم الوجود كمدينة بل إن القنفذة كانت قد قامت قبل هذا التاريخ بوقت من الزمن بلا شك.

وأنا في نظري أن من أراد استقصاء الحقائق عن بداية قيام هذه المدينة فلن يعدم وجود المعلومات الدالة على ذلك. وأتوقع أن أهم مصدرين لوجود مثل هذه المعلومات سيكونان في تركيا وفي مصر والسبب في ذلك أن يكونا هذين الموقعين قمينين بوجود مثل تلك المعلومات هو أن الدولة التركية قد ضمت إلى سلطتها أرض الحجاز في عام ٩٢٢هـ وقمين أن تكون للحجاز عندها عن تلك الحقبة

وثائق تضم معلومات تحيط بحدود منطقة الحجاز وما يتبعها من مدن وأودية. أما المصدر الثاني فأتوقع أن قضاء أشراف مكة على إمارة الحرامي في حلي سيجعل ذلك حري بتتبع أخبار من فر منهم إلى الأماكن المجاورة ورصد تحركاتهم ونشاطاتهم التجارية والاجتماعية والسياسية. وليس ببعيد أن توجد إشارة إلى الأماكن التي لجأ إليها من فر من مدينة حلي بن يعقوب بعد تعرضها لهجوم أشراف مكة عليها إثر الخلاف الذي حدث بينهم وبين أسرة آل الحرامي في حلي بسبب لجوء الفارين من أشراف مكة إلى حلي ومن هناك يقومون بإعادة تشكيل قواتهم ثم العودة إلى مكة مرة أخرى لنزع السلطان ممن اغتصبه منهم ، ثم بعد ذلك يلجأ أغلب الأشراف إلى مصر وقد يصطحب معه أهم الوثائق التي تكون بحوزته إبان عهد ولايته على مكة المكرمة. الأمر فقط يحتاج إلى صبر وعزيمة ونية جادة في البحث ثم بعد ذلك سيتحقق العمل الموثق لمن أراد أن يصل إلى الحقائق وبذل ما يجب عليه أن يبذله من الجهد المتواصل الجاد.

والظن الغالب الذي يصل إلى أعلى درجات الجزم به أن القنفذة هي المكان الجديد الذي قام كبديل لمدينة حلي ابن يعقوب على إثر اندثارها. وهي هنا في نظري قمينة أن تكون تحت عيون أشراف مكة ومحط أنظارهم وأن يتطرق تاريخهم لذكرها لا محالة سيما وأن تاريخ أشراف مكة حافل بالخلافات التي قامت بينهم والنزاعات التي نشبت إبان سلطتهم على أرض الحجاز خاصة خلال القرن الثامن ومطلع القرن التاسع وهي الفترة التي شهدت الكثير من صراعات الأشراف على السلطة كما كانت هي الفترة التي تكرر فيها فرار المنهزم منهم إلى ما يعرف بأرض اليمن جنوب مكة وهي نواحي الليث والقنفذة.

أما تلك الأسطورة الخيالية التي لم يُعثر لها على دليل مادي وهي الأسطورة التي قامت على أساس أن القنفذة سميت باسم امرأة كان أسمها (القنفذة) وكان اسم زوجها (البندر) فلا يعد ذلك إلا أن يكون من نسج الخيال، ويقوى اليقين في استبعاد حقيقة هذا الإعتقاد إذا علمنا أن كلمة (قنفذ) تعني نوع من النبات ومؤنثة قنفذه وليس ببعيد من الواقع أن تكون التسمية قد قامت على إثر وجود شجرة من شجر القنفذ في موقع وجود بلدة القنفذة اليوم وربما قيل أن فلان مقيم بجانب القنفذة الفلانية في المكان الفلاني ثم اختصرت التسمية فيما بعد لتقتصر على كلمة واحدة هي كلمة (قنفذه) وهذا الأمر قد عرف عند العرب كثيراً كما هو الحال في اسم (سر من رأى) واسم (حضر موت) فكلها كلمات مركبة وقد تحولت إلى أسماء بعد أن تم دمجها لغرض الاختصار من أجل الاسمية.

وهناك من يعتقد أن القنفذة كان إسمها (قنا) وأنها هي المحطة التي ذكرها الهمداني في كتابه "صفة جزيرة العرب" أن القنا من المحطات الرئيسية التي يمر بها حجاج صنعاء وأنها ملتقى مياه وادي قنونا احد أودية السراة التي تصب مياهها في البحر الأحمر.

لهذا فإن الكثير من الاحتمالات هنا واردة وأصل التسمية ليس مهما فالأسماء لا تعلل كما تقول العرب ولكن المهم هو متى كانت ولادة ذلك المسمى؟ فنحن نعلم أن لكل حدث نشأة.

وقيام مدينة القنفذة لأول مرة في عالم الوجود يعتبر حدث، والحدث من أجل أن يصبح شيء محسوساً لابد له من لحظة ولادة، وهي اللحظة التي يقوم فيها ذلك الحدث ككيان مادي في عالم الموجودات الحسية، وهذا ما تطرقنا له في هذا البحث ونحن إن كنا اقتصرنا على أول شاهد ورد فيه اسم القنفذة صريحاً إلا أن هذا لا يعن أنها لم تكن قد قامت قبل هذا الشاهد وأعني بذلك ورود اسم القنفذة في كتاب العصامي في حادثة القاضي أبو السعود بن ظهيرة عام ٩٠٧هـ، إذ أن من المعلوم بداهةً أن حادثة أبو السعود بن ظهيرة لم تحدث إلا بعد أن أصبحت القنفذة كيان قائم موجود في عالم الوجود.

ومع الأخذ في الاعتبار أن من البديهي حينما اندثرت مدينة حلي بن يعقوب أن يكون نشوء المدينة البديلة قريب منها، أو على الأصح خربت مدينة حلي بن يعقوب وشرد أهلها منها وهذا ما يقوي الظن القائم على أن القنفذة قد قامت على إثر انقراض مدينة حلي بن يعقوب والتي أكدت المراجع أن بداية زوالها كان في القرن الثامن الهجري، كما انه من غير المقبول عقلاً ولا عرفاً ولا حتى أدبياً أن تذكر المصادر مدينة حلي بن يعقوب من سنة ٢٠٦هـ إلى سنة ٩٠٣هـ وهي السنة التي مات فيها الشريف محمد بن بركات الذي ذكر عنه العصامي انه قتل أهل حلي وشردهم كل تشريد، وهذه الفترة هي التي بدأت تظهر فيها أول إشارة إلى القنفذة، ولو كانت القنفذة قائمة قبل هذه الفترة لما أهملتها المصادر وهي التي قد ذهبت تشير إلى ما هو أقل شأناً وأهمية من القنفذة مثل جبل عيَّار ووادي حِلية وهما مجرد معلمين فقط فكيف بالقنفذة وهي ميناء هام ومدينة ذات شأن هام من حيث السكان والاقتصاد اللذان يعتبران من أهم مقومات البحث والتدوين في عالم الكتابة. ولذلك فالغالب على الظن إن لم يكن هو الواقع بعينه أن مدينة القنفذة لم تبرز إلى عالم الوجود إلا على إثر زوال واندثار مدينة حلي بن يعقوب سنة ٩٠٣هـ وما يقوي هذا الظن إلى مرتبة الواقع القريب من الحقيقة هو ورود اسم مدينة حلي بن يعقوب في مصادر شتى وإذ لو كانت القنفذة قائمة لما أغفلها أرباب المصنفات، ناهيك عما سنشير إليه عن كونها أولى باللجوء إليها لمن يفرون من مكة من الحكام الى حلي لأنها هي الأقرب إلى مكة من حلي فيما لو كانت قائمة قبل القرن الثامن الهجري[1].وحتى لا نستحوذ على عنصر البحث قبل الشروع في فصوله وأبوابه التي إخترناها لخطة البحث من أجل تسلسل السرد وترتيب الحديث نكتفي بهذه اللمحة الموجزة على أن نفصل القول في هذه المسألة خلال الفصول القادمة بإذن الله تعالى .

١- ذكر صاحب إمتاع السامر بتكلمة متعة الناظر بأن أمير عسير عبد الله بن ابراهيم بن عائض الذي تسلم الامارة بعد عام ٩٩٥هـ ثم اخوه سالم وكانت امارة حلي قبله منفصلة عن عسير وكانت الحرب بين الطرفين قائمة وفي عام ٩٩٨هـ استطاع سالم ان يحتل امارة حلي وان يقتل اميرها يحيى بن موسى الحرامي وابن عمه علي بن ابراعيم بن عيسى وان يظمها الى عسير واقطع معظمها الى بني قطبة من رجال المع واوكل امارتها الى سعد بن ابراهيم بن مزاح وبقيت هذه الامارة خارجة عن نفوذ آل الحرامي حتى عهد محمد بن عائض بن مرعي حيث اعاد امار تها الى عمر بن عبد الله بن عمر الحرامي الكناني سليل آل يعقوب وقد خاب ظن ابن عائض ب هاذ تمكن الاتراك ان يكسبوه الى صفهم عندما ارادوا ايجاد صدع في صفوف عسير ليدخلوا منه وقد استدعوه الى جدة ومنوه بأمارة عسير بعد القضاء على آل عائض ثم إعطاء أمارة حلي الى ذويه بشكل دائم .

- **دور انقراض مدينة حلي في نشوء مدينة القنفذة**

لكي نأخذ فكرة ولو موجزة عن دور انقراض مدينة حلي بن يعقوب باعتبارها عامل مساعد بعد اندثارها في بروز مدينة القنفذة فإنه يحسن بنا أن نشير إلى ماضي وتاريخ تلك المدينة ثم نعرج على بعض أسباب اندثارها وزوالها حتى يكون ذلك بمثابة الانتقال من اندثار واضمحلال مدينة حلي بن يعقوب إلى قيام ونشوء مدينة القنفذة فنقول:

كانت مدينة حلي ابن يعقوب مدينة تاريخية ورد ذكرها في العديد من المراجع التي ذكرت بأن حلي كان تابعا لمكة المكرمة في عصر الولاة الذي يشمل عصر الخلفاء الراشدين والخلافة الأموية وطرفا من العصر العباسي الأول[٢] لكنه لم يلبث أن أصبح يدين بالتبعية لتهامة اليمن بعد أن اختط الوالي محمد بن عبد الله بن زياد مدينة زبيد في اليمن.

لقد استطاع الوالي محمد بن عبد الله بن زياد بفضل جهود مولاه جعفر أن يوسع حدود ولايته حتى شملت إقليم حلي بعد سنة ٢٠٦هـ وبذلك دخلت معظم البلاد التهامية في التبعية لليمن بما في ذلك حلي[٣]. إلا أن حلي بعد ذلك خرجت عن طاعة الولاية الزيادية وذلك بعد سنة ٢٨٩هـ أي بعد ٨٣ سنة من الخضوع المباشر تحت السمع والطاعة للدولة الزيادية وكان خروج حلي ابن يعقوب في زمن ولاية أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم كما خرج مع حلي إقليم المخلاف السليماني مع أن أبي الجيش احتفظ ببعض النفوذ على إقليم حلي وإقليم المخلاف السليماني وهو نفوذ محدود متمثل في الخطبة وسك العملة وحصوله على إتاوة سنوية من حاكمي حلي والمخلاف السليماني.

وقد ذكر المؤرخ عمارة اليمني بأن ممن امتنع من عمال أبي الجيش بن زياد عامله سليمان بن طرف صاحب عثر "عثر هي المخلاف السليماني" وهو من ملوك تهامة وعمله سبعة أيام في عرض يومين - أي في مسار هذه أطواله - ، ويمتد من الشرجة جنوبا إلى حلي شمالا - والشرجة هي ما يعرف اليوم بالموَّسم - ويبلغ ما يرتفع منه خمسمائة دينارعثرية. وكان سليمان بن طرف رغم امتناعه عن الوصول إلى ابن زياد يخطب له ويضرب السكة النقدية باسمه ويحمل إليه مبلغا من المال كل سنة. ويتلو ابن طرف من ملوك تهامة في الخطبة والسكة لإبن زياد وحمل إتاوة مستقرة الحرامي صاحب حلي[٤] وهو دون ابن طرف في المكنة . ا.هـ. رأينا فيما تقدم إشارة واضحة قد ورد فيها ذكر حلي وصاحب حلي في عهد أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن زياد مؤسس الدولة الزيادية في زبيد وقد توفي إبراهيم بن محمد والد إسحاق سنة ٢٨٩هـ.

٢- المواقع الاسلامية المندثرة – حولية . د/ احمد عمر الزيلعي .
٣- المواقع الاسلامية المندثرة – حولية . د/ احمد عمر الزيلعي .
٤- المواقع الاسلامية المندثرة – حولية . د/ احمد عمر الزيلعي.

هذا وقد أورد ابن حوقل المتوفى سنة ٣٦٧هـ إشارة إلى الحرامي صاحب حلي إذ ذكر أبا الجيش إسحاق بن إبراهيم بن زياد حاكم زبيد وسليمان بن طرف حاكم عثر (المخلاف السليماني) ثم يعقب بقوله : ويتلوه - أي ابن طرف - الحرامي صاحب حلي وهو دون ابن طرف في السلطان والجباية وهؤلاء الثلاثة ملوك تهامة . ا.هـ.[٥]

كما أن المؤرخ عمارة اليمني المتوفى سنة ٥٦٩هـ حج إلى مكة سنة ٥٤٨هـ ونقل عنه أنه قد رأى جامع حلي الذي بناه الحسين بن سلامة وزير الدولة الزيادية في عهد أبي الجيش[٦]. وابن حوقل لم يذكر اسم الحرامي صريحاً وقد أشار الدكتور احمد عمر الزيلعي رئيس قسم الآثار بجامعة الملك سعود وعضو مجلس الشورى إلى أن هذه الإشارة التي أوردها ابن حوقل بأنها قد تفيد الباحثين بأن حاكم حلي الحرامي من بني حرام الذين يرجعهم النسابون إلى بطون كنانة بن خزيمة بن مدركة ولعله من أجداد بني حرام حكام حلي بن يعقوب[٧].

وقد سقت هذه المقدمة من أجل الإشارة بأن المشهور في القرن الثالث الهجري هو حلي بن يعقوب فقط وإذ لو كان للقنفذة وجود في ذلك الزمن لتطرق لها المؤرخون بلا شك ، علماً بأن كتب السير نقلت لنا أن حاكم مكة المكرمة الحسن بن جعفر أبو الفتوح المتوفى سنة ٤٣٠هـ قد تمكن من الاستيلاء على إمارة حلي حينما حشد قبائل العرب سنة ٤١٢هـ وقد عاد إلى مكة بعد أن جلب معه حاكم حلي ابن الحرامي إلا أن حلي عادت إلى والي صنعاء في عهد الدولة الصليحية التي قامت في سنة ٤٢٩هـ[٨]. ثم عادت حلي مرة ثانية ودخلت تحت حكم مكة المكرمة سنة ٤٥٩هـ[٩] وفي سنة ٦١٩هـ تمكن الملك المسعود حاكم اليمن في عهد الدولة الأيوبية من دخول مكة وضمها إلى اليمن وولى الملك المسعود الشريف راجح بن قتادة المتوفى سنة ٦٥٤هـ حكم حلي ومعها السرين[١٠]. وهكذا نرى أن حلي بقيت بين شد وجذب من مكة إلى اليمن ومعلوم بأن حلي جنوب القنفذة ومدينة السرين شمال القنفذة.

فهذه المعلومة على الأقل تؤكد عدم ظهور القنفذة كمدينة معروفة إبان تلك الفترة من الزمن إذ لو كانت قائمة لما أغفلها المؤرخون. هذا وقد ذكر أهل السير أن إمارة حلي تحولت في سنة ٦٢٦هـ إلى مشيخة وكانت تلك المشيخة من نصيب موسى بن علي الكناني الذي مات مقتولاً سنة ٦٥٢هـ ثم خلفه ابنه عيسى بن موسى بن علي الكناني ثم خلف عيسى أخوه حسن بن موسى الذي كان عائشاً في سنة ٦٧٢هـ حيث ورد في احد المصادر التاريخية أن أمير حلي في سنة ٦٧٢هـ كان اسمه حسن[١١].

٥- صورة الارض ، ابن حوقل . تاريخ مكة ، السباعي.
٦- صورة الارض ، ابن حوقل . تاريخ مكة ، السباعي.
٧- صورة الارض ، ابن حوقل . تاريخ مكة ، السباعي
٨- المواقع الاسلامية د احمد الزيلعي
٩- المواقع الاسلامية د احمد الزيلعي
١٠- المواقع الاسلامية د احمد الزيلعي
١١- تحفة النظار في غرائب الامصار ، ابن بطوطة .

وفي سنة ٧٣٠ هـ ذكر أن أمير حلي عمار بن دريب الكناني الذي ذكره بن بطوطة في كتابه المشهور "رحلة بن بطوطة" حينما نزل مدينة حلي بن يعقوب سنة ٧٣٠هـ ووصف عامر بن دريب بأنه سلطان حلي من بني كنانة وأنه من الفضلاء والشعراء والأدباء [١٢].
وفي سنة ٧٣٨هـ كان أمير حلي احمد بن سالم الذي ذكر في أكثر من مصدر بأنه قد ضاق ذرعا بتصرفات أشراف مكة الذين اتخذوا من حلي ملجئا يأوون إليه عندما يفقدون سلطانهم في مكة.
وفي كل ما تطرقنا إليه في هذه النبذة المختصرة عن مدينة حلي بن يعقوب إشارة واضحة وجلية أن القنفذة لم تكن موجودة حينذاك وإلا لكانت أولى بلجوء أشراف مكة إليها من الذهاب إلى حلي فهي الأقرب إلى جهة مكة منها إلى حلي الذي يبعد عنها جنوباً أكثر من ستين كيلومتر. كما أن بها مرسى طبيعي هام جداً، إلا أن عدم وجودها كمدينة في عالم الوجود يعتبر فيه دلالة واضحة إلى توجه الفارين من أشراف مكة المكرمة إلى حلي فيما نحسب أنه كذلك .
وفي سنة ٧٦٣هـ شن أمير مكة عجلان بن رميثة حملة على أمير حلي بن يعقوب احمد بن عيسى الحرامي جد أسرة بني حرام وتقابل الخصمان في موقع يقال له (قحزة) وقيل هو المفجر. وعندي أن المفجر هو قحزة ذاتها لأن المفجر موقع بين وادي يبة وبين وادي حلي ، وقد انتصر عجلان على أمير حلي واستولى عجلان عليها وقد ذكر صاحب مصنف إتحاف الفضلاء فإنه – أي عجلان – أول من ملك بلاد حلي [١٣]. وهذا القول الذي أوردناه نقلاً عن أهل السير بأن أمير حلي في سنة ٧٦٣هـ كان اسمه احمد بن عيسى الحرامي يشير إلى أن حلي لازالت إمارة ولم تتحول إلى مشيخة على قول من قال بهذا القول من الباحثين إلا أن تكون تحولت إلى مشيخة من عام ٦٢٦ هـ ثم عادت إليها الإمارة في عام٧٦٣هـ ولم أعثر خلال بحثي على ما يوضح ذلك على وجه التفصيل، **خلا الاشارة التي ذكرها الدكتور أجمد الزيلعي في مجلة كلية الآداب العدد الأول لعام ١٤٠٨هـ استنباطا من قصيدة الشاعربن هتيمل التي اشاد فيها ببعض نفوذ أسرة الحرامي حيث قال الدكتورأحمد "ربما بقي بعض افراد من هذه الأسرة محتفظين فقط بمشيخة بني كنانة الى أن قال: عندما آل حكم اليمن الى مؤسس الدولة الرسولية عمر بن علي بن رسول سنة ٦٢٦ هـ كانت مشيخة كنانة بحلي من نصيب موسبن علي الكناني .. الذي بعث بهدية الى عمر بن علي فاجري عليه اسم الأمارة منذ ذلك الوقت". أ ن هـ. وهذا استنباط صائب جداً واشارة جديرة بالاهتمام.**
أما ياقوت فقد قال: حلي مدينة باليمن على ساحل البحر الأحمر على مسيرة ٨ أيام من مكة. "معجم البلدان" كما ورد عن ياقوت في هذا المعجم أيضا قوله عن عمارة اليمني قال: (حلي مدينة باليمن على ساحل البحر بينها وبين السرين يوم واحد وبينها وبين مكة ثمانية أيام وهي حلية المتقدم ذكرها) [١٤]،، قلت لقد وقع ياقوت في خطأ ووهم فهو قد ذكر في باب الحاء والياء تحت الرقم ٣٨٧٦- حليه بالفتح ثم السكون وياء خفيفة وهاء، مأسدة بناحية اليمن ثم أردف قائلاً : وقيل حليه وادٍ بين عيّار وعليب يفرغ في السرين. ا.هـ . [١٥].

١٢- تحفة النظار ، ابن بطوطة ' معجم البلدان ، ياقوت الحمو
١٣- معجم البلدان ، ياقوت الحموي
١٤- المصدر السابق.
١٥- المصدر السابق

وما ذكره ياقوت بأن حلية وادٍ بين عيّار وعليب يفرغ في السرين هو الصحيح، وحليه بحكم معرفتي الشخصية لها وللسرين اللتان ترددت إليهما مرات كثيرة هي وادي الشاقة الشامية الذي لا يبعد عن الشاقة اليمانية إلا مسافة ثلاثة كيلومترات فقط وعليب هي وادي الشاقة اليمانية، ووادي الشاقة الشامية يفرغ في السرين فعلاً مثلما أثبته ياقوت في معجمه، ولكن الشاقة اليمانية أو عليب لا يفرغ في السرين بل يفرغ في خور الزواهر الواقع جنوب السرين على بعد خمسة عشر كيلاً تقريباً. إلا أن قول ياقوت (حليه وادٍ بين عيّار وعليب يفرغ في السرين) متناقض مع قوله فيما حكاه عن عمارة بأن (بينها وبين السرين يوم واحد) فالسرين بينها وبين حلي بالسير على المطية النجيبة مسيرة يوم كامل تقريبا إما بالسير على جمال القوافل فلا يقل المسير بين حليه وحلي عن يومين. وإذا علمنا بأن وادي حليه يفرغ في السرين وأن حلي يبعد عن السرين مسافة مائة وستين كيلومتر اتضح لنا أن حليه ليست حلي، والعكس صحيح.

لنعود الآن إلى صُلب موضوعنا عن القنفذة فنقول : بعد انتصار الشريف عجلان بن رميثة على احمد بن عيسى الحرامي أمير حلي بدأت تظهر أول بوادر ظهور مدينة القنفذة على سطح الوجود في تلك الحقبة من الزمن فقد ورد في بعض المصادر بأن أمير مكة الشريف محمد بن بركات المتوفى في سنة ٩٠٣هـ قد وضع أمير حلي ابن الحرامي في السجن بعد أن قتل أهل حلي وشردهم كل تشريد وأخرجهم من بلادهم وقبض على أميرهم وجعله مع أهل الجرائم والعناد إلى غير ذلك مما لا يحصيه كاتب ولا ديوان حاسب[١٦] .
ففي هذه الحقبة تم إقصاء حكام حلي وضم بلادهم بصفة مباشرة إلى مكة المكرمة وليس ببعيد أن يفر أقوام من حلي إلى موقع ميناء القنفذة لاتخاذها مرفأً جديداً لهم على البحر بدلاً عن مرفأ حلي الذي تعرض لغارات أشراف مكة المتتالية عليه.

وكما نوهنا أن كل ما أشرنا إليه في كل ما تقدم إنما أردنا أن نبين من خلاله أن المصادر التي تسنى لنا الإطلاع عليها لم تشر إلى وجود القنفذة لا من قريب ولا من بعيد حتى سنة ٩٠٧هـ.

١٦- بين مكة واليمن – عاتق البلادي

بداية ظهورالتسمية والموقع

• بداية أول ظهور لإسم القنفذة

فيما اطلعتُ عليه أن أول إشارة وردت عن القنفذة كانت في عام ٩٠٧هـ وقد أشار عاتق البلادي إلى مثل ذلك[١٧].
وأنا أرى أنه ليس من المقبول عقلاً أن لا تشير مصادر التاريخ إلى مدينة مهمة مثل القنفذة لو كانت قائمة في تلك العصور وهي مصادر اهتمت بالمدن القريبة من موقع القنفذة مثل حلي وعشم والسرين والتي كانت قائمة حينذاك إلى أن انقرضت ولم تبق اليوم إلا آثارها فقط كعَشْم والسرين وحلي بن يعقوب وهو ما يعرف اليوم بحلي قديم وسوق حباشة وآخر تلك المدن زوالاً هي مدينة حلي بن يعقوب التي بقيت قائمة إلى أواخر القرن الثامن الهجري ومن المرجح عندي بناء على ما اطلعتُ عليه من مصادر أن مدينة القنفذة لم تنشأ ولم تقم كمدينة إلا في نهاية القرن الثامن ومطلع القرن التاسع الهجري لأن أول إشارة وردت عنها كانت ذكر حادثة القاضي ابن ظهيرة كما سيأتي، أما وجود القنفذة كميناء طبيعي ترسو به السفن للراحة والتزود بالزاد أو الماء أو الحطب أو ما شابه ذلك فيظهر لي أنه كان فعلاً قبيل القرن التاسع بقليل وذلك بناءً على ما رواه والدنا الباحث والأديب حسن بن إبراهيم الفقيه الذي أكد أكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة بأن موقع القنفذة الجغرافي يعتبر مرفأً طبيعياً هاماً جداً لوجود جزيرة بالقرب منه على شاطئ البحر .

وقد سبق أن أشرتُ إلى قول الهمداني الذي ذكر محطة قنا وأنها تقع في ملتقى وادي قنونا وقول من قال بأن الهمداني ربما قصد بقنا القنفذة وأنها محطة تقع على طريق الحج للقادم من و إلى صنعاء.
قلت ولإن القنفذة كانت في بداية قيامها شبه جزيرة صغيرة تقع بين مصبي وادي قنونا الذي يشكل رأس مثلث يقع مرفأ القنفذة على قاعدته الغربية فربما جعل منها هذا الموقع محطة مهمة فعلاً خاصة عندما تكون السفن بحاجة إلى التزود بالماء والحطب والمؤن الأخرى التي لا تتوفر إلا في تلك المراسي بالنسبة للسفن البحرية.

١٧- بين مكة واليمن – عاتق البلادي

• الموقع الجغرافي للقنفذة

تقع مدينة القنفذة على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر وكان يشكل موقعها قبل التوسعة العمرانية مثلثاً قاعدته على حافة الشاطئ ورأسه مفرقي وادي هارون المتفرع من وادي قنونا. وتبعد مدينة القنفذة عن مكة المكرمة ٣٤٤ كم براً. كما تبعد عن مدينة جدة ٣٢٠ كم جواً، و٣٧٥ كم براً. وهي تقع تحديداً عند نقطة تقاطع خط طول ٥،٤١ درجة شرقا بدائرة عرض ٨،١٩ درجة شمالاً. وتتميز بوقوعها على مرسى بحري طبيعي يتميز بشاطئ هادئ بجواره جزيرة قريبة جداً من الشاطئ وهناك من يكثر الإعتقاد أن ذلك المرسى كان مستخدما من قبل أن تقوم حوله مدينة القنفذة كما أشرت إلى ذلك فيما مر معنا قبل قليل .



موقع القنفذة على الخارطة (تم نسخ الخارطة من موقع منتدى القنفذة)

ونحن لم نعثر خلال بحثنا على تاريخ يحدد بداية قيام مدينة القنفذة على وجه الدقية ، إلا أن أكثر من ذكرها توقع توقعات هي أقرب ما تكون للواقع بأن مدينة القنفذة قامت في القرن الثامن الهجري والقرائن التي تم الاستناد إلى الاستشهاد بها فيما تقدم تبين أن مدينة القنفذة قبل تلك الحقبة من التاريخ لم تكن شيئا مذكورا .

وأول المصادر التي أشارت إلى القنفذة نصاً فيما تيسر لنا معرفته هو كتاب "سمط النجوم العوالي" للعصامي الذي جاء به النص التالي: (كان قاضي مكة أبو السعود بن ظهيرة مباطنا لجازان فكتب إليه يستحثه ويعده بالإعانة ووعده أن يقبض له على بركات إذا وصل جازان قرب مكة ، وعين لذلك القبض ليلة الخامس والعشرين من شهر رمضان فظفر الشريف بركات بكتاب أبي السعود فاستدعاه فلما دخل عليه – وكان قد أظهر السرور والفرح بولاية بركات – أوقفه على الكتاب فأنكر ذلك فقبض عليه في سابع شوال وأخذ أمواله وعقاره وعذبه، ثم بعث به وأهله إلى جزيرة القنفذة وأمر نائبه عليها

أن يركبه سنبوقا ويغرقه، ففعل ذلك به وغرق يوم الأحد الثاني من ذي الحجة سنة سبع وتسعمائة وأولاده وعياله ينظرون إليه[١٨] .

هذا هو أول اسم صريح يرد للقنفذة بأنها جزيرة وهي ولاية تابعة لأمير مكة ، وهذه الإشارة التي ذكرها العصامي ورد في كتاب تاريخ مكة للسباعي ما يخالفها حيث قال: (وفي أوائل شعبان ٩٠٧ انتهى بركات في جيشه إلى مكة فلم يقاومه أخوه احمد الجازاني وفر هاربا ولما استتب أمر بركات أراد امتحان التجار الذين ساعدوا أخاه احمد بتبرعاتهم للعسكر فجعل عليهم مبالغ مضاعفة يعينونه بها كقرض فاضطروا إلى دفعها حتى لجأ بعضهم إلى بيع أملاكه لإيفاء ما تقرر عليهم . وأراد أن ينتقم لنفسه من قاضي مكة أبي السعود بن ظهيرة لتقريره الإمارة لأخيه أحمد ولبعض خطابات عثر عليها بخط القاضي يحث فيها أحمد على القدوم إلى مكة فأمر بإحضار القاضي إلى مجلس عقد لذلك وبعد أن تلا على الحاضرين اتهاماته حكم عليه بالسجن ومصادرة أمواله وعقاره وقد حاول المجتمعون طلب العفو له فأبى العفو وأصر على إهانته ولطمه أخوه قايتباي على وجهه ثم كتب بذلك محضراً بالحكم وأمر القضاة والفقهاء والتجار بتوقيعه ثم أرسله إلى الشراكسة في مصر . ثم أغلق بيوت أبناء القاضي وبناته بعد أن جمع نساءهم في إحداها ثم أمر بغلِّ أيدي بعض أبناء القاضي في خشب مسمر فتشفع فيهم الناس فقبل أن يفتدوا أنفسهم بخمسة آلاف دينار وبعضهم بأقل من ذلك ثم فتحت بيوتهم وبيوت والدهم وبيع ما فيها من موجودات وأثاث وكتب وصودرت أثمانها وكانت تبلغ مئات الألوف . ثم نفى عائلة القاضي على إثر ذلك إلى جزيرة بن بركوت فما لبث أن أخذهم نائبه في الجزيرة إلى عرض البحر في مركب صغير فأغرقهم) ا. هـ .[١٩]

ثم ورد في حاشية المصدر (درر الفوائد المنظمة) ما نصه : (لعل الجزيرة نسبة إلى بركوت وهو من أعيان القرن التاسع ترجم له السخاوي في الضوء اللامع ، وقال صاحب درر الفوائد المنظمة : ونفي بجزيرة الصبايا) .ا. هـ. قلت : هذا تناقض في السرد التاريخي بين ما ذكره العصامي صاحب سمط النجوم العوالي وبين وما أورده السباعي صاحب تاريخ مكة هاهنا حيث ذكر الأول بأن القاضي أبي السعود بن ظهيرة اغرق في جزيرة القنفذة وأهله ينظرون ، بينما أشار الثاني إلى أن القاضي أرسل إلى الشراكسة في مصر ثم تم نفي عياله إلى جزيرة بركوت وما لبث نائبه عليها أن أخذهم فأغرقهم .

ثم استدرك السباعي في الهامش وقال بأن صاحب درر الفوائد المنظمة ذكر انه نفي بجزيرة الصبايا. وجزيرة الصبايا هي جزيرة تقع بالقرب من حلي تعرف بجبل الصبايا وكانت مأهولة بالسكان وتبعد قرابة عشرين كم إلى الغرب من ميناء حلي ،، وحلي يبعد عن القنفذة قرابة ٦٠ كم.

١٨- سمط النجوم العوالي – العصامي
١٩- تاريخ مكة – احمد السباعي

أظن بأننا من خلال هذا السرد المتسلسل تاريخيا أثبتنا فيما تيسر لنا الإطلاع عليه من أن القنفذة لم تكن معروفة منذ تاريخ عصر الخلفاء حتى عام ٩٠٧ هـ حيث بدأ اسم القنفذة يظهر في المصادر كما تقدم وفي المقابل بدأت مدينة حلي بن يعقوب تأخذ في الانقراض إلى أن أصبحت اليوم أثراً من الآثار بعد أن زالت كل معالمها ولم يبق منها إلا رموس بالية فقط تقع بالقرب من حلي قديم الواقع شمال قرية مخشوش بحوالي خمسة أكيال . وهذا الأمر يؤكد صحة اعتقاد من توقع بأن القنفذة قامت على إثر اندثار مدينة حلي بن يعقوب ومنهم البلادي . بل وربما فرّ تجار وأهالي حلي إلى القنفذة فأخذت تظهر في عالم الوجود كمدينة قائمة .

وهكذا كان ظهور القنفذة في عالم الوجود فيما اطلعنا عليه من مصادر.

ثم عندما وقعت حادثة القاضي ابي السعود بن ظهيرة عام ٩٠٧ بدأ اسم القنفذة يلمع على صفحات المصادر التاريخية ومن ذلك ورود ذكر القنفذة في كتاب "غاية الأماني في أخبار القطر اليماني" ليحيى بن الحسين حيث أشار إلى حادثة خروج الشريف بركات بن محمد من مكة المكرمة إلى ساحل القنفذة سنة ٩٠٨هـ وهذه الإشارة تدل على أن القنفذة قد أصبحت موجودة قبل هذا التاريخ وقد ذكر البلادي بأن نواة القنفذة كانت موجودة قبل عام ٩٠٨ إلا أنها لم تظهر بمسماها الحالي إلا في القرن التاسع الهجري ونحن نؤيد ذلك إذ أن المدن لا تنشأ فجأة بل تقوم رويداً رويداً حتى تكتمل جوانبها وتذيع شهرتها . وهناك من يتوقع أيضا أن القنفذة قامت كميناء ومدينة بديلين على أثر تعطل ميناء حلي واندثار مدينة حلي بن يعقوب كما قامت الليث كميناء ومدينة بدلاً عن ميناء ومدينة السرين الأثرية . وهذا ليس ببعيد أن يكون حدث بالفعل .

هذا وقد جاء في كتاب "دراسات في تاريخ العرب القديم" لأستاذ التاريخ القديم ورئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية بجامعة الإسكندرية قوله بأن العالم ميخايلس – وهو عالم الماني – هو أول من وجه الأنظار إلى بلاد العرب والى الصِّلات القوية التي تربط بينها وبين الكتاب المقدس ومن ثم فقد اقنع فريدريك الخامس ملك الدانمارك بإرسال بعثة علمية إلى بلاد العرب تحركت من ميناء كوبنهاجن في ٤ يناير ١٧٦١م ووصلت إلى ميناء القنفذة في ٢٩ أكتوبر ١٧٦٢م.
ونلحظ هنا طول المدة من ١٧٦١/١/٤م إلى ٢٩/١٠/ ١٧٦٢م أي أن الرحلة استغرقت سنة وعشرة اشهر من كبن هاجن الى القنفذة وقد كانت هذه الرحلة في حدود عام ١٠٨١هـ تقريبا .

كما وقد ظهرت القنفذة أيضا على مسرح الأحداث كموقع مهم وميناء استراتيجي إبان حملات محمد علي باشا على بلاد عسير عام ١٢٢٩هـ ومن المعلوم أن دخول مكة تحت إمرة الإشراف قد بدأ في مكة المكرمة منذ بداية ثورة كبير الأشراف الحسنيين جعفر بن محمد بن الحسين من أحفاد موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فنادى بسقوط الإخشيد واستقل بحكم مكة في عام ٣٥٨هـ وهي السنة التي سقطت فيها مصر في يد

الفاطميين وبذلك أسس جعفر بن محمد الطبقة الأولى من الأشراف الموسويين وظل الأمر بين الأشراف في كر وفر وصعود ونزول إلى سنة ٩٢٢هـ. وهي السنة التي تولى فيها الخلافة السلطان العثماني سليم الأول فبعث له شريف مكة بمفاتيح الحرمين دليلاً على الدخول تحت ولايته فأقره السلطان سليم واعترف به أميراً على مكة وبقيت مكة تابعة للدولة العثمانية إلى أن أعلن الشريف حسين بن علي باشا الثورة ضد العثمانيين في عام ١٣٣٤هـ حينما اطلق أول رصاصة من قصره بيده معلناً الثورة العربية ضد تركيا. والحقيقة أن تلك الثورة لم تنجح ولم تحقق الهدف المرجو منها لأن الشريف حسين بن علي أعتمد في إعلان ثورته على بريطانيا التي خذلته ولم تفي بما وعدته به وقوبل بأعذار سخيفة من ضمنها أن الملك لم يلتزم له بشروط محدده وإنما كانت كل الأمور التي دارت بين دولة بريطانيا وبين الشريف هي عبارة عن رسائل تبادلها الشريف حسين مع السيد مكماهون المندوب البريطاني في مصر وهي رسائل ليست ملزمه للحكومة البريطانية حتى وإن كانت من مندوبها في مصر لأن مسؤوليات المندوب كانت تعوزها الموافقة الملكية ولم يدرك الشريف حسين باشا اللعبة إلا بعد أن دخلت القوات البريطانية فلسطين رافعة الصليب ومعلنة بقاء فلسطين تحت الإنتداب البريطاني تمهيداً لتنفيذ وعد بلفور لليهود بجعل فلسطين وطناً قومياً لهم وقد غضب الشريف حسين من خداع بريطانيا له ولكن لم تكن لديه القدرة أو القوة الكافية للتخلص من المطب الذي وقع فيه وزاد الأمر سوء عندما انكشفت لعبة الحلفاء بظهور اتفاقية "سايكس بيكو" الشهيرة التي أظهرت بجلاء أن الشريف حسين لم يكن إلا مجرد جسر صعدت عليه بريطانيا لتتخلص من الدولة العثمانية عندما قامت الحرب العالمية الأولى.



صورة لبعض المباني الأثرية التي كانت قائمة في القنفذة

وعودا علي بدأ نقول بأن القنفذة دخلت تحت ولاية شريف مكة المكرمة مع بداية تسلم السلطان العثماني سليم الأول زمام السلطنة عام ٩٢٢هـ وإقراره لشريف مكة بالولاية على مكة المكرمة في تلك السنة وعندما بدأ محمد علي باشا حملاته على بلاد عسير عام ١٢٢٩هـ استعمل القنفذة كميناء يرسل جيوشة إليه عبر البحر من مصر الى ميناء القنفذة ومنها تنطلق حملاته البرية الى عسير وقد بقي محمد علي باشا مسيطرا على ميناء القنفذة الى سنة ١٢٥٦هـ وهي السنة التي انتهت فيها حملاته على عسير وفي سنة ١٢٨٩هـ قامت الدولة العثمانية بإنشاء ادارة مركزية في عسير اطلق عليها اسم (متصرفية عسير) وضمت القنفذة الى متصرفية عسير في ذلك العام ولكنها عادت ففصلت القنفذة عن عسير في عام ١٣١٣هـ واعادتها الى تبعية ولاية مكة المكرمة وهذا ما سنوضحه في حديثنا بشيء من الاستفاضة في الباب الأول في الفصل الثالث .

الفصل الثانى

- **الباب الأول: القنفذة بين السلطة والغزو العثماني**
  - دخول القنفذة تحت سلطة الدولة العثمانية
  - حادثة النهب وبداية غزوات محمد علي باشا على القنفذة
- **الباب الثاني: اصل التسمية واهمية الموقع**
  - الأصل في تسمية القنفذة
  - أهمية موقع مدينة القنفذة

الفصل الثاني

الباب الأول
القنفذة بين السلطة والغزو العثماني

• دخول القنفذة تحت سلطة الدولة العثمانية

حينما تسلم السلطان العثماني سليم الأول في عام ٩٢٢هـ مفاتيح الحرمين الشريفين من الشريف بركات و أقره السلطان سليم في الشرافة والولاية بالتبعية على مكة المكرمة ،، شمل الحكم العثماني الحجاز حتى حلي جنوباً و بذلك تكون القنفذة قد أصبحت ولاية تابعة لوالي مكة التابع للدولة العثمانية اعتباراً من عام ٩٢٢هـ و هو ما يعني أن القنفذة أصبحت مدينة عثمانية خالصة من حيث الحماية أما من حيث الولاية والتبعية فهي خاضعة لشريف مكة وقد أنشأت الدولة العثمانية حامية عسكرية في القنفذة وبنت لهذا الغرض في القنفذة المبنى المعروف بإسم القشلة وهو عبارة عن ثكنة عسكرية للجنود الأتراك . هذا وقد جاء في كتاب "قلب جزيرة العرب" لفؤاد حمزة (أن أبا نمي - وهو أبو نمي الثاني محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان - وولده حسن لم يوافقا السلطان على تعيين المفتي التركي في مكة عام ٩٤٦ هـ ولم يقبلا أيضا بأوامره التي أصدرها بعد ذلك بثماني سنوات والقاضية بمنع الشريف من توسيع حدود الشرافة إلى أبعد من حد الحجاز التقليدي وهو رأس حلي جنوب القنفذة) [٢٠].. وهكذا نرى أن القنفذة أصبحت ذات شأن في تاريخ الحجاز وأصبح يتردد اسمها في معظم المصادر من بعد حادثة القاضي ابو السعود بن ظهيرة كما تقدم وكما سيأتي في الحديث عن حملات محمد علي على عسير .

هذا وقد أوردها النهرواني باسم (بندر القنفذة) أثناء الحديث عن عزل رضوان باشا وبروزه من اليمن بقوله : (وخرج من بندر القنفذة وتوجه منها إلى مكة المكرمة ودخلها أواسط محرم الحرام سنة ٩٧٥هـ كما استخدم رضوان آغا الوسائط النقلية عام ١٠٣٩هـ بعد أن حملت لمهمة نقل أحمال مخلفات السيل الذي دخل الحرم في السنة المذكورة)[٢١] .
وفي أحداث سنة ١٠٥٩ أورد العصامي اسم القنفذة مسبوقا بكلمة بندر حيث قال: (ورد إلى مكة المكرمة بعض تجار من الصعايدة وشخص أعجمي يسمى أسد خان جاءوا من جهة اليمن بتجارة ونزلوا من البحر إلى بندر القنفذة ووصلوا إلى مكة المكرمة براً ولم يدخلوا بندر جدة[٢٢] .

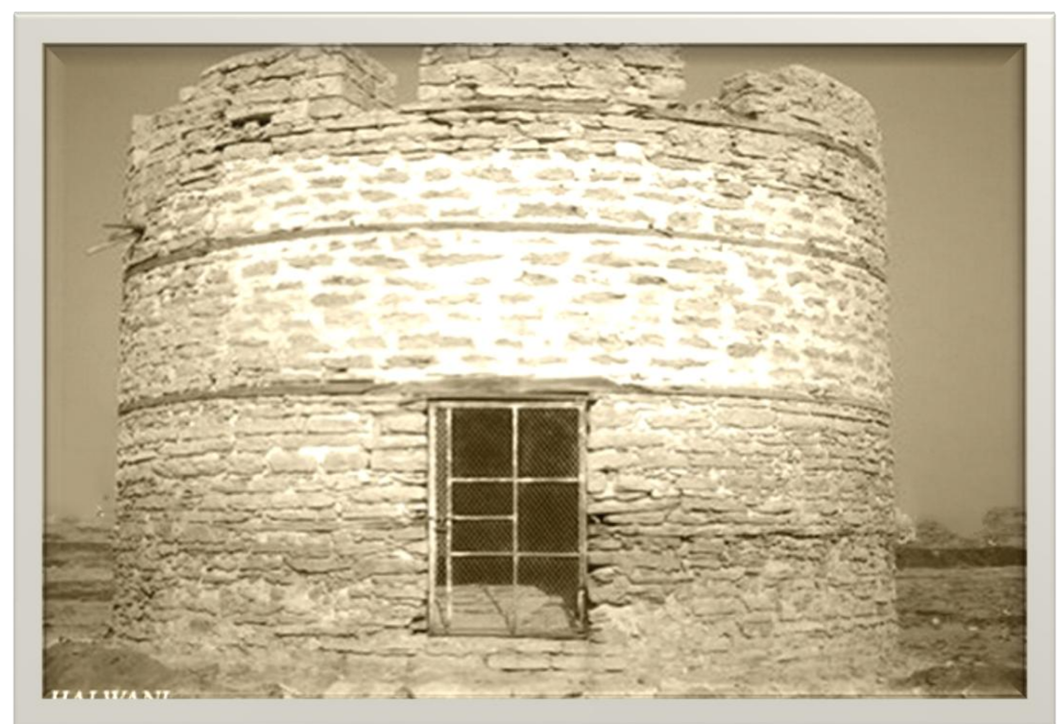
٢٠- قلب جزيرة العرب – فؤاد حمزة
٢١- البرق اليماني في العهد العثماني – النهروالي
٢٢- سمط النجوم العوالي – العصامي .

وذكر العصامي أيضا أن حادثة وقعت سنة ١٠٧٨هـ أن شخص كان يتسمى بالقضاء يتعاطى السكة خفية في القنفذة .
وفي سنة ١٠٧٩ نقل لنا العصامي حادثة المجاعة التي حصلت في القنفذة فقال : (في هذا الشهر جمادى الأولى سنة ١٠٧٩هـ تواترت الأخبار من جهة أرض اليمن باشتداد الجدب والقحط فيها كالقنفذة وصبيا والتهائم ونواحيها وفي بعض الأيام بالقنفذة وجدوا في دار امرأة حجامة رجلين مقتولين أحدهما مأكول والآخر شرعت في أكله وأعضاء أطفال منها طري ومنها يابس فأمسكت وأغرقت في البحر وقيل وضعت على الجزيرة التي أمام القنفذة وسط البحر ففقدت ليلة الوضع [٢٣].

وفي ترجمه عن القاضي عبد الواحد الأنصاري المتوفى سنة ١٠٨٩هـ (وهو الذي عناه العصامي بقضية تعاطى السكة خفية) إلا أن ترجمته قد جاءت مناقضة لما أورده العصامي عن القاضي عبد الواحد فقد ورد في الترجمة بأنه هو: (القاضي العلامة عبد الواحد بن أبي بكر الأنصاري كان رئيس القنفذة وما والاها سعى به بعض حسدته إلى الشريف سعد بن زيد للإصلاح بين فئتين من الأشراف فقبضه وقيده. وتردد للقنفذة لزيارة أصدقاءه) [٢٤] فهذه الترجمة التي سقناها تفيد أنه كان رئيس القنفذة وما والاها.

وفي أخبار عام ١١٠٥هـ جاء خبر قوة للشريف سعد في بندر القنفذة وأنه أخذ عُشُورها وأنه انعقد مجلس مكة المكرمة وحضر الباشا والقاضي والمفتي واتفقوا على إرسال عسكر للقنفذة نفسها مما يدل على ولاية الأشراف لها وأنها تعد من الولايات المهمة في تهامة [٢٥].

٢٣- سمط النجوم العوالي – العصامي .
٢٤- سمط النجوم العوالي – العصامي .
٢٥- سمط النجوم العوالي – العصامي .



مبنى الطاحونة ويعرف أيضا باسم الكازخانة وهو من أقدم المباني الأثرية في القنفذة يقدر عمره الزمني بنحو ٢٠٠ سنة تقريبا

- **حادثة النهب وبداية غزوات محمد علي باشا على القنفذة**

في سنة ١١١٦هـ وردت إشارة إلى أن القنفذة تعرضت للنهب بسبب أنها كانت ملجأً للأشراف ومنطلقاً لبعض غاراتهم ونتج عن ذلك تعرضها للنهب والضرر بسبب الغارات التي كانت تشن عليها عندما اتخذها أشراف مكة ملجئاً يفرون إليه في حالات تعرضهم للصراع فيما بينهم والإشارة التي وردت كانت مقتضبة فالخبر لم يتضمن إلا أن أحد الأشراف أطمع رجال القبائل السروية والتهامية في نهب القنفذة. وقد أشار إلى ذلك البلادي في كتابه "بين مكة واليمن" نقلا عن الدكتور حسن احمد محمود – مجلة العرب – أمراء البلد الحرام. ونظن أن هذه الحادثة كانت محدودة ومقتصرة على قيام أحد أشراف مكة باتهام قبائل السراة وتهامة في نهب القنفذة عقاباً لمن كان يؤوي أخاصمة من الأشراف الذين يفرون إليها في أزمات التطاحن والتصادم الذي كثيراً ما كان يقع بين أشراف مكة كما هو معلوم فإن بعضهم لا يمكث في الولاية إلا يوماً واحداً وبعضهم شهراً أو أقل من شهر والبعض الآخر يتولى ثم يُطرد ثم يعود ويتولى ثم يُطرد إلى ثلاث أو أربع مرات. وخلال هذه الحقبة من صراع الأشراف على الولاية كانت القنفذة تمر بحالات من الضعف والقوة فمرة تنعم باللراحة والاستقرار ومرة تُروع بالغارات وتعكير صفو الأمن بها نتيجة تصارع أشراف مكة على الحكم فيها .

وفي هذه السنة - اعني سنة ١١١٦هـ - كان والي مكة هو الأمير عبد المحسن بن أحمد بن زيد حيث خرج الشريف سعد في الحادي عشر من ربيع الأول من السنة المذكورة كما أشار إلى ذلك محمد المكي في مصنفه "تاريخ مكة إتحاف الزمن بتاريخ ولاية الحسن" المجلد الثاني[٢٦]. ولم تدم مدة ولاية الشريف عبد المحسن إلا ثلاثة عشر يوما.

ومعلوم أن الأشراف ذوو زيد كان لهم شأن كبير في القنفذة ولازالت لهم بها أملاك إلى يومنا الحاضر وبعضها مملوك بصكوك شرعية وتقع الأرض العائدة لذوي زيد شمال شرق القنفذة وكان جزء كبير منها يستخدم كمرابط للخيول والجزء الآخر عبارة عن مزارع لهم وكان يمتد ملك الأشراف ذوو زيد من قرية الثعالبة شمالاً إلى القشال جنوباً ومن أم الجرم شرقاً إلى السوح غرباً. والسوح هو الأرض السبخة التي كانت تحيط قديما بمدينة القنفذة من الشرق والشمال تم صار السوح فيما بعد من أملاك المالية في العهد السعودي الزاهر وظل ذلك إلى أن قامت بلدية القنفذة بتخطيطه إلى قطع سكنية ومنحها لأهالي القنفذة وقد قام عليه حي كامل جديد هو حي الخالدية الذي يضم أجمل المباني السكنية والتجارية ويدخل ضمنه بعض المنشآت الحكومية مثل كلية المعلمين وكلية المعلمات بالإضافة إلى العديد من المتاجر الكبرى وقطاع الخدمات المؤسسية مثل مكاتب الشركات والمستوصفات الأهلية.

هذا وقد أشير إلى أن القنفذة قد نعمت بشيء من الاستقرار في أواخر القرن الثاني عشر عندما اتخذها محمد علي باشا مرجعاً لأعماله الحربية في حملته على عسير.
إلا أن هذا الاستقرار تحول إلى كارثة في النصف الأول من القرن الثالث عشر عندما بدأ محمد على باشا بشن ضرباته الحربية على عسير لمطاردة أميرها طامي بن شعيب المتحمي وهذا ما سنشير إليه بالتفصيل أن شاء الله تعالى أثناء الحديث عن حملات محمد علي باشا على بلاد عسير.

ومحمد علي باشا حينما استخدم القنفذة مرجعاً لأعماله الحربية على عسير بدأت تنشط عمرانياً وبنيت بها الكثير من المخازن التجارية التي كانت تخزن بها الحبوب التي ترد إلى القنفذة من القرى المحيطة بها وقد بقيت تلك المباني قائمة إلى عهد قريب وتخبرنا بعض المصادر بأن القنفذة بقيت ميداناً للمعارك وساحة للنزاعات خلال القرن الثالث عشر وأصبحت مسرحاً للحملات الحربية منها إلى مكة ومن مكة إليها وهذا هو الذي جعل القنفذة مطمعاً لبعض الغارات من القرى المجاورة لها كما اشرنا في قضية اتهام أو أطماع أحد الأشراف لقبائل السراة وتهامة في القنفذة وهذا هو الذي جعل أهلها يتعرضون للكثير من المحن والمتاعب جراء تلك الصراعات والحملات المتتالية في ذلك القرن الذي أصبحت فيه القنفذة مرتعاً خصباً للغارات التي كانت تشن في تلك الحقبة من الزمن .

٢٦- تاريخ مكة – محمد الطبري المكي .

ولم يتوقف الحال عند هذا الأمر بل عانت القنفذة في مطلع القرن الرابع عشر الكثير من المتاعب بسبب التطاحن الحربي بين تصارع القوى المحلية كأشراف مكة والسيد الإدريسي داخلياً وكالعثمانيين وإيطاليا وبريطانيا خارجياً بسبب الدور الخطير الذي لعبه موقعها في الحياة السياسية والحربية إبان تلك المرحلة الزمنية كونها بقيت قاعدة بحرية لحملات الدولة العثمانية وحلفاءها من أشراف مكة المكرمة في الحروب والغزوات التي شنت على بلاد عسير[٢٧] خاصة في أيام النزاع الذي نشب بين السيد الإدريسي وبين العثمانيين بواسطة والي عسير سليمان شفيق كمالي باشا حيث قام الأول بمحاصر الأخير في أبها لمدة ثمانية أشهر حتى أكل الأتراك الكلاب والقطط من شدة الحصار والذي اضطرت الدولة العثمانية أن تنتدب له والي مكة بنفسه الشريف حسين بن علي باشا في سنة ١٣٢٩هـ مدعوما بعدد من الجند النظاميين (الجندرمة) وقوات من العرب حيث استطاع فك الحصار عن والي عسير بعد معارك طاحنة في القنفذة ويبة وجبال تهامة في عقبة سهول .

وكل ذلك سنتناوله في المباحث القادمة بالتفصيل أن شاء الله تعالى.

٢٧- بين مكة واليمن – عاتق البلادي.

الفصل الثاني

الباب الثاني
اصل التسمية وأهمية الموقع

- **الأصل في تسمية القنفذة**

عودا على بدأ فيما أوضحته عن سبب تسمية القنفذة بهذا الإسم في معرض حديثي السابق في باب التوثيق التاريخي والعوامل المساعدة فقد ورد ذكر القنفذة بهذا الاسم صريحاً في سمط النجوم العوالي كما ذكرنا أثناء الحديث عن القاضي أبو السعود بن ظهيرة وقد ذكرها العصامي في كتابه سمط النجوم في ثلاثة مواضع ،، موضعين بالدال المهملة و موضع بالذال المعجمة [٢٨] . وذكرها شرف البركاتي في الرحلة اليمانية بالدال المهملة[٢٩] .

وفيما عثرت عليه من المعاجم فإن هذه التسمية إن كانت بالدال المهملة فهي مؤنث – القنفد – أي قنفدة كما أنها أيضا لغة في القنفذ بالذال المعجمة. وفي هذه الحالة فهي جائزة الضبط بالدال المهملة أو بالذال المعجمة[٣٠] .

وهي أيضا كانت تسمى بالبندر كما اشرنا. وكلمة بندر أصلها كلمة فارسية تطلق عادة على المدن الساحلية فيقال بندر عدن وبندر جدة مثلاً ونحن الآن نستطيع أن نؤكد بناءً على ما تقدم بأن القنفذة قد برزت في الربع الأخير من القرن الحادي عشر الهجري كبندر أو مدينة مينائية ساحلية معروفة عند أصحاب السير والتراجم فقد ذكر العصامي بحسب ما ذكره عاتق بن غيث البلادي[٣١] . انه في حوادث عام ١٠٧٨هـ القي القبض على رجل بالبلدة المعروفة بالقنفذة يتعاطى السكة خفية وهو ممن يتسمى بالقضاء فيسمى القاضي عبد الواحد[٣٢] . كما ذكرنا فيما تقدم عن هذه الحادثة .

وكما ذكرنا أيضا فيما سبق عن تسميتها بالبندر فقد أورد العصامي في أحداث سنة ١٠٥٩هـ اسم القنفذة مسبوقاً بكلمة بندر حيث قال : (ورد إلى مكة المكرمة بعض تجار من الصعايدة وشخص أعجمي يسمى أسد خان جاءوا من جهة اليمن بتجارة ونزلوا من البحر إلى بندر القنفذة ووصلوا لي مكة المكرمة براً ولم يدخلوا بندر جدة) [٣٣] .

٢٨- سمط النجوم العوالي – العصامي.
٢٩- الرحلة اليمانية – شرف البركاتي .
٣٠- القاموس المحيط – الفيروزآبادي.
٣١- بين مكة واليمن – عاتق البلادي.
٣٢- بين مكة واليمن – عاتق البلادي.
٣٣- بين مكة واليمن – عاتق البلادي.

وهنا اشتهرت كذلك بهذا الاسم ولم تكن تعرف عند الغالبية من كبار السن إلا باسم البندر والطريق الذي يصلها بالقرى الواقعة شمالها في وادي الأحسبة وناون وقرماء ودوقة لا يعرف إلا باسم (طريق البندر) وقد ذكر هذا الاسم في بعض الحجج القديمة بهذا النص .
وسواء كانت التسمية بالقنفذة أو بالبندر فكلاهما صحيح فيما مضى فإذا قيل (ذهب فلان إلى البندر) وهو من القرى التابعة للقنفذة فلا يفهم من ذلك إلا أنه اتجه أو ذهب إلى القنفذة ونظن بأن تخصيصها باسم البندر جاء من كونها مدينة ساحلية ذات طابع عمراني يميزها عن القرى القريبة منها ويضفي عليها رونق المدينة والحضارة التي لا توجد في القرى عادة وأعني بذلك النشاط التجاري والطراز العمراني كالمباني المبنية بالحجارة والمزخرفة بأنواع جميلة من النقوش المحفورة على الأبواب والشبابيك الخشبية واشتهارها بالمباني التي تضاف إليها الرواشين وتعرف تلك المباني باسم (الدهليز).

وكلمة بندر كلمة فارسية الأصل معناه (المدينة الساحلية) والقنفذة مدينة ساحلية وعلى هذا فقد تحقق فيها معنى المدينة كما تحقق فيها أنها ساحلية ولذلك فهي بندر من هذا التكوين الذي جمع بين البيئة المدنية والبيئة الساحلية.
أما ما ذهب إليه بعض أرباب الخيال بأن القنفذة سميت على اسم المرأة التي سكنت بها لأول مرة وان زوجها اسمه بندر فذلك بلا شك ضرب من الخيال.



مباني مدينة القنفذة كما كانت تظهر قديما

- **أهمية موقع مدينة القنفذة**

لقد كان لموقع القنفذة على مصب وادي قنونا في البحر الأحمر أهمية خاصة حيث مكنها هذا الموقع من أن تلعب دورا تاريخيا بارزاً ،، وقد كان لذلك الأمر أهمية خاصة إبان سلطة الأشراف في مكة في عهد الدولة العثمانية وقد استفادت الدولة العثمانية فوائد كبيرة من استعمال موقع القنفذة الاستراتيجي كمركز هام لشن الحملات التركية في زمن الحروب التي قامت ضد سراة عسير في أيام حملات محمد علي باشا ثم في أيام الدولة الإدريسية في صبيا وأخيرا في الحرب العالمية الأولى . ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه المدينة قد تعرضت للكثير من المحن والمتاعب وخاصة في زمن حملات محمد علي باشا على عسير وما فعله جنوده من الفظائع البشعة في تقتيل أهالي القنفذة ثم تلا ذلك حملة الشريف حسين باشا بأمر من الدولة التركية لفك الحصار الذي ضربه السيد الإدريسي على سليمان شفيق كمالي باشا متصرف عسير في أبها ولكن قد زالت كل تلك المحن والمتاعب عندما دخلت القنفذة تحت السيادة السعودية في عهد الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود طيب الله ثراه.

وكل هذه الأحداث والأدوار سنتعرض لها بالتفصيل إن شاء الله تعالى في الفصول القادمة.



صورة لبعض البيوت الحجرية القديمة التي أصبحت اليوم خرابات

الفصل الثالث

- **الباب الأول: بين التبعية والأحداث**

- كيف ومتى تبعت القنفذة بلاد عسير ؟
- نهاية حملات محمد علي باشا على القنفذةعام ١٣٥٦هـ

- **الباب الثاني: من بلاد عسير الى صبيا**

- دخول القنفذة في ولاية متصرفية عسير
- عودة القنفذة الى مكة بالتبعية
- موقعة عجلان عام ١٣٢٩هـ بالقرب من القنفذة
- إتفاق إطاليا مع الأدريسي وضرب السفن العثمانية للقنفذة

الفصل الثالث

الباب الأول
بين التبعية والأحداث

- **كيف ومتى تبعت القنفذة بلاد عسير ؟**

كما أسلفنا فيما تقدم بأن القنفذة كانت تتبع مكة المكرمة مباشرة وبقيت كذلك ،، لكن في زمن والي مصر محمد علي باشا أرادت الدولة العثمانية أن تخضع بلاد عسير تحت سيطرتها خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري ففي عام ١٢٢٩هـ نزلت قوات محمد علي باشا في ميناء القنفذة وعاثت فيها فساداً ،، تقطع رؤوس أهلها ثم تقطع آذانهم وترسلها إلى مصر دليلاً على انتصارها في عسير وقد تصدى طامي بن شعيب المتحمي لهذه الحملات البربرية التي كان يقوم بها الأتراك والأرنئوط من جنود محمد علي وقامت معركة بين رجال طامي وبين قوات محمد علي بعد أن سيطر طامي على موارد المياه في الآبار وعندما حاولت قوات محمد علي الوصول إليها بالقوة حدثت معركة فاصلة انتهت بهزيمة قوات محمد علي هزيمة ساحقة إذ لم ينج من قوات محمد علي إلا القليل وحاول محمد علي تلافي الهزيمة وأرسل فرقة من الخيالة لنجدة القوة المهزومة إلا أن فرقة النجدة هُزمت هي الأخرى[٣٤] وقد أثرت تلك الهزيمة في موقف محمد علي فقام ببعض المصالحات مع أهالي الحجاز عامة وعقد محالفات مع قبائلها.

لم تكن الهزيمة التي تلقاها محمد علي في القنفذة كافية لإقناعه فقامت قواته بالاستيلاء على القنفذة عن طريق قوة جاءت محمولة عن طريق البحر ولكن طامي كان لها بالمرصاد فتصدى لها وهزمها للمرة الثانية شر هزيمة بمساعدة رجال تهامة في القنفذة ورجال عسير وقد عادت فلول قوات محمد علي إلى جدة بعد أن تم طرها من القنفذة[٣٥] وقد حاول محمد علي أن يغير طريق هجومه على عسير فاتجه إلى الشمال عن طريق غامد وزهران إلا انه أيضا انهزم وانسحب ثم جرت بعد ذلك عدة معارك ووصلت نجدات متتالية كانت بقيادة محمد علي نفسه الذي غير طريقه في الهجوم على عسير بالكلية فجاء إليها عن طريق تربة وبيشة وبعد عدة معارك ضارية تمكن محمد علي من دخول بلاد عسير وانسحب طامي إلى المخلاف السليماني[٣٦]. وقد ذكر الدكتور إسماعيل البشري أستاذ التاريخ الحديث وكيل جامعة الملك خالد بأبها في دراسة عن تاريخ عسير وجيزان نختصر منها ببعض التصرف قوله : (بدأت حملات محمد علي باشا على عسير في زمن طامي بن شعيب سنة ١٢٢٦هـ وقد حاول الأمير طامي بن شعيب إخضاع أمير أبي عريش حمود بن محمد أبو مسمار الذي تمرد على القيادة السعودية بعد معركة عام ١٢٢٤هـ (يقصد الدولة السعودية الأولى) والتي قتل فيها عبد الوهاب أبو نقطة أمير

٣٤- تاريخ عسير – علي احمد عيسى.
٣٥- المصدر السابق.
٣٦- الادراسة والعثمانيون – د/ يوسف العارف

عسير وانهزمت قوات أبو مسمار ثم توالت حملات طامي على صبيا وضمد واللحية وجيزان. وبعد ذلك حصلت المواجهة المباشرة بين قوات محمد علي باشا وبين رجال طامي بن شعيب في عام ١٢٢٩هـ وانهزمت قوات محمد علي باشا مما دفعه إلى القيام بقيادة حملة كبرى للقضاء على طامي بن شعيب وسلم غدراً بواسطة الحسن الحازمي وأُرسل إلى استانبول واعدم هناك . وبعد طامي بن شعيب [٣٧] تولى الإمارة في عسير محمد احمد المتحمي)[٣٨] . على أن الباحث د/ يوسف العارف الذي اشرنا إلى بعض ما سجله لنا عن حملات محمد علي باشا على عسير ذكر أن الأمر بين محمد علي وطامي بن شعيب قد انتهى بتسليمه لقوات محمد علي حيث أرسل إلى مصر فاعدم بها وقيل بل اعدم في الأستانة. وسواء كان إعدامه في مصر أم في الأستانة إلا أن الأمر لم يستقر لمحمد علي فبمجرد عودته إلى مصر ثارت عسير بقيادة محمد احمد المتحمي كما أشرنا قبل قليل وكانت ثورة محمد المتحمي ضد حمود أبو مسمار أمير أبي عريش الذي كان قد ارتبط مع محمد علي بمصالح نفعية ومحمد المتحمي هو ابن عم طامي بن شعيب إلا أن المتحمي لم يتمكن من هزيمة أبي مسمار مما حدا به إلى التصالح معه وكان ذلك في عام ١٢٣١هـ [٣٩] .

- **نهاية حملات محمد علي باشا على القنفذة عام ١٣٥٦هـ**

في عام ١٢٥٦هـ جرى الاتفاق بين محمد علي باشا والمكيين على ترك الحجاز كما ذكر ذلك السباعي في تاريخ مكة. وقد عمد محمد علي باشا إلى ترحيل الشريف محمد بن عبد المعين بن عون من مصر لكي يتولى حل المشاكل في ارض الحجاز ويعمل على مساعدة محمد علي على ترحيل الجيوش المصرية إلى مصر وقد وصل محمد بن عون إلى مكة وأشرف على تنظيم عمليات التسليم بين العثمانيين والمصريين[٤٠] . وبعد جلاء جيوش محمد علي عن أرض الحجاز وعسير قامت بعض الفتن في عسير في عام ١٢٦٥ وعام ١٢٦٦هـ وقام محمد بن عون بتسيير ابنه عبد الله الذي قام بإصلاح الأمور في عسير وعقد صلحا مع أهلها ثم سار محمد ابن عون على رأس جيش إلى اليمن وفتح مدنها واحتل صنعاء ورتب الأمور بالشكل الذي أراده العثمانيون وكان ذلك في سنة ١٢٦٥هـ[٤١] . وبذلك خرجت القنفذة وبلاد عسير من سلطة محمد علي باشا المباشرة ودخلت القنفذة تحت التبعية المباشرة لشريف مكة وبقيت عسير تحت التبعية المباشرة للدولة العثمانية إلى أن نقض الصلح ابن عائض أمير عسير في عام ١٢٨٨هـ وهي السنة التي كانت قبلها الحملة التي قادها محمد رديف واحمد مختار حيث تفجر الموقف بين رجال عسير وبين احمد باشا في مكة فشن احمد باشا هجومين على بلاد عسير أحدهما عن طريق القنفذة والآخر عن طريق الحجاز وقد وصل احمد باشا إلى أبها ولكنه وقع في مأزق بسبب سيطرة الثوار على ميناء القنفذة وميناء عتود وتمت محاصرة احمد باشا في أبها واضطر إلى توقيع صلح مع أهل عسير اعترف بموجبه باستقلال عسير فسمح له بالجلاء بقواته عن طريق القنفذة ومنها إلى الحجاز.

٣٧- تاريخ عسير – علي احمد عيسى .
٣٨- تاريخ عسير وجيزان – اسماعيل البشري
٣٩- الادارسة والعثمانيون – د/ يوسف عارف
٤٠- صفحات من تاريخ عسير.
٤١- صفحات من تاريخ عسير.

وفي ٢٩ رمضان سنة ١٢٨٧ تحرك محمد رديف باشا إلى جدة ومنها إلى القنفذة التي جعلها مركزاً لتحركات قواته الحربية التي تشن على عسير. وقد عقد اجتماع في القنفذة بين الشريف عبد الله بن محمد بن عون ووالي جدة خورشيد باشا والقائد التركي محمد رديف باشا وانضم إليهم عمر عبد الله الكناني أحد شيوخ حلي ، ثم أرسل محمد بن عائض الشيخ فايز العسبلي إلى محمد رديف باشا لعقد صلح معه ولم يقبل رديف الصلح ولم يقبل مشاورة الأشراف مما دفع الشريف عبد الله وإخوانه وأعوانه إلى ترك القنفذة والعودة إلى جدة على قارب عن طريق البحر . وزحف رديف باشا إلى محائل وهناك تعرض جنده لمرض وبائي ومكث هناك بعد أن أقام لهم مستشفىً عسكرياً وطلب جلب مدافع ذات مدى طويل فجلبت له إلى القنفذة ومنها أرسلت إلى الشقيق فأحكم العثمانيون حصارهم على قوات محمد بن عائض وضرب حصونه بالمدافع وتوسط شريف مكة لدى الباب العالي ليمنح محمد بن عائض العفو مقابل استسلامه. فاستسلم في شهر محرم عام ١٢٨٩هـ فحضر هو ومجموعة من رجاله إلى مقر القائد التركي احمد مختار باشا وطلب الأمان . إلا أن بعض المصادر تنقل لنا بأن رديف باشا لم يكن راضي عن تأمين محمد بن عائض وعندما حضر رديف باشا إلى مقر القائد احمد مختار كلمه بالتركية بأن يقتل بن عائض وكان بن عائض يعرف بعض الكلمات التركية فوثب على رديف باشا وطعنه بخنجر مسموم وقتل رجالُ رديف محمدا بن عائض في الحال ونقل رديف باشا إلى الشقيق وتوفي هناك متأثرا بجرحه[٤٢].

وهناك رواية ذكرها الدكتور يوسف حسن العارف في كتابه "العثمانيون وحكومة الأدراسة في عسير" لم يشر فيها إلى قتل ابن عائض من قبل محمد رديف بالصفة التي رويناها آنفا بل ذكرت رواية يوسف حسن أن الحملة وجهت إنذاراً إلى بن عائض بأن يستجيب بالسمع والطاعة فرفض الاستجابة وقرر المقاومة وبدأ الهجوم العثماني ضده من القنفذة فاحتلوا حلي ثم محايل ثم الحفير ثم السقا وتحصن ابن عايض في مدينة "ريدة" ثم استسلم محمد بن عائض مقابل الإبقاء على حياته وحفظ أهله وماله وصدر بذلك فرمان من العاصمة التركية، وعندما حضر ابن عائض إلى مقر احمد مختار ومحمد رديف نقضا الاتفاق وخالفا الفرمان وقاما بقتله[٤٣].

وسواء قتل محمد بن عائض أثناء مقابلته لمحمد رديف واحمد مختار لنقضهما اتفاق الصلح بعد أن أعطياه الأمان أم انه قتل بإغراء رديف لأحمد مختار بقتله في إشارة منه باللغة التركية فنتج عن ذلك

طعن محمد بن عائض لرديف باشا ثم كانت نتيجة ذلك قتل بن عائض فإن المحصلة هي قتل بن عائض في نهاية الأمر.

٤٢- ذكر صاحب امتاع السامر بأن محمد رديف طلب ان يقوم محمد بن عائض بتسليم السيف والمفتاح بشكل رسمي غير ان محمد بن عائض رفض تسليم ما طلب منه واعلن ان الاتفاق انما تم للصلح لا للإستسلام أي ان تبقى عسير بإمرتي ولها كرامتها ولأهلها حريتهم وان ارتبط رسميا بالباب العالي اتقلى اوامره مباشرة ولي عن طريق احد . اتجه محمد رديف الى نائبه احمد مختار وحدثه بلهجة قاسية . وكانت الخلاصة بأنه يجب القبض على ابن عائض واخوته وكان سعيد بن عائض يفهم التركية واعلم اخاه محمدا ان القتل لهم على يد محمد رديف وقد حاول ابن عائض الفتك برديف ولكنه منعه الجند من ذلك فاسرع اخوه سعد وضرب رديف فطاح مستلقيا على قفاه وهتف محمد بن عائض مهلا ونشب القتال فقتل محمد بن عائض واما رديف فنقل في غيبوبة الى الشقيق ليبحر الى استانبول وفي الشقيق قبر ينسب اليه .

٤٣- الادراسة والعثمانيون – د/ يوسف العارف .

الفصل الثالث

الباب الثاني

من بلاد عسير إلى صبيا

- **دخول القنفذة في ولاية متصرفية عسير**

بعد عام ١٢٨٩هـ استقر الحكم العثماني في عسير إلى عام ١٣٣٧هـ أي ما يقرب من ٤٨ سنة حيث أقيم للحكم العثماني إدارة في عسير أطلق عليها اسم "متصرفية" واتخذت من مدينة أبها مقراً لها وتقرر أن يتبع تلك المتصرفية ستة مراكز هي: جيزان ومركزها صبيا، محايل ومنطقة رجال المع ومركزها الشعبين ، بلاد رجال الحجر ومركزها النماص ، بلاد غامد وزهران ومركزها رغدان ، القنفذة . وكل مركز من هذه المراكز يسمى قائم مقامية وجميعها تراجع المتصرف في أبها وهو يراجع الوالي العثماني المقيم في اليمن أو الحجاز وأحيانا كان يراجع السلطان في استانبول[٤٤] . وخلال الفترة من عام 1289هـ إلى عام ١٣٣٧هـ جرت عدة أحداث تتعلق بالقنفذة كان من أبرزها عزل قائم مقام القنفذة عام ١٣١٣هـ حيث وجدت وثيقة من متصرف لواء عسير إلى قائمقام القنفذة والعاملين معه في إدارة مركز القنفذة يوضح بها عزل قائم المقام الأول الشيخ علي فائز بك وتعيين الشيخ فائز بك بدلا عنه[٤٥] .

كما وجدت وثيقة لحدود لواء عسير وأنا انقل النص بصفته التي ورد بها وفيها أخطاء إملائية ولغوية ورد بالوثيقة: (حدود لواء عسير في تهامة والسواحل من دوقة إلى أبو عريش وسواحلها من جهة ولاية مكة مرسى دوقة قبائله المشاييخ وزبيد ومرسى رحمان لبني زيد والمرفأ القنفذة ويبه مملحة وحلي والمرفأ البرك والقحمة والمرفأ الشقيق ومرسى الجعافرة والمرفأ جيزان هاذي جملت المرافئ البحرية ارتباطها القنفذة ومحايل وصبيا وأبوعريش)[٤٦] . كما ورد في وثيقة أخرى ما نصه: (مادة ٨ بيان أسماء قبائل قضاء القنفذة بني زيد أميرهم حسن بن خضر، زبيد أميرهم بن مرزوق، دوقة المشاييخ أميرهم شامان بني عيسى أميرهم ابن عويظة والسليتي، حرب وأميرهم محمد بن موسى بن المدرمح، أشراف الأحسبه أميرهم ابن المبارك، أشراف العجالين أميرهم ياسين، بني يعلا أهل يبه أميرهم بيطلي أبو عطله، بالعير أميرهم علي بن مديني وعرايفهم شعوان وعمر بن شيبة ومحمد بن سليمان وأبو عجرة وابن فارس، حلي مخشوش إبراهيم بن شامي واحمد صمي وابن الصغير وبن عجي. ماده ٩ العرضية المبنى أميرهم جابر بن جاري العسبلي، بني يحيى أميرهم علي بن سعد ودخيل، بني رزق أميرهم بن وهاس وبن عمار محمد، بني منتشر عساف بن علي وابن جريد وابن

٤٤- صفحات من تاريخ عسير .
٤٥- صفحات من تاريخ عسير .
٤٦- صفحات من تاريخ عسير .

درويش، آل سليمان وعمارة وبالحارث ردعان بن عبد الله وحسن بن معيض وول). هكذا ورد في نص الوثيقة. وصحة ضبط كلمة العرضية بالضاد المعجمة أخت الصاد المهملة وليست بالظاء المعجمة أخت الطاء المهملة كما وردت في الوثيقة.

- **عودة القنفذة بالتبعية الى مكة المكرمة .**

لقد عادت القنفذة الى ولاية شريف مكة كما ألمحنا فيما تقدم بعد أن التحقت بمتصرفية عسير عام ١٢٨٩هـ وذلك في عام ١٣١٣هـ حيث لم تدم في تبعيتها لمتصرفية عسير الا أربعة وعشرين عاما فقط حيث تم تعيين الشريف شنبر أميرا على القنفذة من قبل أمير مكة آنذك الشريف عون الرفيق وكان ذلك في تلك السنة – أعني سنة ١٣١٣هـ - وقد حدثت خلال تلك الفترة عدة حوادث من أبرزها حادثة اعتداء نفر من قبيلة العجالين على الموظفين اللذين قدموا من مكة الى القنفذة وهم يحملون معهم مرتبات جند الحامية التركية المرابطين في القنفذة وقد رويت تلك الحادثة رواية مغلوطة حيث وصفت بأنها ثورة العجالين والواقع ان تلك الحادثة ليست ثورة كما صورها البعض سامحهم الله بل حقيقة تلك الحادثة هي ان هناك نفر من الجهال البدائيين (العوام) عددهم لا يزيد على خمسة اشخاص فقط من قبيلة العجالين ما كانوا يعرفون بأن القنفذة في تلك السنة قد انفصلت عن متصرفية عسير وعادت الى والي مكة المكرمة وعندما قدم الموظفون من مكة عبر الطريق الساحلي من مكة الى القنفذة وعددهم ثلاثة اشخاص اعترض أولئك النفر عير الموظفين واستولوا على النقود التي كانت معهم وفروا الى المنطقة الجبلية واختفوا بها بعد أن لحق بالموظفين الثلاثة بعض الإصابات والجروح ، وعلم شيخ القبيلة بالحادثة وبعث أشخاص أحضروا له الموظفين وقام بعلاجهم وتضميد جراهم وسألهم عن شأنهم فأخبوره خبرهم وحقيقة أمرهم ، فذهب الشيخ للأمير شنبر وأعلمه بالخبر فغضب الأمير شنبر غضبا شديدا وبعث بفرقة عسكرية في الحال حملت الموظفين وحملت بعض رجال القرية من قبيلة العجالين وأودعهم السجن كرهائن حتى يتم احضار الجناة فاخبره الشيخ ياسين بن عمرو العجلاني الذي كان هو شيخ القبيلة ابان تلك الفترة بأن الجناة اشخاص جهال وسذج وبدائيين جدا من (العوام) لا يفقهون شيئا ولا يقدرون خطورة ما فعلوا وأنه مستعد بدفع كامل المبلغ واذا عاد الفارون الى القرية فسوف يحضرهم له لمعاقبتهم على ما اقترفوا من عمل غير لائيق . لكن الامير شنبر رفض اطلاق سراح السجناء الا بعد إحضار الجناة .

عندما يئس الشيخ ياسين من إمكانية اطلاق سراح السجناء الذين لا ذنب لهم سافر الى مكة المكرمة وقابل الشريف عون الرفيق وشرح له اسباب الحادثة وبين له أن الذين قاموا بذلك العمل والسَّطو على الموظفين هم أشخاص سذج بدائيين لا يدركون أهمية ما قاموا به ولم يكونوا على علم بأن القنفذة قد عادت الى ولاية مكة بل حسبوا أنها لا زالت تابعة لعسير وان النقود التي كانت مع الموظفين هي أموال لبعض تجار القنفذة وإذ لو علموا بأن القنفذة عادت الى ولاية مكة المكرمة وأصبحت تابعة لها وأن الموظفين هم أشخاص من رجال الدولة لما اعتدوا عليهم إطلاقا ويجب ان يعذروا في خطأهم هذا من جهة كونهم لم يخطر ببالهم بأن القنفذة قد اصبحت تابعة لمكة وأن طريق مناديب الدولة قد انتقل من طريق عسيرالقنفذة من جهة الشرق الى طريق مكة المكرمة القنفذة من جهة الشمال وإن كان ذلك لا يعفيهم من العقاب لأن الاعتداء على المسافرين يعد قطع طريق وهذا العمل يعتبر من الاعمال التي

يحرم فعلها ولكن ليس هناك من هو معصوم من الخطأ الا سيد المرسلين . فأصدر الأمير عون الرفيق أمرا بإطلاق سراح السجناء الذين لا ذنب لهم بعد أن قام الشيخ ياسين بدفع النقود لأمير القنفذة وتكفل بتسليم الجناة فور عودتهم الى القرية وهذا ما تم بعد ذلك .

- **موقعة عجلان عام ١٣٢٩هـ بالقرب من القنفذة:**

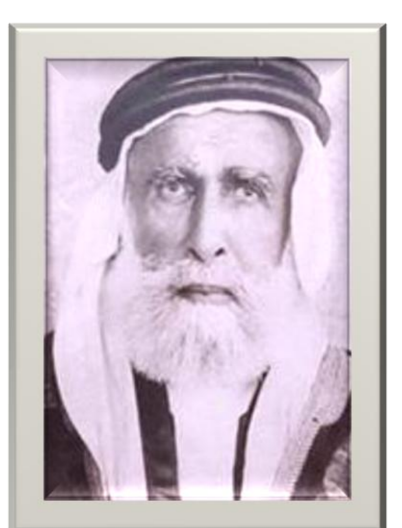
قبل الحديث عن تلك الموقعة يجدر بنا أن نشير إلى الأسباب التي أدت إلى حدوث تلك الموقعة، وملخصها أن السيد محمد بن علي الإدريسي قام بحصر متصرف لواء عسير سليمان باشا لمدة عشره اشهر حتى قيل بأن سليمان ومرافقيه أكلوا الكلاب والقطط من شدة الحصار فانتدبت الدولة العثمانية سنة ١٣٢٩هـ شريف مكة حسين بن علي باشا لفك الحصار عن سليمان باشا فوصل حسين باشا إلى القنفذة عن طريق البر وقابلته قوة تركية عن طريق البحر وقد نقل لنا تفاصيل تلك الرحلة الشريف شرف البركاتي كما كتب عنها نجل الشريف حسين الأمير (الملك فيما بعد) عبد الله بن الحسين نبذة مختصره عن موقعة (قوز بلعير) – وهي على الأصح موقعة عجلان - وننقل أولاً ما كتبه الملك عبد الله ثم نتبعه بعضاً مما كتبه الشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي في كتابة الرحلة اليمانية .

كتب الملك عبد الله عن حملة الشريف حسين باشا إلى القنفذة قائلا: (وتحرك الركب الهاشمي من الحجاز في فصل الأسد في حمارة القيض فوصلنا القنفذة والإنسان لا يستطيع أن يطأ الأرض الملتهبة كالنار وليس بالقنفذة من عربان البلاد المجاورة أحد سوى أهلها وكان في الصحبة ثلاثة طوابير نظامية يبلغ عددها ثلاثة آلاف جندي، وبعد أخذ الأهبة كانت الحركة نحو قوزابا العير وكان فيه قائد للسيد الإدريسي اسمه ابن خرشان ومعه عشائر تهامة، فأمرت أن اصطحب معي مائتي خيال وألف هجان مع تلك الطوابير والمدفعية فتوجهنا وكان معي المرحوم الملك فيصل (يقصد أخيه) وحيث أن التدريب العسكري للحركات الليلية كان غير كامل التدريب فلم تتمكن القوى التركية من قطع المسافة في الوقت المناسب إلا بعد تأخر تسع ساعات فوصلنا إلى نقطة بساحل البحر جنوبي القنفذة بها ماء يستطيع الإنسان شربه اسمه (أم الدبة) وبعد استراحة ثلاث ساعات توجهنا فأدركنا الزوال ونحن على طرف سهل صلب من رمل دمث والبحر بالناحية الغربية وأمامنا وادي (يبا) الكثير الحراج الملتف الأشجار والجيش يسير ويتقدمه الطابور الأول ثم الثاني ثم الأثقال ثم الطابور الثالث وعلى الجناح الأيسر القوى الهاشمية والخيل وعليها الأمير فيصل (الملك فيصل) وكانت القوتان تأتمران بإمرتي وقائد الطوابير الثلاثة هو القائد زكي بك الشركسي).

وأردف يقول (ولدى قدومنا إلى ذلك المحل عاد ألينا ضيف الله العبود ومعه كوكبة من الخيل عُين ليكشف ما وراء الحرجة وما بها فقال إنها محشوة بالرجال، وفي تلك الأثناء وإذا البقية من العيون – أي القوة الكاشفة – تعود مسرعة ، ثم عادت المقدمة من الهجانة وهي منهزمة متوجهة نحو الغرب إلى ناحية البحر وإذا بجحيم من النار يطلق فجأة من تلك الأحراج فأمرت زكي بك بالتوقف وأشرت عليه بأن يسوق الطابور في شكل الصيادة ويكون الطابور الثاني احتياطية وان تقف الأثقال وان تقف أيضا القوى الهاشمية فإذا دفعناهم وجاء الوقت المناسب أمرت القوى الهاشمية بالهجوم والتعقيب من ناحيتها فحرر هذا الأمر ووقع منه ومني وأرسل إلى الأمير فيصل والى قواد الطوابير فسرنا والتحمنا مع القوى الكامنة في الأحراج فدفعناهم وتوغلنا وقبل أن يأتي الوقت ويصدر الأمر بهجوم القوة

المعاونة وإذا بنا نراهم يهجمون مسرعين وأن ليس أمامهم إلا زرع يحصد ، فقلت لزكي بك: مر الطابور الاحتياطي يتقدم إلى الميسرة حيث كانت فيه القوة المعاونة فإنني لست آمن عليهم الهزيمة الآن. فقال: إنه لا يستطيع ترك القوة الآن ورجاني أن ابلغ هذا الأمر بذاتي ، وقبل أن أتم – معه – المحاورة وإذا بالمرافق يقول لي : انظر ياسيدي إلى يسارنا ! فإذا بالقوة المعاونة ترتد لا تلوي على شيء وقد بلغت إلى حيث الطابور الثاني وكان يقوده إسماعيل بك. فقلت سر بالطابور (ويقصد زكي بك) وخذ موقعا إلى يسار الطابور الأول أما القافلة فمرها لترجع إلى (أم الدبة) وليكن الطابور الثالث هو الاحتياطي، وإذا بالرجل يمسك بعرف جواده يتقيأ ولم يكن في حالة ترضيني ورأيت فيه من الجبن ما أزعجني فكررت الأمر فلم يصغ ، وإذا بنا نضرب من الميسرة ضربا مروعا. وبعد ثلاثة أرباع الساعة كان الأمر في غاية الحرج ، وإذا بفريق من الهجانة فأنختة بين السبخاء والموقع الرملي وشرعت أدافع ما استطعت وإذا بأناس من المنهزمين يلتحقون بي وهم فرسان عرفوا بالنجدة كفاجر بن شليويح وحبيليص الشيباني وفهد العرافة بن سعود وبعض الأشراف ثم لحق بي الشريف شاكر بن زيد ولم يكن لنا منهم إلا الثبات لتخليص القوة العثمانية من موقفها القتالي . وبالنتيجة لم يسلم من الطوابير الثلاثة إلا سبعون نفراً . ولما أن أعيدت الحملة والمدافع إلى أم الدبة كنت آخر من ترك الموقف .. ووصلنا إلى القنفذة في اليوم الثاني بخسارة عظيمة ولو كرالأدارسة ليلتها أو الليلة الثانية لقضوا على الجميع ،، كانت هذه الواقعة واقعة (قوز أبا العير) والتراجع الذي وقع من القوة المعاونة العربية السبب الأول في سوء الظن الموجه إلينا من باقي قوات الحملة التركية وأولهم الميرالاي نظيف بك وكأنهم نسوا ما كان يحيق بهم من حركات كهذه في اليمن وعسير وفي جبل الدروز والكرك وفي كل مكان)[٤٧] .

هذه هي الرواية التي نقلنا نصها كاملاً كما ورد في كتاب الملك عبد الله بن الحسين "مذكراتي".



الشريف حسين بن علي باشا



الملك عبدالله الاول بن الحسين



الملك فيصل الاول بن الحسين

٤٧- مذكراتي – الملك عبدالله بن الحسين

رواية الشريف شرف البركاتي:-

أما الشريف شرف البركاتي فقد أصدر كتابا سماه "الرحلة اليمانية" نقل من خلاله مسيرة أمير مكة الحسين بن علي باشا عندما توجه إلى القنفذة ومنها إلى أبها لفك الحصار الذي ضربه السيد محمد بن علي الإدريسي على أبها وقد كتب شرف البركاتي قائلاً :

(كان قيام دولة أمير مكة وجيشه المنصور من مكة المكرمة يوم الأحد الموافق ١٣٢٩/٤/١٦هـ وذلك من اجل فلك الحصار الذي ضربه السيد محمد بن علي الإدريسي على المتصرف العثماني في ابها سليمان باشا التركي حيث كلف الوالي العثماني محمد رشاد دولة أمير مكة المكرمة الشريف الحسين باشا بالتوجه إلى القنفذة ومنها إلى أبها لفك الحصار الذي فرضه السيد محمد الإدريسي على المتصرف العثماني بأبها)[٤٨] .

هذا وقد كان الشريف شرف أحد المرافقين لدولة أمير مكة آنذاك فوصف مسيرة الأمير من مكة إلى أبها في مسيرة ذهابه عن طريق الساحل ، ثم وصف طريق عودته عن طريق بلجرشي والطائف وحينما وصل الجيش إلى القنفذة فكتب الشريف شرف عن مدينة القنفذة قائلا : (وبعد صلاة الصبح أمر حفظه الله - يقصد الأمير الحسين باشا أمير مكة آنذاك - بالرحيل فارتحل الجيش في الساعة الحادية عشرة –غروبي – ونزل الساعة الثالثة صباح يوم الأربعاء الرابع منه - يقصد ٤/٥ /١٣٢٩هـ - في وادٍ يقال له قنونا بمحل يسمى (أم الجرم) في الجهة الشرقية من مرفأ القنفذة وهذا المكان هو تاسع مرحلة من مكة ويبعد عن القنفذة بسير ساعة للراجل ،، ووادي قنونا وادٍ عظيم وبه جداول ماء تسيل على وجه الأرض وعيون عذبة الماء للشرب وهو لقبائل بني زيد ويزرع به الدخن والذرة بكثرة ومن كثرة الحبوب به تباع بثمن زهيد جدا فكل خمسة عشر مدا من الحب تساوي من الثمن بعملتهم (ريال بطيرة) وقيمته عشرة قروش مصرية والمد اليمني يبلغ وزنه ثلاث أقق على الأقل فيصير كل خمس وأربعين أقة من الحب بعشرة قروش مصرية. والمحل المسمى بأم الجرم ملك الأشراف ذوي زيد القاطنين بمكة والمتولي أعمالها وزراعتها عبيد لهم ومواليد عتقاهم. وأما بندر القنفذة فهو واقع على البحر الأحمر وهو مرفأ عظيم حتى أن البواخر البحرية تسير فيه إلى قريب الشاطئ وهذه المدينة ثلثها مبني بالأحجار والثلثان الباقيان أكواخ مصنوعة من جريد النخل وخشب وأشجار السمر والطرفاء ولهم فيها صناعة جميلة واعتناء تام حتى أنها تمكث ثلاثين سنة تقريباً. وأغلب البيوت المبنية بالأحجار طبقة واحدة عدا محلات الحكومة والأغنياء من التجار فبيوتهم طبقتان. وبها محجر صحي، وثكنة للجند العثمانيين، وجمرك، وجميعها مبنية بالحجر وخلافه ميلاً، وفي خارج البلد قلعة للحكومة العثمانية ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة "ربما انه كان يقصد الطاحونة أو انه قصد مبنى يسمى القشال قيل لي انه كان شرق البلد لكنه تهدم قبل أن أراه". وبهذه المدينة سوق عظيم يوجد فيه جميع ما يحتاجه الإنسان من ملبس ومأكل وخلافه. وتردها أنواع الخضروات والليمون والموز والقطن والسمسم

٤٨- الرحلة اليمانية – شرف البركاتي

والعدس وما شاكلها من أوديتها. أما الفواكه فترد لها من جهة بين تهامة والحجاز تسمى (المخواة) وبها ثلاثة حوانيت عظيمة لبيع أصناف البقالة احدها لشخص رومي، والدجاج فيها بكثرة وهو رخيص فثمن الواحدة قرشان مصريان. وبها مسجدان عظيمان للصلاة. ومن عوائد أهلها أن رجالها يلبسون الأحذية نهاراً والقباقيب ليلاً، أما النساء فلا يلبسن في أرجلهن شيئا أصلا بل هن حافيات على الدوام. ومن عوائد أهلها أيضا أن الرجل لا يخرج من منزله صباحا لقضاء أشغاله إلا بعد تناول طعام الإفطار وبعد خروجه تخرج زوجته مستترة بملابسها بحيث لا يبدو منها سوى قدميها الحافيتين ومعها ثلاث (جَبْنات) قهوة والجَبْنة في عرفهم وعاء للقهوة من الفخار، ثم تذهب إلى بيوت صويحباتها فإذا دخلت عند إحداهن سكبت لها صاحبة المنزل فنجاناً من قهوتها التي معها وبعد أن تشربه تخرج من بيت إلى آخر وهلم جرا حتى تخلص قهوتها ثم ترجع إلى منزلها ولهن محافظة تامة على هذه العادة) ثم قال بعد أن زعم أن أهل تلك المنطقة سذج بسطاء: (وسأذكر لك مثالا على سذاجتهم بينما نحن جلوس بالقرب من مكان دولة الأمير في يوم من الأيام ونحن مقيمون في أم الجرم إذ حضر اثنان من شيوخ قبائل تلك الجهة ولم يزالا سائرين حتى قربا من المكان الذي ينزل فيه دولة الأمير فقابلهم رئيس حجاب الأمير وسألهما عن مرادهما فأجاباه أننا نريد مقابلة (عبد الله بك) نجل الأمير فظننا أنهما إنما حضرا لأمر مهم جدا فلما حضر نجل دولة الأمير سألهما ماذا تريدان؟ فقالا له: خذ هذه القربة وأملأها ماء! فعجب من أمرهما غاية العجب وأمر بإعطائهما مرادهما ثم انصرفا) .ا.هـ هكذا نقل لنا شرف البركاتي كيف وصل الركب الهاشمي إلى القنفذة في عام ١٣٢٩هـ وأنا لا أحسب أن أهل القنفذة قد وصلت بهم السذاجة إلى أن يأتي اثنان من شيوخهم ثم يسألان عن الأمير عبد الله بن حسين باسمه شخصياً ثم عندما يرياه يطلبا منه أن يملأ لهما قربتهما ماء! إن من كان ساذجا كما توقع شرف البركاتي فلن يسأل عن الأمير شخصياً بل سيطلب من أي شخص يقابله أن يملأ له قربته ماء. ولكنني أتوقع أن الشخصان اللذان جاءا إلى مخيم دولة الأمير حسين باشا ثم سألا عن نجله الأمير عبد الله شخصياً إنما كانا عيون للإدريسي وربما قصدا معرفة الأمير عبد الله شخصياً بصفته أحد قواد الجيش الشريفي وهم الأمير فيصل بن الحسين وأخوه الأمير عبد الله المعني هنا والجميع تحت إمرة القائد الميداني نظيف بك التركي والثلاثة يأتمرون بأمر القائد العام للحملة الشريف حسين باشا فالجانبان العثماني والإدريسي في حالة حرب وربما كان يريد أنصار الإدريسي أن يتجنبوا تعريض احد الأمراء الأشراف للقتل حينما تبدأ المعركة القتالية بالفعل بين الجانبين حتى لا يثير ذلك الأمر حفيظة الأشراف ضدهم وهم كثر في محافظة القنفذة وفي حلي والمعركة أصلاً ليست بين الأشراف وبين الإدريسي وإنما هي بين الإدريسي وبين الدولة العثمانية وبالتحديد الحامية العثمانية في أبها ولم يأتي الشريف حسين باشا إلا بالتكليف العثماني له لفك الحصار عن الوالي العثماني سليمان شفيق كمالي باشا المحصور في أبها والذي تم حصره من قبل قوات الإدريسي لأكثر من تسعة اشهر ولم ينتهي عنه الحصار إلا بواسطة الحملة التي قادها حسين باشا إلى أبها عبر القنفذة. ومن اجل ذلك فالمرجح عندي أن الأمر ليس أمر سذاجة وإنما هو أمر سياسة[٤٩].

٤٩- الرحلة اليمانية – شرف البركاتي

- **اتفاق إيطاليا مع الإدريسي وضرب السفن العثمانية للقنفذة:**

إن من المناسب ونحن نتحدث عن دور السيد محمد الإدريسي أن نشير إلى الدور الإيطالي الذي من خلاله تم الاتفاق بين ايطاليا وبين السيد الإدريسي فنقول: أولاً إن إيطاليا عندما أعلنت الحرب على ليبيا عام ١٩١١م أي في عام ١٣٣١هـ تقريبا وذلك أن ليبيا تعتبر آخر الولايات العثمانية في شمال أفريقيا والتي لم تكن سقطت في يد الاستعمار الأوروبي وهو الاستعمار الذي أخذ يجتاح ولايات الدولة العثمانية بعد مؤتمر برلين عام ١٨٧٨م. وقد أنشأت ايطاليا فرعين لبنك روما في برقة وطرابلس ونجحا هذين الفرعين في الاستيلاء على أراضي الليبيين عندما عجزوا عن سداد القروض. وطلب الليبيون من الدولة العثمانية النجدة بأن تمنعهم من الأطماع الإيطالية لكن الدولة العثمانية لم تهتم بطلبهم واستغلت إيطاليا علاقاتها مع انجلترا وكذلك تسوية الأوضاع بينها وبين فرنسا ولم تعارضها في مراكش كما حصلت على موافقة من روسيا وألمانيا وانجلترا على احتلالها لليبيا واستغلت إيطاليا ظروف كثيرة ومتعددة كلها كانت في صالحها ومنها عزل السلطان عبد الحميد وقيام حركة الدستور وإهمال الاتحاديون لولاية ليبيا فشنت إيطاليا الحرب على ليبيا واحتلت طبرق ودرنة والخمس وأخذ الصراع يحتدم بين القوات الايطالية والقوات التركية في ليبيا وقد أسقطت القوات الإيطالية قنبلة عن طريق الجو على القوات التركية ولم تكن تركيا تملك سلاحاً جوياً ولم تكن القوتان متكافئتان ونحن لا نريد التوسع في هذا الأمر حتى لا نخرج عن صلب الموضع ولكن نريد أن نقول أن إيطاليا عندما قامت الحرب العالمية الأولى وحربها مع تركيا لازالت في ليبيا مستعرة رغم بقاء ايطاليا إلى فترة على حياد عن الإنجرار للوقوف مع احد الأطراف قبل أن تعرف حقيقة الموقف ثم استغلت الظروف الدولية وعقدت اتفاق مع السيد الإدريسي في صبيا لمساعدته بضرب القوات العثمانية على الساحل الشرقي المقابل لجزيرة سواكن وهو ساحل القنفذة طبعا وبالفعل تم ذلك فقامت البوارج الإيطالية بضرب السفن العثمانية بالقرب من ميناء القنفذة. حيث تعرضت السفن العثمانية لضرب البوارج الإيطالية لها ولازالت بقايا السفن العثمانية غارقة في البحر بالقرب من القنفذة إلى يومنا هذا منذ عام ١٣٢٧هـ وذلك لأن الحرب العالمية الأولى عندما اندلعت نيرانها وتكالبت فيها الأعداء وتقاطعت المصالح أوجدت الكثير من التداخلات السياسية التي يصعب حصرها في مجال واحد ورأينا من المناسب أن نشير إلى ما كان له صلة بهذا البحث في أثناء الحديث عن الاتفاق الذي حدث بين الإدريسي وإيطاليا.

ولازالت تلك السفن غارقة في شواطئ القنفذة إلى اليوم كما أسلفت. إلا أن الاتفاق الذي حصل بين السيد محمد الإدريسي وبين إيطاليا لم يتجاوز إمداد الأخيرة له بالذخيرة ووقفت علاقته بها عند هذا الحد واستبدالها بعلاقة جديدة مع بريطانيا في السنة الأولى من قيام الحرب العالمية الأولى، ومما يجب الإشارة إليه ونحن بصدد الحديث عن الحرب العثمانية الإيطالية أن نشير إلى بعض الأسماء التي لمعت في بعض المصادر لبعض رجالات القنفذة الذين ساندوا العثمانيين في حربهم مع ايطاليا أثناء قصف السفن العثمانية بشاطئ القنفذة من قبل بوارج ايطاليا ومن تلك الأسماء التاجر بامحرم الذي كان يملك أربعة محلات تجارية في القنفذة ويمد عسير ببعض المواد التموينية وكذلك عائلة باجبير في جدة والقنفذة فهذه الأسماء برزت أثناء شن إيطاليا لحربها ضد الدولة العثمانية وضربها لميناء القنفذة. وعندما قامت الحرب العالمية الأولى استغلت بريطانيا الظروف المواتية ضد تركيا فشجعت شريف مكة على إعلان الثورة ضد تركيا وقامت بمساعدته عن طريق مبعوثها لورانس وعقدت اتفاقا مع السيد الإدريسي في صبيا وقامت

بمساعدته واعترفت له بالسيادة على تهامة من القنفذة شمالاً حتى اللحية جنوباً وتعهدت بحمايته من أي تعد خارجي حتى تأمن جانبه وهي تخوض الحرب ضد تركيا، إلا أن هذا الأمر قد أزعج الشريف حسين باشا وبيان ذلك هو:

(في شهر رمضان عام ١٣٣٤هـ أمر الإدريسي قواته بحصار مدينة القنفذة من جهة البر لضرب الحامية التركية التي بها أو أن تعلن استسلامها له وفي الوقت نفسه وصلت السفينة البريطانية فوكس ومعها ثلاث سفن أخرى إلى شاطئ القنفذة لمساعدة القوات الإدريسية من البحر وقبل القيام بالعملية الحربية استدعى الكابتن بويل القائد العثماني وعمدة المدينة إلى السفينة فطلب منهم الاستسلام فرفضا فأعطاهما مهلة إلى الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي ولما لم يستجيبا أمر بويل قائد السفينة فوكس بإطلاق المدافع حتى اضطرت الحامية التركية للاستسلام فدخلت القوات الإدريسية وأسرت الحامية التركية وقد هرب من عسكرها الكثير ولم يبق سوى عشرة ضباط وخمسة وتسعين رجلاً وبذلك تمكن الأدراسة من الاستيلاء على القنفذة ورفع العلم الإدريسي عليها.

وقد نشأ عن استيلاء الإدريسي على القنفذة مشكلة بينه وبين الشريف حسين عُرفت هذه المشكلة بأزمة القنفذة وقد قرر الشريف حسين أن يستولي على القنفذة بأي طريقة سلماً أو حرباً فأخطر بريطانيا بذلك وهدد بوقف عملياته ضد العثمانيين إن لم تستجب بريطانيا لطلبه وهنا وجدت بريطانيا نفسها في ورطة فعرضت على الإدريسي رغبة الحسين في استعادة القنفذة سلماً أو حرباً وأنها لا تؤيد الحرب وعرضت على الإدريسي أن يجلي قواته من القنفذة خلال ٤٨ ساعة وكان ذلك في شهر شوال من العام نفسه وقد رفض الإدريسي ذلك الأمر وأصر على موقفه متحدياً الشريف حسين باشا لكن مارست بريطانيا ضغوطها عليه حتى تم اقتراح لقاء بين الإدريسي وبين حسين باشا في مدينة البرك وعقد اللقاء على ظهر السفينة البريطانية – نورث بروك – وكان ذلك في يوم الاثنين ٢١ شوال ١٣٣٤هـ وانتهى بتسليم القنفذة للشريف حسين باشا وخروج القوات الإدريسية منها)[٥٠].





الإمام محمد بن علي الإدريسي

٥٠- الادارسة والعثمانيون – د/ يوسف العارف .

الفصل الرابع

- **الباب الأول: مرحلة النمو والإزدهار**

  - المرحلة التي تلت خروج السيد الادريسي من القنفذة
  - خروج القنفذة من تبعية شريف مكة
  - دخول القنفذة في العهد السعودي الزاهر

- **الباب الثاني: القنفذة بين الأمس واليوم**

  - القنفذة كما كانت قديما وكما رأيتها اليوم
  - البحوث والتوثيقات عن مدينة القنفذة
  - القنفذة والمراكز والقرى والقبائل التي تتبعها

- **الباب الثالث: النشاط السكاني والمرافق الهامة و مواقع السياحة**

  - النشاط السكاني في محافظة القنفذة
  - المصالح الحكومية والاهلية القائمة في محافظة القنفذة
  - المواقع السياحية والمرافق العامة في القنفذة

- **الباب الرابع: أهم المعالم الأثرية في محافظة القنفذة**

  - سوق حباشة
  - مخلاف عشم
  - جولة ميدانية حول عشم

الفصل الرابع

الباب الأول
مرحلة النمو والازدهار

- **المرحلة التي تلت خروج السيد الإدريسي من القنفذة**

لم تلبث بريطانيا بعد أن أصلحت الأمور فيما بين حليفها الشريف حسين في مكة والسيد الإدريسي في صبيا أن شنت الحرب بواسطة أسطولها في الهند على العراق واحتلت البصرة وحركت قواتها من مصر بواسطة مندوبها السامي السير مكماهون ثم تولت دعم ثورة الشريف حسين في الحجاز وبعثت بالضابط لورانس الذي عرف باسم – لورانس العرب - مع نجله فيصل الذي حاصر المدينة لطرد الأتراك منها ولم يفلح ثم تركها وتوجه إلى فلسطين ومنها إلى سوريا وفي خضم هذه الصراعات حدثت أمور جذرية أهمها زوال أربع إمبراطوريات كبرى هي ألمانيا والنمسا، هنغاريا، روسيا القيصرية، الدولة العثمانية. ويدخل ضمن تلك الأحداث الجسيمة ما مهد الظروف التي أدت إلى ذهاب إمارة أشراف الحجاز بعد فشل ثورة الشريف حسين باشا وفشل الرسائل التي تبادلها مع السير مكماهون المعتمد البريطاني في مصر الذي لم يكن يريد إلا استخدام الشريف حسين باشا كأداة للتغلب على العثمانيين فقيض الله الملك عبد العزيز في الوقت المناسب وحسم الأمر في إمارة الشريف ثم تم إعلان توحيد المملكة العربية السعودية فيما بعد أن قُضى على كل القوميات والعصبيات وبسط سلطة الشرع الحنيف في ربوع المملكة العربية السعودية.

- **خروج القنفذة من تبعية شريف مكة**

قبل أن نرى كيف كانت بدايات خروج القنفذة عن التبعية لشريف مكة واستقبالها للعهد السعودي الزاهر، أقول قبل الدخول في هذا الأمر يحسن بنا أن نشير إلى بداية خروج الحجاز بصفة عامة من تبعيته للدولة العثمانية وما هي الإرهاصات التي أدت إلى ذلك والتي اشرنا إلى بعضها استطراداً أثناء الحديث عن إعلان الحسين للثورة ضد الدولة العثمانية ونريد هنا أن نوجز القول في ذلك حتى نصل إلى النقطة التي نربط من خلالها دخول القنفذة تحت سلطة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه.

فنقول: دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ضد بريطانيا والحلفاء ولما كانت الولايات العربية تشكل قلب الدولة العثمانية وكان الاتفاق الأساسي يدور حولها وهو ما تجلى في معاهدة "سايكس بيكو" وكان من غير الممكن تنفيذ تلك الاتفاقية إلا بعد أن تتم هزيمة تركيا من الناحية العسكرية لذلك تمت اتفاقات مع بعض زعماء العرب وهو ما تطور إلى اتفاق الحسين – مكماهون خلال الرسائل المتبادلة بينهما، وبعض المصادر تشير إلى أن بريطانيا قد تجنبت الدخول في مشروعات دولية لتصفية الدولة العثمانية فأخذت تشجع الشخصيات العربية كالحسين والإدريسي

والملك أحمد فؤاد وهي شخصيات كانت مناهضة للاتحاديين في تركيا وأصبحت القاهرة مركزاً لذلك النشاط الذي تبلور أثناء الحرب في شخصية الشريف الحسين بإعلانه للثورة ضد تركيا وإطلاق أول رصاصة لها بيده من قصره في مكة المكرمة يوم ٨/٩/ ١٣٣٤هـ لأن علاقته كانت متوترة مع الاتحاديين بسبب سياستهم التي كانت تقوم على المركزية وكان يرى في ذلك تحطيما للشرافة حينما يصبح مصير القرارات بيد الحكومة في اسطنبول.

لم يتوقف أمر الحسين عند الشرافة بعد استعار نار الثورة العربية بل أصبح يطالب بالخلافة وقيام دولة عربية كبرى وبدأ يتحسن موقف العرب في مساندته ولكن حدثت الطامة الكبرى عندما فوجئ الجميع بركل بعض الضباط الانجليز لقبر صلاح الدين الأيوبي في دمشق معلنين أن هذه هي آخر الحروب الصليبية وبارتفاع علمي بريطانيا وفرنسا على المناطق التي قاتل فيها العرب شمال شبه الجزيرة العربية وعند هذه النقطة بالذات حلت الكارثة على الأمة العربية وخيمت عليهم سحابة عظيمة من خيبة الأمل في بريطانيا وحليفاتها .. وأتوقف هنا عن الحديث عن الدور الشريفي الذي أكل فيه حسين باشا مقلب الخديعة والمقلب القاسي حينما منح ثقته لبريطانيا ووثق في وعودها الكاذبة، وانتقل مباشرة إلى ضم السلطان (الملك) عبد العزيز للحجاز بعد أن تيقن تيقناً تاماً بأن الحسين لم يكن إلا لعبة مؤقتة بيد بريطانيا ثم اتبع ذلك بدخول القنفذة تحت العهد السعودي وهو الأمر الذي أسعى أنا إليه هاهنا.

- **دخول القنفذة في العهد السعودي الزاهر**

كلنا يعرف التوتر الذي أصاب العلاقات بين الشريف حسين والملك عبد العزيز عندما منع الأول أهل نجد من الحج لأسباب سياسية فقرر الملك عبد العزيز دخول مكة للحج ولو بالقوة وتم ذلك وتنازل الملك حسين عن الملك لأكبر أنجاله الملك علي الذي انتقل إلى جده وحاصره الملك عبد العزيز وأقام معسكراً لذلك الغرض في ابرق الرغامة شرق جده إلى أن سلم الملك علي جدة وتنازل عن الملك ورحل بعد أن ضمن الملك عبد العزيز سلامتة وحقوق وأملاك الأشراف الخاصة في مكة. في هذه الأثناء كان يدرك الملك عبد العزيز أهمية ميناء القنفذة وقد ذكر فؤاد حمزة صاحب مصنف "قلب جزيرة العرب" أن الملك عبد العزيز أنفذ نجله فيصل على رأس قوة كبيرة من الإخوان في شهر شوال عام ١٣٤٠هـ (يونيو ١٩٢٢م) وتمكن بالتدريج من تدويخ بني شهر وقبائل عسير وفتح حرملة حصن ابن عائض الحصين وشتت شمل قوات بن عائض .. إلى أن قال: (وتم بذلك الاستيلاء على منطقة عسير السراة حتى حدود اليمن من الجنوب وحدود الإدريسي من الغرب حتى القنفذة وديار غامد وزهران في الشمال) [٥١] .

ونستخلص من قول فؤاد حمزة (وتمكن بالتدريج) أي استمرت سيطرة الملك عبد العزيز تسير بالتدريج إلى أن تمت محاصرة الشريف علي بن الأمير حسين باشا في جدة بعد أن دخلت القوات السعودية أرض الحجاز وعندما كان الملك عبد العزيز معسكراً في ابرق الرغامة أرسل وفداً من عسير برئاسة محمد بن عجاج وتركي بن ماضي لإستلام على ميناء القنفذة من الشريف عبد الله بن حمزة والي القنفذة من قبل شريف مكة ولم يلق الوفد أي مقاومة تذكر حيث سلم الشريف عبد الله بن حمزة بالأمر

٥١- قلب جزيرة العرب – فؤاد حمزة .

الواقع وغادر القنفذة دون أن يتعرض لأي إيذاء بعد أن سلم كل ما بعهدته ورحل في غرة ربيع الثاني عام ١٣٤٣هـ. فهكذا كانت سياسة الملك عبد العزيز فهو لم يكن يبحث عن التنكيل وسفك الدماء بل كان يبحث عن الصفح وحفظ الحقوق وإرساء قواعد الشرعية الصحيحة لأنه كان يسعى إلى بناء كيان ولم يكن يبحث عن تيجان وصولجان، وقد تم تعيين محمد بن عجاج أميراً على القنفذة وعين تركي بن محمد بن ماضي وكيلا للمالية[٥٢].

كما ورد بصحيفة أم القرى بناءً على ما جمعه سعيد احمد باسندوة حيث جاء بها انه قد صدر الأمر السلطاني بتعيين مساعد بن سويلم أميراً للقنفذة وذلك في شهر شوال عام١٣٤٣هـ وهذا يتعارض مع الخبر الذي مفاده أن أول أمير عين للقنفذة في عهد الملك عبد العزيز كان اسمه محمد بن عجاج وذلك في غرة ربيع الثاني عام ١٣٤٣هـ.

أما ميناء القنفذة فقد أصبح ميناءً سعودياً في ١٣٤٣/٧/١٤هـ وفي نفس الوقت طلب الملك عبد العزيز إرسال المواد الغذائية من ميناء القنفذة للجيش السعودي الذي يحاصر جده وقال الملك عبد العزيز كلمته الشهيرة: ميناء القنفذة هو ميناء الوطن، وقد كان يوجد في ميناء القنفذة اكبر أسطول تجاري يبلغ عدد سفنه ١٢ سفينة تجارية تقدر حمولة الواحدة منها بألف طرد من المنتجات المحلية[٥٣].
كما سجلت لنا بعض المصادر وجود وثائق تاريخية تؤكد استخدام ميناء القنفذة باباً لمكة المكرمة فقد أرسل الملك عبد العزيز رحمه الله رسالتين مؤرختين في ١٦/ ١٠/ ١٣٤٣هـ إلى كل من حاكم عدن ورئيس جمعية الخلافة في بومباي يؤكد لهما استعداد ميناء القنفذة والليث لاستقبال حجاج جهاتهم[٥٤].

كما أن القنفذة أصبحت في عام ١٣٤٣هـ مركز للاتصال مع الداخل والخارج حينما انشأ بها الملك عبد العزيز مقرا للبريد وجهاز لاسلكي لإرسال البرقيات.

وفي عام ١٣٧٤هـ بعد وفاة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه قام الملك سعود بزيارة لمدينة القنفذة عن طريق البحر وكان من نتائج تلك الزيارة إنشاء رصيف لميناء القنفذة لازال قائما إلى اليوم ولكن بسبب اعتماد الأهالي على النقل البري من ميناء جدة قل الاعتماد على ميناء القنفذة وأصيب بركود تجاري تام.

هذا وقد ورد باحد أعداد جريدة أم القرى عام ١٣٤٣هـ ما نصه: (البواخر في القنفذة ،، وقد قررت الشركة البحرية الهندية أن تعتبر ميناء القنفذة من السواحل التي ترسو فيها سفنها وبالفعل وصل ميناء القنفذة قبل ستة أيام باخرة اسمها "هلال" وأنزلت ما يزيد على ثلاثة آلاف طرد من مختلف الأرزاق

٥٢- منتدى القنفذة – الشبكة العالمية
٥٣- شبة الجزيرة – خير الدين الزركي
٥٤- صحيفة القوز الالكترونية

والحاجيات وقد سافرت الباخرة من القنفذة إلى السويس وستعود إلى القنفذة حاملة كمية عظيمه من الكاز وسيكون مرور هذه السفن من القنفذة كل خمسة عشر يوما مرة واحدة[٥٥].

وفي حوادث عام ١٣٥١هـ نقل لنا خير الدين الزركلي في مصنفه "شبه الجزيرة العربية" وهو يورد قصة انقلاب الحسن الإدريسي على الأمير السعودي فهد بن زعير الذي أصبح أميراً للقنفذة فيما بعد حيث قال الزركلي: (وصل الخبر إلى الملك عبد العزيز في الرياض – ويقصد خبر أن الحسن الإدريسي والأمير السعودي فهد بن زعير على غير وفاق فأوفد بعثة للإصلاح بينهما قوامها حمد السليمان الحمدان (وكيل وزارة المالية) وخالد أبو الوليد القرقني (من المستشارين الملكيين) وآخرون ،، واصحبهم بعدد من الجند واركب البحر فريقاً من المقاتلة احتياطاً للطوارئ ووجههم على سنبوك إلى جيزان.) إلى أن قال: (فأبرق إلى رئيسي البعثة حمد السليمان وخالد أبي الوليد أن يتوقفا ومن معهما في القنفذة وأمر بتجهيز جيش للزحف إلى صبيا غير أن البرقية وصلت إلى القنفذة بعد قيام البعثة منها[٥٦].

٥٥- صحيفة ام القرى
٥٦- شبه الجزيرة الزركلي

الفصل الرابع

الباب الثاني

القنفذة بين الأمس واليوم

- **القنفذة كما كانت قديماً وكما رأيتها اليوم**

عوداً على ذي بدأ نقول: يشاع عند العامة اليوم أن سبب تسمية القنفذة بهذا الاسم يعود إلى امرأة كانت تسمى بـ (القنفذة) كانت أول من أقام مسكناً في موضع هذه البلدة فتسمى الموضع باسمها واكتسبت هذه البلدة اسمها من ذلك.

لكن يأبى الخيال الشعبي إلا أن يضيف إلى ذلك بعض الشيء فيقال إن زوج هذه المرأة كان يسمى بـ (البندر) فتسمت البلدة باسميهما (القنفذة) و(البندر)، ونحن قد فصلنا القول أثناء الحديث عن سبب التسمية فيما مر معنا في موضعه.



هذه الصورة أخذت للمؤلف في سني الدراسة المتوسطة وتحديداً حينما كنت في الصف الثالث متوسط وكان يسمى - (الكفاءة). وحينما انظر الى تلك المرحلة من سني حياتي في مدينة القنفذة أشعر بفارق البعد الزمني والتطور النوعي والكمي الذي حدث منذ ذلك الزمن حتى عصرنا الراهن ...

وقد تعرضت القنفذة للعديد من النكبات كان من أهمها ما سجله لنا العصامي في حادثة تصور فداحة وقوة الكارثة التي تعرضت لها هذه المنطقة فيقول: (في هذا الشهر جمادى الأولى سنة ١٠٧٩هـ تواتر الخبر من جهة أرض اليمن باشتداد الجدب والقحط فيها كالقنفذة وصبيا والتهائم ونواحيها وفي بعض الأيام بالقنفذة وجدوا في دار امرأة حجامة رجلين مقتولين احدهما مأكول والآخر شرعت في أكله وأعضاء أطفال منها طريٌ ومنها يابس فأمسكت وأغرقت في البحر وقيل وضعت على الجزيرة التي أمام القنفذة وسط البحر ففقدت ليلة الوضع.

أما القنفذة كما عرفتها أنا شخصيا فقد كان جزءها الغربي يقع بين مصبي وادي قنونا الشمالي والجنوبي مطلاً من جهته الغربية على شاطئ البحر ويكتنف جهته الجنوبية الشرقية شبه خليج صغير يمتد شرقاً في وقت المد ويعود غرباً في وقت الجزر أما جزءها الشرقي فيطل من جهته الشرقية على كثبان رملية تفصل الحارة الشرقية عن مجرى ماء وادي قنونا الذي يتيامن قليلاً إلى الجهة الشمالية ثم يتياسر ليتجه غربا فيفرغ في شبه الخليج المتقدمة صفته آنفا.



صورة للبيوت الحجرية القديمة في القنفذة



هذا ما كان يعرف بالمحناط . وهو محل بيع الحبوب كالذرة والدخن

وبعد أن شملها المد الحضاري والعمراني في هذا العهد الزاهر الميمون ،، عهد المملكة العربية السعودية ،، فقد امتدت مدينة القنفذة شمالاً وجنوباً محتضنة مصبي وادي قنونا بين نهديها فكأنها ترضع من ثدييها توأماً لها مقسمةً أن لا تفارقهما إخلاصاً ووفاءً وبراً منها لهما، كما أقسما هما أيضا أن لا يبارحاها بِرّاً ووفاءً لها . ومن يقرأ الرواية العتيقة أو يسمع بها بأن القنفذة جزيرة فالواقع أن القنفذة ليست جزيرة وإن كانت قديما تشبه (شبه الجزيرة) كون القسم الشمالي من وادي قنونا كان يمر من شمال مدينتها والقسم الجنوبي وهو وادي هارون يمر من جنوبها وفي حالة المد البحري ينساب ماء البحر مع مجريي الواديين الشمالي والجنوبي فكانت تظهر القنفذة شبه جزيرة في حالة ظهور المد البحري ثم ما يلبث إن يختفي ماء البحر في حالة الجزر، إلا أنه بعد أن توسعت مدينة القنفذة عمرانياً فقد تجاوز المد العمراني هذين المجريين شمالاً وجنوباً وأصبحا في أحضان المدينة بعد أن قامت بلدية القنفذة بوضع الحواجز الخرسانية لتلكما المجريين كما أنشأت جسورا مسلحة للعبور من فوقهما وأيضاً استغلتهما كمنظر جمالي طبيعي فجعلت منهما خليجان صناعيان يحتضنان البلدة القديمة ويظهر هذا المنظر واضحاً جلياً لمن يشاهد مدينة القنفذة على الطبيعة. كما عملت البلدية مشكورة على تسهيل تدفق مياه البحر عبر هذين المجريين من خلال صيانة فنية هندسية متطورة فأضفيا على المدينة منظراً سياحياً خلاباً وجمالاً بحرياً رائعاً حتى يخيل للرائي لمشهد البحر وكأنه عملاق أزرق يمد ذراعية ليقبل رأس فتاته الجميلة وأعني بها مدينة القنفذة الحالمة إلا أنني كنت أتمنى لو قامت البلدية مشكورة بحفظ المعالم الأثرية القديمة بدلاً من إزالتها وطمسها من الوجود بالكلية واعني بذلك مبنى (البنقلة) سوق السمك القديم و (المحناط) محل بيع الحبوب والأعلاف والحطب والقار المحلي والشوب وهو ما يعرف محلياً (بالطلاء) و (البيزان) نقطة توزيع المياه والتزود بها لمن كان قادماً من خارج البلدة وحوض المياه الذي كان يستخدم للرواحل المسافرة. فماذا كان يضير لو أحيطت تلك الآثار بسور له سياجات تسمح بالرؤية من خلاله مثلما فعل الفرع الزراعي بالكراج الذي توجد به السيارات الأثرية التي أمر بإرسالها الملك عبد العزيز يرحمه الله من خلال الشركة التي قامت بالتنقيب عن موارد المياه في القنفذة فبقيت تلك السيارات دليلاً واضحاً على بعد نظر الملك عبد العزيز ومدى اهتمامه ببلاده، وذلك بدلاً من أن تقوم البلدية بوضع حديقة وجودها مثل عدمها بعد أن أزالت أهم المعالم الأثرية وليس هناك حجة بالقول بأنها تالفة لأن أعمال الترميم والصيانة تضمن المحافظة عليها.

والواقع أنني حينما عرفت مدينة القنفذة كان ذلك قد حصل والقرن الرابع عشر الهجري يرفع آخر خطاه من عالم الوجود راحلاً إلى غير رجعه مفسحاً المجال أمام القرن الخامس عشر الذي نعيش اليوم في بداية ربعه الثاني بعد أن انصرم ربعه الأول قبل ثلاث سنوات وأربعة اشهر تقريباً، وأقول قد عرفت مدينة القنفذة في هذه الحقبة من التاريخ وهي تعيش بداية سِنّيِّ ازدهارها الحضاري وبها بقايا من أكواخ القش وعدد لا بأس به من البيوت المبنية بالحجارة البحرية إلا أن جميع البيوت التي أدركتها وهي مبنية بالحجارة لم تكن صالحة للسكن لقدمها وتعرضها للتلف والغرق وهي ظاهرة على أشكال خرابات.



هكذا عرفت مباني القنفذة القديمة

وأيضاً لحلول البيوت الحديثة محلها آنذاك وهي البيوت المبنية بالطوب والأسمنت وانتشار بعض المنازل ذات البنيان المسلح وبعضها مبنية على طبقتين وكانت القنفذة حينما عرفتها تعيش حياة هادئة حالمة جميلة لا يسكنها إلا أهلها الأصليين ومن أتت بهم ظروف المعيشة أو العمل والتجارة، ولم افتح عيناي على مدينة القنفذة الحالمة إلا وبها مقر للإمارة (يسمى اليوم محافظة) و محكمة بها رئيس وثلاثة قضاة وكان الرئيس فضيلة الشيخ الشريف عيسى الحازمي رحمه الله والقاضيان هما الشيخ حسين باسندوة رحمه الله والشيخ علي السميري وفقه الله، وبها إدارة للأمن العام كان يديرها العقيد عريفج الراشد وإدارة للدفاع المدني كان يديرها النقيب محمود الخياط وإدارة تعليم للبنين يديرها علي يحيى صديق ومدرستان ابتدائيتان هما المدرسة السعودية وكان مديرها آنذاك الأستاذ الشاعر عبد الرحمن بدوي رحمه الله تعالى . والمدرسة الفيصلية وكان مديرها الأستاذ عبد الله عبد الواحد، والمتوسطة الأولى وكان مديرها الأستاذ صالح بن جبل رحمه الله تعالى. ومعهد إعداد المعلمين والمعهد العلمي ومكتب للضمان الاجتماعي وفرع للزراعة والمياه ومكتب للمالية وكان يديره السيد مصطفى الشنقيطي من أعيان القنفذة وإدارة للأحوال المدنية وكان يديرها حسين احمد بدوي رحمه الله تعالى وكان من الرجال الأذكياء.

وأذكر أن أحد أعمامي أتى إليه يريد الحصول على حفيظة نفوس وكانت تسمى (التابعية) فسأله حسين بدوي قائلاً: أنت ممن؟ قال له: أنا من العجالين. قال له: هل لديك تعريف من شيخ القبيلة؟ قال:ه : لا . قال: اذهب واحضر لي تعريفاً من شيخ القبيلة مصدق عليه بختمه . قال له: ولكنني أنا اخو الشيخ وشقيقه وأنت تعرفني وليس هناك داعٍ بأن احضر لك تعريف. فسكت عنه برهة من الزمن تقارب النصف الساعة ثم التفت اليه وقال لَه بشيء من الحزم: يا ... اغتنم البراد قبل أن ترتفع الشمس

واحضر لي تعريفاً من شيخ القبيلة وإلا فلا تبقَ جالساً في مكتبي. فقال له: جل: يعني معرفتك لي ما تنفع عندك؟ قال له: المعرفة ما تنفع في النظام الرسمي المعرفة تنفع خارج الإدارة. فيئس الرجل ثم انصرف من المكتب.

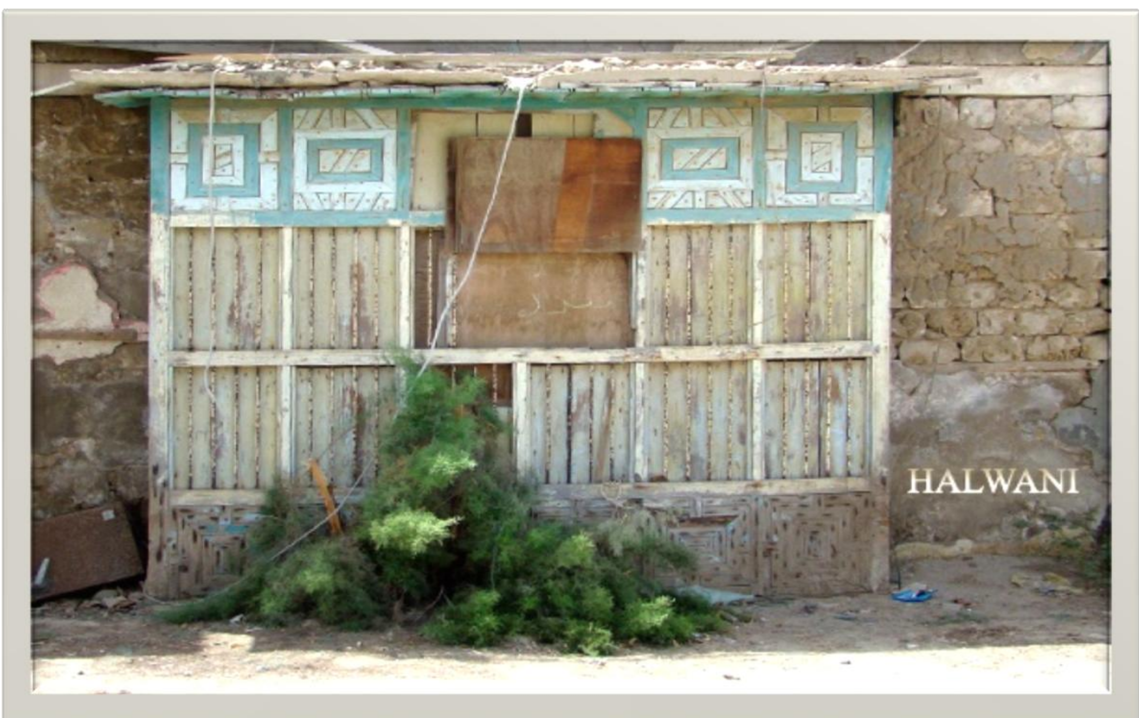
وتوجد كذلك إدارة للأوقاف والمساجد ومستوصف حكومي صغير ومكتب للبريد والبرقيات. وكانت توجد بها شبكة هاتف داخلي فقط يستخدم للاتصال الداخلي بين الإدارات الحكومية فقط تستعمل به أجهزة اتصال بدائية قديمة تدار بعتلة تسمى (الهندل) وهي أجهزة مرتبطة بمركز البريد وتمتد أسلاك تلك التلفونات على أعمده خشبية تشبه أعمدة الكهرباء اليوم. وكان بها أيضاً خزان مياه مربع الشكل تقريباً وهو لازال قائم إلى الآن إلا أن الخزان الجديد قد قام بدلاً عنه وكانت توجد في بعض الأماكن نقاط توزيع للمياه تسمى (البيزان) مقام بها عدد من صنابير المياه التي يشرب منها المسافر والحاج وصاحب الحاجة فيملأ منها آنية الماء الذي يتزود به في سفره أو في رحلته وقد ألغيت تلك النقاط وقامت مكانها اليوم خزانات مياه المساجد. ولم يكن بها مستشفى عام ولا فروع للبنوك التجارية ولا خدمة اتصالات هاتفية آنذاك وكان بها عدد محدود من مولدات (مواطير) الكهرباء يستخدم للإنارة وتشغيل الكهرباء عند التجار والأغنياء فقط مثل آل بن عوض وآل مجيدي وآل باوهاب وآل باجعفر وآل عبد الغني مرزا وآل الجفري وآل قاضي وآل السقاف وآل الشنقيطي وآل باسندوة وآل بامهدي والمحافيظ. وبقية أهل البلدة يستخدمون الأتاريك وحتى شوارع المدينة كانت تضاء بالأتاريك ومن شرف أهل القنفذة وكرمهم ومروءتهم وعفتهم تجد في كل شارع عدد من أتاريك البلدية ولا يمكن أن يفكر شخص في سرقة ولو قطعة واحدة من تلك الأتاريك وتبقى كما هي إلى أن يقوم عامل البلدية بجمعها بعد صلاة الفجر ثم يعيدها إلى مقر البلدية لصيانتها وتنظيفها وتعبئته بالكيروسين وتجهيزها ليبدأ العمال قبيل غروب الشمس بإشعالها وتوزيعها على الشوارع كالمعتاد في كل ليلة وهكذا دواليك.

وكانت مدينة القنفذة مكونة من قسمين رئيسيين كبيرين غربي وشرقي كما تقدم وكل قسم يضم عددا من الحارات والأحياء الصغيرة ويفصل بين القسمين مجرى الماء الذي يعرف اليوم بالبحيرة وبداية امتداد القسم الغربي من الجنوب إلى شمال تبدأ من مبنى الطاحونة الأثري الذي لا يزال قائم إلى يوم الناس هذا إلى بحر الحربي الذي يقع فيه اليوم ما يعرف بسوق الزيالعة الشعبي ويمتد من الغرب إلى الشرق من موقع قيادة حرس الحدود بالقرب من الميناء القديم الذي كان يعرف باسم الصقالة وهو الميناء البحري الذي لا يزال قائما إلى الآن وينتهي العمران شرقاً على الحافة الغربية لمجرى البحيرة المقام عليه اليوم شارع الملك فيصل، ويضم هذا القسم الحارة اليمانية وهي حي مشرف الذي يضم سابقاً أحياء آل بامعبد وآل باوهاب وآل باجعفر وآل الجفري وغيرهم كثير وتوجد في ذلك القسم مقبرة للأطفال تسمى مقبرة أبو سريع ومنذ عرفت أنا تلك المقبرة وهي مسورة ومغلقة ولم يعد يدفن فيها احد. "نكتة على هامش الحديث: يبدو لي بأن أهل القنفذة يتمتعون برقة وحنية زائدة لذلك جعلوا مقبرة الأطفال في وسط الحي حتى لا يشعر الأطفال بالبعد عن أهلهم حتى وهم موتى". والحارة الشامية التي تضم الناعمية والطوالبة وكانت توجد منطقة تقع شمال شرق القسم الغربي تعرف باسم (الماقفة) وتوجد بهذه المنطقة جميع المستلزمات الضرورية التي كانت تسوق لمدينة القنفذة من الحبوب والتمور

والحطب والزيت والسمن البري وخوص الطفي والحبال والقطران، وكان يوجد في الموقع المذكور مبنى خرساني مسلح يسمى (البنقلة) وهو معد لبيع الأسماك ومزود بدورات المياه وكان يوجد بالقرب منه حوض كبير للمياه مزود بعدد من الصنابير يستعمل لسقيا الناس والمواشي كالجمال التي تجلب عليها المواد المسوقة وقد قامت البلدية في حدود عام ١٤٠١هـ تقريبا بهدم مبنى البنقلة واستبدالها بسوق الأسماك الذي كان يقع جنوب المدرسة السعودية الذي أزيل مؤخراً وأنشئ بدلاً عنه سوق الأسماك الحالي الواقع بالقرب من الميناء البحري، ولازلت هنا أكرر أسفي لما قامت به بلدية القنفذة من إزالة المعالم الأثرية القديمة التي كانت قائمة في القنفذة التي كان يجب ترميمها والمحافظة عليها حتى تبقى شامخة تحمل ذكريات الآباء وعبق الماضي الجميل بدلاً من إزالتها وطمس معالمها التي كانت خير شاهد على أصالة الماضي لو أنها بقيت قائمة كما كانت بالأمس الأصيل شاهدة على اليوم الجديد.

ولقد أقيم في موقع الماقفة والبنقلة القديمة مقهى ومحل ملاهي ثم تحول أخيراً إلى حديقة عامة وهي الحديقة التي تقع شمال الجسر الخرساني الذي يلتقي بالقرب منه شارع الهاتف بشارع الملك فيصل جنوب مبنى المحافظة القديمة.

أما القسم الشرقي وهو وإن كان اقل مساحة آنذاك من القسم الغربي إلا انه لا يقل عنه أهمية من حيث عدد الحارات والمباني والسكان إلا أن أغلب ساكنيه ممن قدموا من القرى المجاورة كالقوز وبية والمظيلف و أحد بني زيد ودوقة والأحسبة، وكان يمتد من الغرب إلى الشرق من الحافة الشرقية لمجرى البحيرة إلى محطة الخلف التي لازالت في موقعها إلى اليوم بالقرب من مبنى الاتصالات السعودية ومن الجنوب يمتد من شمال مقبرة الحكمي الواقعة غربي سوق الهنيدي اليوم إلى الحافة الجنوبية لمجرى وادي قنونا الذي يصب في البحيرة اليوم وكانت هناك بعض البيوتات من القش توجد شمال مجرى السيل لكنها قليلة جداً ومحصورة وفي أواخر القرن المنصرم أُنشأت شركة أهلية للكهرباء كان يديرها محمد بن خلف وكانت تقع المحركات في موقع وحدة القنفذة الحالي اليوم والإدارة بجوار مقر الضمان الاجتماعي الحالي وقد فُعِّلت تلك المحطة واستفاد منها أهالي القنفذة من خدمة التيار الكهربائي مؤقتاً إلى أن أنشأت الشركة الحالية في حدود عام ١٤٠٦هـ تقريباً وقد عملت بها لفترة ثلاثة اشهر خلال العطلة الصيفية.



هذا ما يعرف بالروشان أو الدهليز



الطاحونة - هي أقدم معلم اثري في القنفذة

- **بدايات المد العمراني في القنفذة:**

في مطلع عام ١٣٩٨هـ بدأت أولويات المد العمراني بمدينة القنفذة فقامت الحارة الشرقية الواقعة غرب مقر الدفاع المدني الحاضر وقام الحي الغربي المعروف بحي الشاطئ ثم زحف العمران شمالاً متجاوزاً بحر الحربي إلى المستشفى العام ثم واصل زحفه أخيراً حينما قامت أحياء الخالدية ولازال الزحف مستمراً شمالاً حيث تم توزيع منح في مخطط الشاطئ الواقع غرب إدارة سجون القنفذة الواقع في حي الثعالبة وكذلك مخطط جنوب القنفذة.



هذه هي القنفذة اليوم

- **البحوث والتوثيقات عن مدينة القنفذة**

لم اعثر على بحث أو توثيق شامل متكامل مستقل عن مدينة القنفذة عدا مقتطفات تنتثر هنا وهناك في إشارات عابرة ولمحات مسافرة وأكثر من وثق عن مدينة القنفذة على حد علمي هما الشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي في كتابه "الرحلة اليمانية" والعميد عاتق بن غيث البلادي في كتابه "بين مكة واليمن رحلات ومشاهدات" ،، أما أجمل بحث أعجبني عن مدينة القنفذة فهو ما نشره الوالد حسن فقيه أطال الله في عمره في مجلة الفيصل العدد (٥٢) وقد اخترت منه المقتطفات التالية (تعتبر مدينة القنفذة من الموانئ المهمة على الساحل الغربي بالمملكة العربية السعودية، وقد عاشت هذه المدينة حياة تجارية وحضارية خلال القرون الخمسة الماضية لعبت خلالها دوراً مهماً في الحياة العامة بتهامة

الحجاز، فكانت بحكم موقعها باباً بحرياً للمنطقة التهامية والسروية التي تتدلى جبالها من الشرق كما كانت مدخلاً جنوبياً للتجارة وحجاج اليمن والهند إلى مكة المكرمة في فترات من تاريخها)[٥٧]

وأضاف قائلاً: (يعود تاريخ نشأة بعض تلك المدن الساحلية البحري(كأم الجرم) و (جده) و (الشعيبة) إلى ما قبل الإسلام وظهر بعض آخر منها في العصر الإسلامي وإن كان لا يعرف على وجه التحديد أو الضبط التاريخي الذي قامت فيه كل منها، لكن بعض المدن البحرية التي قامت في العصر الإسلامي يمكن معرفة الحقبة التاريخية التي نشأت فيها على وجه التقريب ومن تلك المدن مدينة القنفذة التي نحسبها قامت على حياة هذا الميناء أو المرسى الطبيعي وانبعثت نواتها على شاطئه منذ حوالي القرن الثامن الهجري غالبا .. وليس معنى ذلك إن هذا الميناء أو المرسى الطبيعي الذي قامت بجواره القنفذة لم يستعمل لرسو السفن إلا في أيام حياتها، بل نعتقد انه كان مرسىً طبيعياً موجوداً على هذا الساحل قد استخدمه منذ أقدم الأزمنة رواد البحر من أصحاب سفن الصيد والتجارة التي كانت تجوب مياه البحر الأحمر وترتاد شواطئه سواء للاستقرار في بعض مواقعه الجغرافية كالجزيرة التي تظلله من الغرب أو الجزيرة الأخرى القريبة منه، أو للجوء إليه عند هبوب العواصف والإستكنان في مياهه الهادئة أو لاستمداد بعض الاحتياجات من المناطق البرية المجاورة له كالحبوب والمياه والأغنام وبيع بعض ما تحمله من الميرة أو الصيد أو غير ذلك لسكان البر ا-هـ. قلت يتميز موقع القنفذة بوقوعه وسطاً بين مدينتي جدة وجازان وتدلي جبال السروات وتهامة عليه من الشرق مع وجود امتداد السهل الساحلي التهامي شرقه وشماله وجنوبه فتهيأ لها إن تكون الميناء الطبيعي للجزء الشمالي من تهامة عسير وسروات بني شهر وبالقرن والجزء الجنوبي من سراة تهامة غامد وزهران وأصبحت النافذة البحرية الكبيرة لهذه المنطقة عموما ...

وما تزخر به هذه المنطقة عامة وحاضرتها خاصة من الإمكانات المادية والبشرية والحياة الحضارية المتقدمة إلى أن يتخذها بعض ولاة مكة مصدر استمداد بشري ومادي وقاعدة انطلاق حربية في حملاتهم وصراعاتهم الداخلية على السلطة في تولي إمارة مكة، كما استعملها بعضهم قاعدة لحكم منطقتها ونقطة تحكم فيما يرد إلى الحجاز عامة من صادرات اليمن، متخذاً قطع طريق واردات اليمن إلى الحجاز منها وسيلة من وسائل الحرب والصراع واتخذت أيضاً ملجأ لبعض المصروفين عن الحكم عن ولاية الحجاز ولذلك تعرضت لكثير من المحن والمتاعب على مدى الحقب التاريخية منذ نشأتها). ا.هـ

وعندما أطل العهد السعودي الزاهر لعبت القنفذة بموقعها الإستراتيجي دوراً كبيراً في إثراء الحياة التجارية والتموينية لبعض مدن الحجاز وخاصة مكة المكرمة قبل الفتح السعودي لميناء جدة. حيث استمرت قوافل التجارة والحج منها إلى مكة المكرمة وسجلت لنا بعض الوثائق التاريخية استخدام مينائها باباً لمكة المكرمة فقد أرسل جلالة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه رسالتين مؤرختين في ١٣٤٣/١٠/١٦هـ إلى كل من حاكم عدن ورئيس جمعية الخلافة في بومباي يؤكد لهما استعداد مينائي

٥٧- مجلة الفيصل العدد ٥٢- حسن ابراهيم فقيه

القنفذة والليث لاستقبال حجاج جهاتهم كما ورد في بعض المصادر أن محمد علي باشا اتخذها مرجعاً له في حملاته على بلاد عسير.

وفي عهد الدولة العثمانية جاء ما نصه (وفي الوثيقة الثانية نجد رسالة من متصرف لواء عسير عام ١٣١٣هـ إلى قائم مقام القنفذة والعاملين معه في إدارة مركز القنفذة وما حولها يوضح لهم فيها عزل قائم المقام الأول وتعيين شخص آخر بدلاً عنه). كما أشير في موضع آخر بأن لواء عسر يتبعه ستة مراكز هي جيزان ومركزها صبيا ومحايل ومنطقة رجال المع ومركزها الشعبين وبلاد رجال الحجر ومركزها النماص وبلاد غامد وزهران ومركزها رغدان والقنفذة. وكل مركز من هذه المراكز يطلق عليه (قائمقامية) وجميعها تراجع المتصرف في أبها. كما أشير في وثيقة أخرى إلى عدد من شيوخ القنفذة وقد سبقت الإشارة إلى ذلك حيث ورد بها الآتي: (ماده ٨ * بيان أسماء قبائل قضاء القنفذة بني زيد أميرهم حسن بن خضر، زبيد أميرهم بن مرزوق، دوقة المشاييخ أميرهم شامان بني عيسى أميرهم ابن عويظة والسليتي، حرب وأميرهم محمد بن موسى بن المدرمح، أشراف الأحسبه أميرهم ابن المبارك، أشراف العاجلين اميرهم ياسين، بني يعلا أهل يبه أميرهم بيطلي أبو عطله،قوز بالعير أميرهم علي بن مديني وعرايفهم شعوان وعمر بن شيبة ومحمد بن سليمان وأبو عجرة وابن فارس، حلي مخشوش إبراهيم بن شامي واحمد صمي وابن الصغير وبن عجي[٥٨]. ماده ٩* العرضية المبنى أميرهم جابر بن جاري العسبلي، بني يحيى أميرهم علي بن سعد ودخيل، بني رزق أميرهم بن وهاس وبن عمار محمد، بني منتشر عساف بن علي وابن جريد وابن درويش، آل سليمان وعمارة وبلحارث ردعان بن عبد الله وحسن بن معيض ولديـ .....)

وقد أردنا من تكرار الإشارة إلى ما سبق لبيان أن العرضيتين كانتا منذ القدم مرتبطتان بالقنفذة ثم بقيتا على وضعهما السابق أن خضعت القنفذة للحكم السعودي المجيد وفي هذا إشارة واضحة إلى ربط العرضيتين بقضاء القنفذة من أيام الدولة العثمانية.

- القنفذة أمام تصارع القوى السياسية:

أشارت المصدر إلى أن القنفذة كانت قبل الفتح السعودي لا تزال ميدان تطاحن حربي بين القوى المتصارعة المحلية والخارجية كالحرب العثمانية ضد الحملات الإيطالية ولا تزال السفن العثمانية التي قصفتها مدافع البوارج الحربية الإيطالية في مياه شاطئ البحر بجوار ميناء القنفذة منذ سنة ١٣٢٧هـ غارقة إلى يومنا هذا وفي العهد السعودي نعمت القنفذة كغيرها من مدن ومناطق المملكة بإشراقة العهد السعودي الميمون وشملها مثل غيرها نعيم الأمن والاستقرار والرخاء ونشطة بها الحركة التجارية والعمرانية والعلمية والثقافية والأدبية وظهرت على الخارطة كمعلم هام وميناء مهم وحمل اسمها أحد شوارع مكة المكرمة كما أطلق اسم (زاوية القنفذة) التي تقع كجزء من ارقي مواقع النشاط التجاري

٥٨- مجلة الفيصل (العدد ٥٢)- حسن ابراهيم فقيه

في وسط جدة. وأصبحت ترتبط بمكة المكرمة وجدة شمالاً وجيزان وعسير جنوباً وشرقاً بشبكة طرق دولية وبقيت هذه المدينة محافظة على نقاءها وصفاءها وأصالتها وطيبة أهلها منذ أول ولاءها للعهد السعودي في عام ١٣٤٣هـ إلى يومنا هذا وكان أول أمير عين للقنفذة في عهد الملك عبد العزيز طيب الله ثراه اسمه محمد بن عجاج في عام ١٣٤٣هـ تقريباً كما ذكر ذلك عبد الرحمن حلواني من أهالي القنفذة وعندي أن أول أمير عين على القنفذة كان اسمه سعد المبروك ثم خلفه الأمير صالح العلي في حدود عام 1352هـ ثم خلفه الأمير السديري ثم الأمير فهد بن زعير.

وقد أورد حسن الشهابي نقلاً عن حسن بن إبراهيم الفقيه أن محمد بن عجاج عين بها أميراً في غرة ربيع الثاني عام ١٣٤٣هـ ثم استلم منه الإمارة مساعد بن سويلم في شوال من العام نفسه ثم صالح العلي السليم ثم فهد بن زعير ثم محمد بن سلطان ثم مسعود المبروك ثم فهد بن زعير للمرة الثانية ثم محمد بن ماضي ثم عبد الرحمن ابن مبارك ثم محمد بن عبد الرحمن السويلم ثم احمد بن تركي السديري في عام ١٣٥٩هـ وأنا هنا أستطيع أن أأكد أن هذا التسلسل الذي سرده حسن الشهابي في كتابه الساحل في الزمن الراحل يعتبر تسلسلاً صحيحاً لأن حسن الشهابي أحد منسوبي محافظة القنفذة وبحكم صلة الرجل وعلاقته بها سيكون أعرف من غيره بأسماء من شغل تلك المناصب وما ينبئك مثل خبير.
ثم خلف احمد السديري إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم ثم عبد الله المحمد آل إبراهيم والذي أدركت أنا شخصيا أيام توليه أمارة القنفذة وكان رجلاً فاضلاً رزيناً ذا دين وصلاح وله من الأولاد إبراهيم وعبد العزيز والأخير ربطتني به علاقة الزمالة في المتوسطة الأولى التي كانت مجمعاً للثانوية والمتوسطة وقد كان من طلاب الصف الأول الثانوي حينما كنت أنا من طلاب الصف الأول المتوسط في نفس المدرسة ومنذ مغادرة أسرة والده للقنفذة بعد إحالته إلى التقاعد انتقل مع أسرة والده إلى الرياض بعد أن واصل تعليمه خارج المملكة العربية السعودية.

ثم خلف عبد الله المحمد، محمد بن عبد العزيز آل الشيخ ثم حسين العساف وهو الذي تحول مسمى الأمار في أيامه إلى إسم (محافظة) حينما صدر نظام المناطق والمحافظات في ١٤١٢/٨/٢٧هـ والذي عدلت بعض فقراته في عام ١٤١٤هـ بموجب أمر ملكي وقد تضمن التعديل بيان المراتب التي يشغلها محافظي المحافظات فئة (أ) و (ب) بحيث يكون لكل محافظة من فئة (أ) محافظ لا تقل مرتبته عن الرابعة عشرة يعين بأمر من رئيس مجلس الوزراء بناء على توصية من وزير الداخلية وأن يكون لها وكيل لا تقل مرتبته عن الثانية عشرة.

أما المحافظات فئة (ب) فيكون لها محافظ لا تقل مرتبته عن الثانية عشرة ويعين بقرار من وزير الداخلية بناء على توصية من أمير المنطقة.
أما المراكز فئة (أ) فيكون لها رئيس لا تقل مرتبته عن الثامنة. والمراكز فئة (ب) يكون لها رئيس لا تقل مرتبته عن الخامسة - المصدر (wwww.ksu.edu.sa/kfs-wedsite/source/67.htm).

ثم المحافظ عبد الله مساعد القناوي وكنت معاصرا للأخيرين بعد عودتي من الرياض غرة رمضان عام ١٤١٣هـ، أما محمد آل الشيخ فقد استلم الإمارة في زمن إقامتي في الرياض ولم يتسنى لي التعرف عليه. ثم خلف القناوي المحافظ عبد الله بن مساعد العصيمي الذي استلم منه المحافظ الحالي الأستاذ فضا بن بين البقمي وهو على رأس عمله اليوم لهذه المحافظة التي نحن بصدد الحديث عن مركزها الرئيس وهو مدينة القنفذة.

ومن المناسب أن نشير هنا إلى بعض المواقف التي وقعت لوالد والدي الشيخ يحيى بن مبارك الذي أطلق عليه الدكتور حمزة بن احمد بن عامر الشريف لقب (شاعر الحكمة) مع كل من الأميرين صالح العلي السليم وفهد بن زعير موقفان متباينان فأما مع صالح العلي فقد بات في ضيافة الشيخ يحي رجل من جماعته وفي منتصف الليل استيقظ الرجل وقتل رجلاً ثم فر في جنح الظلام فاتهمت أم القتيل الشيخ يحيى بأنه هو الذي حرض القاتل على قتل ابنها فأودع الأمير صالح العلي الشيخ يحيى السجن وأمر بإن لا يطلق حتى يتعهد بإحضار القاتل فمكث بضعة أيام وكتب للأمير قصيدة عصماء وهو في محبسه فأمر الأمير بإطلاقه بعد أن تعهد بإحضار القاتل فرحل الشيخ يحيى إلى الملك عبد العزيز في مكة وألقى بين يديه قصيدة أخرى ثم شكا له فيها ما وقع عليه من أمير القنفذة فكتب له الملك عبد العزيز كتابا جاء من ضمنه (إلى من يراه من عمالنا إن الشيخ يحيى بن مبارك طارفة لنا لا يحكم عليه إلا بحكم الشرع). وكم تمنيت لو أنني عثرت على ذلك الكتاب ولكن اخبرني الوالد انه كان بحوزته لكنه غرق أثناء هطول أمطار غزيرة حدثت عام ١٤٠٠هـ. وقد جاء من ضمن أبيات القصيدة قوله:

يالله عـــالم بمـــا في السريـــره	يا حي ما تغفل ولا عن صغيـــره
يا واحـــد عينه بخلقـــة بصيـــره	تجري مقاديره على الكـاف والنــون
يا الشيـخ صالـح عســى الله يسلمك	اسمح لنا في ربـع ساعـه نكلمـــك
عسى ولعل بعض القرائن تفهمك	ويتضح لك بعض ما كـــان مكنون

إلى أن قال:

حـــرام يا من قتل محـــد تمنى بقتـــله	الا سوى الجـاني ومن سخف عقلـــه
يوم سول له ان حمل النفس بالقتل سهله	وامـــر من الله مقيـض ومـــأذون

إلى أن قال:

دنيـــــاك غـداره تقلب بوجهيـن	إن ضحكتـك يـوم بكتـك يـوميـن
أيــــام ترقـى بك محـــل السلاطين	وأيـام هم وغـم وحســوف وغبـون
لاتـــأمن الدنيـــا وتـــأمن ضررهـــا	لو كنت في راس العرش نالك شررهـا
مـــازادت الا دمــــرت من غررهـــا	ومن تـــمنى السعادة مات مغبـون
أمـــا علمت ان الله حـــاكم عدولٍ ؟	يـــداول الأيـــــام دول بــــدول
رحيـــم مـا هـو بالعقـوبة عجـولِ	وينصف الجماء من ذات الأقـــران
وبن سعـــود الله يطـول زمانـــــه	زول أهـل الكبر واهل الخيــــانه
مقيـــم الشريعـــة بيننـــا بالأمـــانه	والجور خلاه عن رعاياه مدحـــون

فأطلقه صالح العلي كما تقدم بعد أن تعهد بإحضار القاتل.

وعندما مَثُلَ بين يدي السلطان عبد العزيز في عام ١٣٥١هـ تقريباً ألقى بين يديه القصيدة التي أصدر بموجبها السلطان عبد العزيز الكتاب الذي اشرنا له آنفاً ومنها قوله:

وسلك الهـــــــوى يلقي عبارة مقوله ترد من قضى بلده لبلـــــــده محولــه
يخبـــر الرادي عســــــى الله يزولــه من اقليمنـــا هذا ومن ارض بابـــل

إلى أن قال:

وفكـــــرت في أمر الميهمن وما قضى وحدثني قلبي مهمـــات مـــا مضى
وقلت لذاتي ما يسعنــــا سوى الرضـــا عسى الروح تسعـــد ما تقدم وما تلي

ثم قال واصفا حكم الملك عبد العزيز:

دعـــــا الناس للشرع الشريف المحمدي وسيفه قـمـــع بـــه كل جبار معتدي
كل اتــــى وتجنب المشرب الــــردي وروَّى هجـــــرهم فوق غزر المناهل

والقصيدة مثبة بكاملها في الملحق.

أما عن موقفه مع الأمير فهد بن زعير فذلك أن الأمير طلب من الشيخ يحيى المشاركة في حملة تأديب بعض العصاة بأمر من الملك عبد العزيز فتأخر الشيخ ولم يلحق بالأمير فهد إلا بعد أن فرغ الأمير من المهمة فاخذ الأمير موقف من الشيخ يحيى فارتجل قصيدة بين يديه جاء منها:

يــــا الله يـــا منشـــي السحـــاب الثقال والرعد البراق في عـــــرض منشـــاه
يـــــا مـــالك الملك يـــا ذا الجـــــلال فوق الحجب محد عرف وصفه ومعنـاه
اغفـــر لي الزلات واقبـل ســـــؤالي ودلني يـا رب فيـما تحبــه وترضـــاه
فين حين جذب الـــروح مني لحـــــالي راحـــل من الدنيـا الى رحمـــــــة الله
بين الرجـــا والخــوف يــــــا رب لي سواك في دفع الكرب حســـبي الله
مسجـــون مـــالي شمــــــال تشـــالِ وما تشاء لي كان لو كنت ما اشــــــاه

إلى أن قال:

تنصى ابو فيصل كثيـــر النوالي سلطاننا من طيب الله سجـــــــــاياه
وحي نجله بالسلام الكمـــــــــالي وجملة اخوانه والاعيان وقضــــــاة
تقلى على اليعسوب حوم النحالِ ريشه بنادق والسيوف المشبــــــاه
وان قلت وش تعسيل تلك النحالِ ظـــروف نـــارية بصفرة مغطـــاه
والشمع مقصب فوق مقصب يلالِ مثل الجراد المنتظم فوق مرعــــاه
قل طالت ايامك وســـود الليالي والباس لا شفته ولا جاك معضــــاه
يا من بسطت العدل بين الاهالي واصحبت بين الذيب والكبش والشاه

وبعد فرغ الشيخ من إلقاء القصيدة رحب به الأمير وقبل اعتذاره.

وقد قام بأمر القنفذة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل ابراهيم ثم الأمير عبد الله المحمد الذي أدركت أنا شخصياً أواخر أيام إمارته بالقنفذة رحمهم الله جميعاً.

وأول قاضي عين بالقنفذة في عهد الملك عبد العزيز هو القاضي الشيخ عبد القادر كمال ثم خلفه الشيخ حامد عطي ثم الشيخ محمد الحديثي وكل ذلك كان في بداية تنعم مدينة القنفذة بظلال دوحة الأمن والرخاء والاستقرار السعودي الزاهر.
أما اليوم فمحافظها هو الأستاذ فضا بن بين البقمي ورئيس محاكمها الشيخ حسن بن محمد أبو فراج المباركي.

ومن المعالم الأثرية التي لازالت قائمة في القنفذة إلى اليوم مبنى الطاحونة الذي لازال ماثلاً للعيان إلى يوم الناس هذا في مدينة القنفذة ويعتبر من أهم المعالم الأثرية وقد أُنشأ واستعمل لطحن الحبوب بمحرك كان يعتمد على الأشرعة والهواء وهو مبنى دائري الشكل يبلغ قطره سبعة أمتار وارتفاعه مثل ذلك وكان يستخدم إلى وقت قريب لتخزين مواد الوقود كالكيروسين والبنزين والزيت التي كانت تتزود به سيارات البريد بين مكة وجدة والقنفذة وجيزان وأطلق عليه مؤخراً اسم (القيزخانة). ويذكر انه قد مضى على بناءه مدة تزيد على مائتي عام، ولعل ذلك عائداً إلى قوة بناءه وضخامة أحجاره وشكله الأسطواني الذي ساعده على مقاومة العوامل الطبيعية كالرياح والعواصف والأمطار، كذلك تعتبر المخازن التجارية الحجرية التي أصبحت اليوم خرابات نوع من الآثار والمعالم القديمة التي تدل على أن مدينة القنفذة تضرب بجذورها في أعماق القدم التاريخي.

ولأهل القنفذة ولع بتزيين صدور منازلهم من الداخل بأنواع التحف وتجميلها بصور من الطبيعة وكانت تستخدم على الأبواب الخشبية نقوش كتابية لآيات قرآنية وكان يقوم بهذا الفن رجل اسمه علي عمر ملا وكل ذلك مما أدركته أنا وشاهدته بنفسي، و لا شك أن في ذلك دليل على روح الذوق الجمالي عند أهل القنفذة.

ومن الأماكن الطبيعية المشهورة بالقنفذة شاطئ الجيادي وشاطئ حنيش وجبل القنع وجزيرة أم القماري وتعد هذه الأماكن من المنتزهات الجذابة لما تتمتع به من مناظر الجمال الطبيعية الخلابة الذي يأسر الأذواق وينعش الأرواح ويبعث في النفوس البهجة والسرور.
وهذه الأماكن أصبحت اليوم مزودة بوسائل الرفاهة العصرية لمن يرتادها من أرباب السياحة حيث توجد بها شاليهات عصرية ومتنزهات حديثة تضم الكثير من وسائل الترفيه العصرية وألعاب الأطفال والملاهي المجهزة بكافة وسائل السلامة بما في ذلك من مراكز أمنية مزودة بالأفراد والمعدات تحت إشراف فرق الإنقاذ البحرية التي تقوم بها قوات سلاح الحدود وخفر السواحل في القنفذة.



هكذا كانت منازل القنفذة في العهد العثماني القديم

- المنشآت المقامة في القنفذة

تشمل المنشآت التي أقيمت في بداية انضواء القنفذة تحت السلطة السعودية في عام ١٣٤٣هـ في عهد المؤسس الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود طيب الله ثراه إلى يومنا هذا الذي تنعم به المملكة بالخير العميم تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله ورعاه ومن تلك المنشآت ما ذكره المؤلف خير الدين الزركلي في كتابه شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز حيث قال "أمر – ويقصد الملك عبد العزيز طيب الله ثراه – بإنشاء مصلحة الصحة العامة على النظام الحديث سنة ١٣٤٣هـ وجعل مقرها مكة (العاصمة) وفروعها بجدة والمدينة والرياض والأحساء ثم في منطقة عسير" إلى أن قال "منطقة صحة أبها تتبعها مستوصفات في جيزان والقنفذة ....الخ" ثم ذكر تحت عنوان (إدارة المحاجر الصحية) وتتبع إدارة المحاجر الصحية (الكرنتينات) ومركزها الرئيسي في جدة مراكز صحية ساحلية في موانئ ينبع ورابغ ... وذكر منها القنفذة".

أما عن خفر السواحل فقال الزركلي "في سنة ١٣٥٠هـ أحدثت مديرية عامة باسم (مديرية مصلحة خفر السواحل) مركزها الرئيسي بجدة" إلى أن قال "وربطت بمصلحة خفر السواحل مراكز للدوريات في ميناء القنفذة ووادي هارون التابع للقنفذة وخور الزواحر...الخ" وهذا تصحيف وقع فيه المؤلف فالصحيح هو خور الزواهر[٥٩]..

ونلحظ فيما أورده الزركلي اهتمام الملك عبد العزيز بشؤون القنفذة وقد نقلت لي الكثير من الأخبار الشفوية عن الدور الهام الذي كانت تقوم به دوريات خفر السواحل في القنفذة ووادي هارون وخور الزواهر من منع المتاجرة بالتبغ في بداية منعه حيث صودرت منه كميات كبيرة جداً كانت تهرب من قلوة ومن ثريبان عن طريق خور الزواهر وعن طريق وادي هارون فعلاً ومن ضمن من تورط في قضايا التهريب تلك بعض أفراد من جماعتنا حيث عوقبوا بالسجن وأخذت عليهم الضمانات التي تكفل عدم ممارستهم لتهريب التبغ قبل أن يصدر الأمر بإلغاء ذلك الإجراء نظراً لعدم جدواه في بلد عربي تحيط البلدان العربية به من كل جهة ولم تقم بمنع مادة التبغ ،، خاصة وانه يعتبر مادة مصدرة عالمياً إلى جميع بلدان العالم بدون استثناء.

وفي جانب القضاء ذكر الزركلي عن المحاكم وكتابة العدل المقامة في بعض المدن حيث ذكر منها مكة وجدة والظفير والقنفذة وغيرها [٦٠].

كما تحدث عن جميع المحاكم في المملكة في عهد الملك عبد العزيز بصفة خاصة وذكر من ضمنها محكمة القنفذة والعرضية والبرك[٦١]. وقد أشار خير الدين الزركلي إشارة مقتضبة أثناء حديثة عن الحكم القضائي في زمن الملك عبد العزيز قائلاً: (إن لشدة الأحكام السعودية في أراضي الحجاز رواية وهي أن الملك عبد العزيز لما دخل الحجاز جمع رؤساء القبائل والعشائر وأمنهم على أنفسهم وطمأنهم على مرتباتهم وعوائدهم واشترط عليهم شرطاً واحداً وهو أن يكونوا قادرين على حفظ الأمن في حدود أراضي قبائلهم ومناطق نفوذهم وناشدهم الذمة في أن يتنحى الضعيف منهم عن وظيفته ليعين أحد رجاله فأظهر الجميع استعدادهم لحفظ الأمن وقدرتهم على رجال عشائرهم فجعلهم مسئولين عن كل كبيرة وصغيرة تحدث في ديارهم وأعتبرهم ضامنين ومتضامنين مع جميع أفراد قبائلهم وعشائرهم نساءً ورجالاً وأطفالاً ..) إلى أن قال: (وختم الجميع تعهدهم له بقولهم: "ولعنة الله على الخائنين"). ص٤٣٩ ثم ذكر خير الدين أثناء الحديث عن الجانب الأمني أن الشرطة كانت لها إدارات وتشكيلات عام ١٣٦٩هـ في المقاطعات والمدن وذكر منها مدينة القنفذة والقريات وغيرها.

٥٩- شبة الجزيرة – الزركلي
٦٠- شبة الجزيرة – الزركلي
٦١- شبة الجزيرة – الزركلي

ونحن نضيف أن من ضمن تلك المنشآت فرع وزارة المالية ومكتب البرقيات والبريد ثم تلا ذلك إدارة فرع الزراعة والمياه الذي عني بالآبار والمياه ومكافحة الآفات الحشرية مثل الجراد. وإدارة الأوقاف والمساجد وبلدية القنفذة ومديرية التعليم.

ثم تواصلت أيدي العطاء فيما بعد فأنشئ مكتب الضمان الاجتماعي ومركز الدفاع المدني وفرع الاتصالات وبنوك التسليف والزراعة ومدارس البنات بكافة مراحلها فضلاً عن معهد إعداد المعلمين الذي حول إلى كلية المعلمين والمعهد العلمي وإقامة شركة الكهرباء العامة ومستشفى القنفذة العام ووحدة الشؤون الصحية والوحدات الصحية المدرسية وإدارة مكافحة المخدرات وإدارتي الجوازات والمرور وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفرع هيئة الرقابة والتحقيق والادعاء العام وفرع مصلحة معاشات التقاعد وفرع الغرفة التجارية والكلية التقنية وجمعية الهلال الأحمر ومكتب العمل وكلية تعليم البنات.

وهذه المنشآت لا تقتصر على القنفذة فحسب بل تشمل بقية المراكز التابعة لها كالمظيلف الذي يوجد به مركز صحي ومستشفى عام في مراحله الأخيرة من الإنشاء وهو الذي وضع حجر الأساس له صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة مكة المكرمة في مستهل عام ١٤٢٩هـ وبه محكمة شرعية عامة والقاضي بها اليوم هو فضيلة الشيخ نواف السعدون. ومركز للدفاع المدني ومكتب للبريد ومجمع قروي بالإضافة إلى بقية المرافق الأخرى مثل مخفر الشرطة ومرافق التعليم بنين وبنات بكافة المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية فضلاً عن مقر المركز ورئيسه اليوم محمد بن مطلق العتيبي وينطبق ما ذكر على مركز القوز إلا أن المجمع القروي به قد تحول إلى بلدية القوز ويوجد مستشفى عام يقع بين القوز وحلي يتسع لمائة سرير وهو اليوم أيضاً في مراحله الإنشائية الأخيرة وكذلك الحال في حلي وفي العرضيتين الشمالية والجنوبية.

ناهيك عن مئات القرى المنتشرة في ربوع محافظة القنفذة والتي لا تكاد تخل قرية أو هجرة من وجود مدرستين أو أكثر بنين وبنات وجل أن لم تكن كل تلك القرى متصلة بخطوط حديثة معبدة وتنتشر بها جوامع حديثة على أحدث طراز ومزودة بأجهزة التكييف والفرش النظيفة والحمامات وخزانات المياه.
وكل القرى في محافظة القنفذة تنعم بخدمة التيار الكهربائي اليوم كما تغطي خدمات شبكة الجوال والأثير والهاتف اللاسلكي كل تلك المراكز ومعظم تلك القرى على حد سواء.
ورغم الفارق الكبير بين الحياة فيما كانت عليه الأمور في مطلع التسعينات من القرن العشرين وما هي عليه اليوم من الوضع الحضاري والبيئي المتطور، إذ كانت الحياة في التسعينات شديدة قاسية متعبة وكان الناس في القرى يسكنون في منازل من القش والحصير ووسيلة الوقود هي الحطب والكيروسين فلا بيوت حديثة ولا إنارة عصرية ولا طرق معبدة ولا خدمة هاتفية أو كهربائية حتى مصادر المياه كانت شحيحة إلى درجة عالية جداً ووسائل المواصلات حدث ولا حرج فقد يستغرق زمن الرحلة من جدة إلى القنفذة اثني عشرة ساعة على سيارات الجيب أو اللوري. بينما اليوم لا يزيد زمنها عن ثلاث ساعات فقط وفي أفخم أنواع السيارات المكيفة. أقول رغم ذلك الفارق الشاسع بين ما كان عليه الوضع

بالأمس وما هو عليه اليوم إلا أن الطبيعة هنا قد فقدت الكثير والكثير جداً من مقوماتها إذ انقرضت الغابات التي كانت تغطى المحافظة من حلي إلى الليث ومن البحر إلى الجبل وتحولت معظم الأماكن إلى بلاقع خالية من الشجر ومن الخضرة بسبب الجدب الذي أصاب المناطق في السنين الأخيرة وبسبب هبوب العواصف الترابية التي غيرت الكثير والكثير جداً من معالم الأرض إلى درجة أن الكثير من الأماكن التي كنت أعهدها وأعرفها قد تنكر لي فيها وجه الطبيعة وكلما وقفت على شعث من الأرض تذكرت قول عنترة بن شداد:

هل غادر الشعراء من متردم *** ام هل عرفت الدار بعد توهم

فسبحان مغير الأحوال ومقلب الأزمان القائل في محكم التنزيل (وتلك الأيام نداولها بين الناس). وإنني لأجد بالفعل أن ما شهده الآباء لم يتمكن الأبناء اليوم من مشاهدته بفعل عوامل التغيير الكونية. وربما يأتي قارئ بعد حين من الدهر فيجد ما في هذا السفر يخالف ما تراه العين وليس ذلك على الله بعزيز.

- **القنفذة والمراكز والقرى والقبائل التي تتبعها**

تشتهر مدينة القنفذة بالعديد من أهلها وأعيانها ومنهم آل بن محرم الذين سبقت الإشارة إليهم أثناء الحديث عن هجمات محمد على باشا القنفذة، وآل بالبيد وكان منهم العمدة في عهد الدولة العثمانية ثم في العهد السعودي الحاضر ومنهم أيضا آل بدوي والفقهاء ومنهم الأديب الوالد حسن بن إبراهيم الفقيه كاتب وباحث له العديد من المصنفات والبحوث منها كتاب "مخلاف مدينة عشم" و "مخلاف مدينة السرين" وقد شغل العديد من المناصب التعليمية كان آخرها عميدا لكلية المعلمين بالقنفذة متعه الله بالصحة والعافية. ومحمد عبد الرحمن با مهدي الذي شغل منصب مدير التربية والتعليم بالقنفذة. ومن أعيان القنفذة أيضا آل الجفري وآل باسندوة وكان منهم القاضي حسين احمد باسندوة رحمه الله تعالى وآل عبد الغني ومنهم اليوم احمد وصالح عبد الغني، وآل باجعفر وآل باوهاب والسادة آل بن زين ومنهم العقيد محمد بن زين بن حسين والسادة آل بن هادي، وآل بامهدي كما تقدم وآل بامعبد وآل مجيدي وآل بن هنيدي الغامدي وآل با بيضان ومنهم العقيد محمد بن علي بابيضان، وآل بارزيق وآل بن عوض وآل بن محفوظ ومنهم محمد بن علي ومحمد بن محسن بن محفوظ، وآل المغربي وآل السيد مصطفى الشنقيطي.

ويعتبر اليوم علي بن هنيدي الغامدي من أكبر رجال الأعمال في محافظة القنفذة، وكذلك آل بن خلف كذلك والمقدم فيهم محمد بن سعيد بن خلف، والحوازمة ومنهم إبراهيم بن عيسى ومحمد بن عيسى وعبدا لله بن عيسى وعوض بن محمد بن علي الحازمي وابنه محمد الحازمي، وبيت من الأشراف الزواهرة وكبيرهم اليوم الشيخ محمد بن عامر شاعر لكنه مقل في الشعر وله عناية بالأدب والبحوث في علوم الشريعة والعقيدة وأخوه الدكتور حمزة بن عامر من شعراء القنفذة المبدعين له نشاطات صحفية أدبية وشعرية متنوعة في بعض الصحف المحلية وله عدة بحوث عن شعراء القنفذة وهو صاحب المقال الملحق في آخر هذا البحث، وآل دحمان ومنهم عمر دحمان، وآل با نقيب وكان من أشهرهم عبدالرحمن بانقيب الذي عمل كاتب عدل بالقنفذة.

ومن المناسب أن أشير إلى أحد الرجال من أهالي محافظة القنفذة الذين كان لهم حضور مميز ومقام موقر في هذه المحافظة قبل أن يغادرها إلى منطقة جيزان في جنوب المملكة وهو سعادة اللواء علي بن مبارك بن سرور السريحي وهو الذي ربطتني به صلة زمالة طويلة وطويلة .. كما ربطتني به صلة ثقافية عميقة وكان من حق التاريخ علي له أن أوجز عنه هذه الكليمات لتبقى نقشاً على صخرة الذكريات.

ويتبع محافظة القنفذة عدد احد عشر مركزاً وكانت تلك المراكز في البداية عبارة عن أسواق أسبوعية ثم تحولت في العهد السعودي إلى مراكز حكومية.

وهذه المراكز هي:

١- مركز دوقة شمال القنفذة بحوالي ٥٥كم ويتبع هذا المركز العديد من القرى منها المسيليم والقديح ومشرف وأبو الضرم ودوقة الأولى والدليمي وشعيرة بني شهاب وعسيلة والمساعيد ويضم مركز دوقة قبيلة الخيرة وشيخهم اليوم علي بن محمد بن شامان وشيخ قبيلة المشاييخ احمد الشيخي والشيخ ذاكر الشهابي.

٢- مركز المظليف على بعد ٤٠ كم شمال القنفذة ويضم قبيلة زبيد وشيخهم اليوم عبد العزيز بن مرزوق ومن معرفيهم وأعيانهم اللواء تركي بن مرزوق والشيخ عبد الله بن علي بن مرزوق وعلي بن مرزوق وناصر بن مرزوق وعوض بن محمد بن مرزوق والعميد عبد الله بن مرزوق وعبيد بن إبراهيم وعلي الصوفي وهلال بن عبيد ومحمد يحيى الزبيدي موظف بمركز المظيلف.

ومن قبائل المظيلف الرفدة ومن أعيانهم حمزة بن علي ومحمد بن حسين وقبيلة الرواشد ومن أعيانهم الحسن بن مطلق ومحمد بن حسين بن عادل ومحمد بن علي بن عاطف وهاشم بن صالح بن محمد الراشدي .وقبيلة المشائيخ الركابية في الشغز ومعرفهم الرسمي اليوم محمد بن إبراهيم الركبي ومنهم سعيد بن إبراهيم الشيخي وعلي بن إبراهيم الشيخي مشرف الإرشاد الطلابي بإدارة التربية والتعليم للبنين .

وقبيلة الأشراف العجالين وشيخهم كاتب هذه السطور يحيى بن إبراهيم بن يحيى العجلاني وقد شغل هذا المنصب قبلي من أهل هذا البيت ثمانية رجال وأنا تاسعهم وذلك من عهد الدولة العثمانية إلى العهد السعودي الزاهر وهم عبد الكريم بن مبارك، ثم ابنه الأول ناصر، ثم ابنه الثاني مبارك المتوفى في حدود عام ١٢٩٤هـ، ثم ابنه عمرو بن مبارك المتوفى قبل عام ١٣١٣هـ، ثم ابنه ياسين المتوفى في حدود عام ١٣٤٩هـ، ثم ابن عمه عبد الله بن احمد الذي أقيل من منصب مشيخة القبيلة في عام ١٣٥١هـ، ثم خلفه بأمر من جلالة الملك عبد العزيز يحيى بن مبارك المتوفى في ١٠/٢٦/ ١٣٧٣هـ ،

ثم ابنه إبراهيم المتوفى في ١٤١٩/١٢/٢٦هـ، ثم ابنه كاتب هذه السطور المعين بموجب أمر صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة رحمه الله وأدخله فسيح جناته وذلك في ١٤٢١/٩/٨هـ. ومن أبناءه الشيخ إبراهيم "ياسين بن إبراهيم بن يحيى وأخيه مبارك بن إبراهيم ومحسن بن ابراهيم".
وأبناء عمومتهم ياسين بن عبد الله بن عبد الكريم وإخوانه محمد وعبدا لكريم وعبدا لعزيز.
والدكتور يحيى بن عبد الكريم وأخوه المحامي علي بن عبدالكريم ،، ومنهم أيضاً ياسين بن إبراهيم بن ياسين وأولاده المعلم إبراهيم والنقيب حسن والنقيب محمد. وناصر يحيى العجلاني كاتب له نشاطات مميزة، وعبد العزيز بن محمد بن عبد الكريم، وعبدا لله بن علي بن لاحق.
وكذلك عارفة آل بن سعيد محمد بن علي بن عجلان وهاشم بن محمد بن عجلان والدكتور يوسف بن احمد وإبراهيم بن عمرو وخليل بن عمرو، وأيضا عمرو بن حسن بن عمرو من آل حسن ومحمد بن حسن أبو سمرة. ومن كبار عقال آل احمد محمد بن حسن بن سعيد ومحمد بن عبد الله العواجي وله أبناء منهم علي وعبد الله وتركي ، وعارفتهم اليوم محمد بن عمرو بن سليمان.

ومن قبائل المظيلف قبيلة الأشراف العبادلة آل مبارك وشيخهم اليوم محمد بن حسن العبدلي ومن أعيانهم عبد الله بن علي بن يحيى والأستاذ الفاضل المبجل احمد بن حماد. والأشراف آل بن حماد وآل بركات بن عون من أبناء الشريف بركات أبو هفة صاحب البنان بجبل ميسان بالأحسبة الذي قدم من مكة في حدود عام ١١٥٠هـ تقريباً ومنهم أيضاً ذاكر بن حسين العبدلي واحمد بن ذاكر بن إبراهيم واحمد بن علي بن يحيى الذي ربطتني به زمالة الدراسة منذ سنين مضت.

وقبيلة الجدعان أهل زبيد لومة وقنونا وشيخهم اليوم حمزة بن حسن بن حسين الجدعاني ومن أعيانهم طلال الزبيدي أشهر من نار على علم. وقبيلة زبيد ريعان وزبيد الغميم وشيخهم عبده بن لاحق ومنهم عبيد بن سالم بن راجح وعطية بن عبد المعين وآل إبراهيم بن بحني وهم من رجال الأعمال في مدينة القنفذة.

ورأيت من الطريف أن أستطرد على هامش القول إلى موقف عرض لي أثناء الزيارات الميدانية في طور جمع المعلومات المتعلقة بهذا البحث وذلك حينما استضافني احد المثقفين من زبيد الغميم وهو الأستاذ عبد الله بن سالم الزبيدي فقال لي: ماذا تعنِ كلمة غميم؟
قلت له وقد فاجئني بسؤاله هذا: تعنِ غم يغم غما فهو مغموم والغم هو الكرب.
قال لي: يقال أن الغميم موقع جنوب مكة فما علاقة هذا الغميم بالموقع الذي جنوب مكة ؟
قلت له: سأبحث عن ذلك فيما بين يدي من المعاجم. وقد وجدت في القاموس المحيط قول الفيروزآبادي (.. وكراع الغميم، كأمير وادٍ بين الحرمين على مرحلتين من مكة).
وجاء في معجم البلدان: (الغميم: تصغير الغم هكذا ذكره نصر بتخفيف الياء، وقال: وادً في ديار حنظله من بني تميم). ثم أضاف ياقوت: (الغُميّم: تصغير الغميم بمعنى الغموم كما تقدم أو الغميم الكلأ الأخضر الذي تحت اليابس فلم يذكره نصر). وقبل ذلك قال ياقوت: (الغميم بفتح أوله وكسر ثانيه ثم

ياء مثناه من تحت وميم أخرى وهو الكلأ الأخضر تحت اليابس، والغميم فعيل بمعنى مفعول أي مغموم وهو الشيء المغطى، كراع الغميم موضع بين مكة والمدينة، والغميم موضع له ذكر كثير في الحديث والمغازي، وقال نصر موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة، قال كثير:

قم تأمل ، فأنت أبصر مني *** هل ترى بالغميم من أجمال
قاضيات لبانة من منـــــاخ *** وطواف وموقف بالخــــال
فسقى الله منتوى أم عمــرو*** حيث أمت به صدور الرحال

أقطعه رسول الله أوفى بن مواله وشرط عليه إطعام ابن السبيل والمنقطع وكتب له كتابا في أديم أحمر وسبب تسمية الغميم بهذا ذكر أجاء وهو اسم رجل سمِّي به، وقد ذكر في كراع الغميم). انتهى قول ياقوت. قلت يغلب على الظن عندي أن الغميم سمِّي بهذا الاسم نسبة إلى الكلأ الأخضر تحت اليابس، وأن أرض الغميم كثيرة الكلأ.

ويتبع مركز المظيلف أيضا قرىً عديدة منها حدبة زبيد والعقدة ومكبب والشغز وأم الشعير بالعجالين والقائمة والجهو وأبو عويدين وقرى الوطاة وعقراء والقضب والنيلة وأم الخشب جميعها بالأحسبة وصبيا بلومة والغزوية والحليفة وقريعة وعاجة والمتن.

٣- مركز أحد بني زيد وتتبعه قبائل المعايده وآل زياد والزيالعة والمراحبة والجلمة والسادة وشيخهم سليمان بن خضر ومن أعيانهم إبراهيم بلغيث الزيادي وآل صلاح المعيدي وحسن بن رباع المعيدي والداعية حامد الفقيه، ويوجد في أحد بني زيد بيت من الأشراف ذوي حسن أهل الشاقة منهم الشيخ إبراهيم بن احمد بن حسن الحسني.
ويتبع أحد بني زيد كذلك قرى عمرات والعمائر والصالحي الجديد والصالحي القديم ورحمن والقاع والعمودية والثعالبة والصفاصيف والرجبان والدعدي والصخيرات وحداب الخيل والجدير بالذكر أن نثني على السيد محمد احمد الزيلعي الذي استعنا به في جمع بعض المعلومات أثناء الجولات الميدانية ،، ويقع مركز أحد بني زيد شرق القنفذة على بعد خمسة عشرة أكيال.

٤- مركز ثلاثاء الخرم وتتبعه قبائل بني عيسى وشيخهم محمد بن علي بن مسعود.

٥- مركز سبت الجارة ويتعبه بني عيسى أيضا وشيخهم عبد الله بن موسى العيسي.
٦- مركز حرب وتتبعه قبائل حرب وشيوخهم عبده بن مدرمح الحربي وموسى بن محمد بن راجح الحربي.

٧- مركز القوز على بعد ثلاثين كيلاً جنوب القنفذة وتتبعه العديد من القرى منها قرية السمرة وقرية القحمان وقرية السادة وعنيكر والسمر والعقدة والجميعات والكدسة والمواجدة والجرد والحبيل والمحاسنة ومشرف وثلاثاء يبة وهو سوق أسبوعي لكن ليس به مركز حكومي لأنه قريب جدا من مركز القوز إذ لا يفصل بينه وبين القوز إلا مجرى وادي يبة المشهور، والقوز هو الذي به مقر المركز و يقام فيه السوق الأسبوعي كل يوم خميس.

والقوز هو الموقع الذي كان يسمى قوز بلعير (بكسر العين المهملة بعدها ياء مثناة تحتية ممدودة). وبلعير كلمة يقصد بها المكان وليس القلبية أو القبائل كمثل (بالحارث وبلقرن) وهو خلاف ما أشار إليه الرحالة عاتق البلادي رحمة الله.

ومن قبائل تلك الجهات النواشرة وهم من قحطان والقوازية والمقاعدة والسمرة وبني يعلا وهم العوامرة والحسنة وبني سحار والكدسة والشقفة والشراقية (واحدهم شرقي) ،، والمحاميد والمواجدة ومنهم الزميل والأخ الكريم احمد بن علي بن مشرع الماجدي وقد ربطتني به صلة صداقة حميمة وله معي مواقف رجولية تحسب له عندي وعلى رأسها وقوفه إلى جانبي في أزمة الدراسة الجامعية التي اعترضتني حينما كنت في المستوى الثالث بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، ونتج عن ذلك أن عرفني على الشيخ الداعية محمد بن بكري السميري.
وهذا الرجل يعتبر من أوائل من قام بنشر الدعوة في محافظة القنفذة وفي القرى المحيطة بها قبل أن يوجد بها فرع لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد ابتكر طريقة جميلة للدعوة وهي أن جهز سيارته الخاصة بمكبر صوت وكان يأتي إلى الأسواق الأسبوعية التي تقام في المراكز فيوقف سيارته في وسط السوق ثم يلقي محاضرة أمام الناس يوجههم فيها إلى العبادة الصحيحة وينهاهم عن البدع والأمور المخالفة للشرع وعن الاختلاط والسفور. وكان لا يقول للناس احضروا إلى المكان الفلاني أو سأقيم محاضرة في الموقع الفلاني، بل يأتي على غير موعد سابق مستغلاً تجمع الناس في الأسواق الأسبوعية، فيوقف سيارته وسط السوق، ثم يبدأ بتذكير الناس مباشرة وكان لتلك الطريقة دور ايجابي فعال في قلوب الناس خاصة أن الجهل كان لازال متفشياً في تلك الحقبة من الزمن وهي في الثمانينات الهجرية فالشيخ محمد السميري تلقى تعليمة في سامطة، ثم تخرج من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في عام ١٣٨٠هـ هذا ما ذكره لي الصديق الأستاذ إبراهيم بن الحسين الخالدي الذي تربط بينه و بين الشيخ محمد السميري علاقة رحم وقد كان الفضل يعود في تعرفي على ذلك الداعية الوقور للأخ الصديق احمد بن علي بن مشرع الماجدي كما تقدم.

ومن قبائل القوز السادة آل دار الوادي والسادة النواعمة والقحمان وشيوخهم اليوم الشيخ محمد بن احمد بن خيره الناشري ونقل لي عن احد كبار السن من النواشرة بأن منصب المشيخة الخاص بهذه القبيلة القحطانية الأصل كان سابقاً في فخذ الجعدة أحد فخوذ قبيلة النواشرة القحطانية تم تنازل الشيخ رضي بن حسن الجعيدي الناشري عن منصب المشيخة لابن أخته شعوان من فخذ الخيرة النواشرة فانتقل هذا

المنصب إلى فخذ الخيرة ولازال باقي فيهم إلى يومنا هذا، والشيخ عبده بن محمد القوزي والشيخ عبد الله المقعدي والشيخ محمد بن حسين بيطلي.

ورجل الأعمال شامي بن الحسين الحسني وهو من أعيان محافظة القنفذة وكبار رجال الأعمال بها وهو صديق تربطني به علاقة ودية حميمة وقد كان له الفضل والمنة بعد الله تعالى في المساهمة والتشجيع في إخراج هذه الطبعة "الثانية" لهذا الكتاب وذلك لما بذله فيها من جهود يجب أن يشكر عليها وان تحسب له عندنا .

والشيخ محمد بن مرعي القحماني والشيخ حسن الشاردي، ومن الأعلام في القوز ووادي يبه القاضي علي بن زين السميري والقاضي بيشي بن حسين الحسني وكاتب العدل محمد بن إبراهيم القوزي والدكتور احمد عمر الزيلعي عضو مجلس الشورى، ومن الأعيان كذلك علي بن لاحق الناشري واحمد بن فيصل الناشري وحسن بن إبراهيم الزحيمي رحمه الله وقد كان علم وصاحب شخصية مميزة، ويحسن بنا في هذا المقام أن لا ننسى الرجل الذي ربطتنا به زمالة متينة عندما كان يعمل عضوا بهيئة النظر بمحكمة القنفذة وأعني به احمد بن إبراهيم بن بركات الناشري وكذلك عبده بن حمود الحسني من أعيان قرية عنيكر بية.

٨- ويتبعها من المراكز أيضا مركزي حلي "الصفة و كنانة" على بعد ستين كيلومتر جنوب القنفذة وهما مركز الصفة وتتبعه العديد من القرى منها الصفة وكياد والكدوة والعمور والخيع والسلامة والفريق والشعب والسبطة. ومركز كنانة وتتبعه قرى حلي قديم والصلب والبيضين وشيوخ قبائل حلي منهم محمد بن عبد الرحمن بن عيسى شيخ قبيلة كنانة وابوطالب بن عمر الصمي والشيخ محمد العمري وابراهيم بن مجثل والشيخ حمد الغانمي والشيخ نهاري بن احمد الغبيشي.
ومن قبائل حلي كنانة والعلاونة والعمور والمتاحمة والزيالعة والسلالمة - واحدهم سلامي - والصحب والأحامرة والغوانمة والغبشة والدراهمة والخوالدة والمشاييخ أهل حلي والسادة والمعاشية - واحدهم معشي - وقد أخطأ البلادي واثبتهم في كتابه بين مكة واليمن (المعايشة) وهذا خطأ غير مقصود وقع فيه البلادي فجمع معشي معاشية بتقديم الشين المعجمة قبل الياء المثناة التحتية، وليس (المعايشة)، وأظن أن ذلك وقع مجرد تصحيف غير مقصود.
ومنهم الشواعرة والفلحة والصحب و أحدهم صحبي وآل الحرامي وهم قلة، وبعض بيوت من الأشراف البراكيت والأشراف العييايف و أحدهم عيَّافي بالتحتية المثناة المشددة.

وقد ذكر صاحب مصنف قلب جزيرة العرب عن أهل حلي قائلاً: (تتألف هذه القبيلة من أربعة أفخاذ تقيم جميعها في قرية حلي.. ثم قال: والأفخاذ الأربعة هي: عبيد الأمير والغوانمة وأولاد العلاونة وهذا الفخذ أكبر الأربعة عدداً وكنانة ولها عشائر أهمها الشواعر وبنو يحي). وهذا الذي ذكره فؤاد حمزة ليس دقيقا فأولاً الفخذ جزء من القبيلة لأن القبيلة تتألف من عشائر أو عمائر أو خمَّس والعشائر تتألف من عدة فخوذ والفخذ يتألف من عدة بطون والبطون تتألف من عدد من الفصائل، وعلى هذا فكنانة

قبيلة تتألف من عدة عشائر و فخوذ وبطون وكذلك الحال بالنسبة للعلاونة والغوانمة والعمور ووالغبشة والمعاشية هلم جرا.
وقوله: تقيم جميعها في قرية حلي فهو مجانب للحقيقة فحلي يضم عشرات القرى وليس قرية واحدة وتضم تلك القرى الألوف من الناس ولذلك فما أشار إليه فؤاد حمزة في كتابه "قلب جزيرة العرب" كانت تعوزه الدقة.

٩- ومنها مركزي العرضية الشمالية (مقره نمرة) ومركز العرضية الجنوبية (مقره ثريبان) وتتبعهما قرى عديدة وقبائل كثيرة.
ومن قراهم المعقص، و الفائجة وبني بحير وبني سهيم وغبايطا وقرى وادي رحمن والحفيان والخيطان وحلحال والمرجبات بالقرب من سوق حباشة.
ومن قبائلهم بلقرن وبني المنتشر وشمران والعوامر وآل حذيفة وبني سهيم وبني شهر ومنهم شيوخهم واعيانهم الشيخ محمد بن علي المنتشري والشيخ ابن ردفان و الشيخ عبد الرحمن بن وهاس وبن عمار آل العسبلي.
ومن قبائلهم شمران وبالعريان آل بلقرن وآل عمير وآل بالحارث والحقيقة ان أهل العرضيتين يعتبرون من القبائل الكثيرة العدد وقراهم كثيرة ويصعب حصرها في هذا المقام وحسبنا أن نشير فقط إلى ما يتناسب مع موضوع هذا التوثيق وهو بيان أن العرضيتين تتبعان محافظة القنفذة التي هي مناط حديثنا هذا ، ولا نريد أن ندخل في توسع أكثر مما لا يتوافق مع موضوعنا هذا ، حتى لا نخرج عن مضمون البحث، وهو ما يعني الحديث عن القنفذة فقط، وما يتعلق بها إداريا واجتماعياً. وحتى نبين كذلك ما تمت الإشارة إليه أثناء الحديث عن الوثيقة الصادرة في زمن الدولة العثمانية المثبت بها تبعية العرضيتين للقنفذة بشيء من الإيجاز وإلا فإن الحديث عن العرضيتين الشمالية والجنوبية لو شرعنا فيه للزم أن يطول بنا المقام ولكن حسبنا أن نشير إلى ذلك إشارة عابرة فقط ويجدر بنا أن ننوه بالشكر لرئيس العرضية الشمالية عمران بن حسن الزهراني الذي كثيرا ما كان يفيض علينا من كرمه الحاتمي أثناء لقاءاتنا به. وكذلك رئيس مركز العرضية الجنوبية الأستاذ حمود بن عبيد العصيمي الذي لم يأل جهد في بذل مساعدته لنا أثناء زياراتي لتلك النواحي .

والحقيقة أن أهالي العرضيتين الشمالية والجنوبية يعتبرون ممن لازالوا يتمسكون بالعادات العربية الأصيلة مثل الكرم والنخوة والشهامة والشجاعة وهذا لا يعن أن هذه الصفات تعوز جيرانهم من أهل تهامة من غامد و زهران خاصة في محافظة المخواة والقرى المجاورة لها وإنما خصصنا أهالي العرضيتين بالذكر لما حظينا به منهم من الكرام الفياض وطيب مشاعرهم وحسن أخلاقهم.

- صور بعض أعيان ومشائخ محافظة القنفذة اللذين حصلت على صورهم وغيرهم كثير لم استطع جمع صورهم فلهم أن يعذرونني.



الشيخ ابراهيم بن يحيى العجلاني
رحمه الله- شيخ الأشراف العجالين



الشيخ محمد بن أحمد الناشري
شيخ قبيلة النواشرة



الشيخ علي بن شامان الخيري
شيخ الخيرة بدوقة



الشاعر حمزة بن عامر الشريف



الشيخ يحيى بن ابراهيم العجلاني
شيخ الأشراف العجالين



الشيخ عبد العزيز بن علي بن
مرزوق شيخ قبيلة زبيد



محمد بن حسين السحاري
عريفة بني سحار



الشيخ إبراهيم بن مجثل العمري
شيخ العمور بالسبطة



الشيخ محمد بن علي الشاردي
قاضي التمييز السابق

- **الفنون الشعبية في القنفذة**

تحظى القنفذة مثل غيرها من مدن ومحافظات المملكة بالكثير من الفنون الشعبية وقد صنف الدكتور حمزة بن عامر الشريف مؤلفاً ضمنه العديد من فنون الشعر الشعبي الذي تشتهر به القنفذة ومن ذلك شعر الطرق الذي ينقسم إلى عدة نماذج منها "الرد والشرح" كما تطرق إلى بعض الفنون مثل فن "الزيفة" ونحن نضيف إلى ذلك فن المزمار و الكسرة و العرضة والدمة و العزاوي وهي نوع من أنواع الطرق المختص بالمديح أو التشجيع وأحياناً الهجاء. ومن أراد الاستزادة فنحيله إلى كتيب الدكتور حمزة الشريف "الشعر الشعبي في القنفذة".

الفصل الرابع

الباب الثالث

النشاط السكاني والمرافق الهامة و المواقع السياحية

- **النشاط السكاني في محافظة القنفذة**

لكي نكون أكثر دقة يجب ان نشير الى أن النشاط السكاني ينقسم في محافظة القنفذة الى مرحلتين أساسيتين، المرحة الاولى النشاط السكاني قبل دخول القنفذة في العهد السعودي الميمون، والمرحلة الثانية هي النشاط الذي قام بعد دخولها تحت حكم الملك عبد العزيز طيب الله مثواه في عام ١٣٤٣هـ.

فأما قبل أن تصبح القنفذة إحدى المناطق الخاضعة للدولة السعودية في عهد الملك عبد العزيز فقد كان النشاط السكاني يقوم على الزراعة وتربية الماشية في المقام الأول وعلى التجارة وصيد الأسماك والحرف الصناعية في المقام الثاني وهناك من عمل بالمجال الوظيفي في العهد العثماني سواء كان ذلك في الجانب المدني أو في الجانب العسكري إلا أن العمل في هذين المجالين كان محدوداً جداً.

وإذا أردنا أن نبسط القول في مجال النشاط السكاني قبل العهد السعودي فإننا نقول أن لأهالي القنفذة والقرى المحيطة بها عناية فائقة بالزراعة، ذلك أن مصادر الزراعة من حبوب وخضار وفواكهه هي المصدر الأساسي للقوت، ومن أجل ذلك فالكثير من سكان هذه النواحي عملوا في مجال الزراعة، مثل زراعة الذرة والدخن والسمسم والقطن والخضار والبقوليات بمختلف أنواعها، حيث توجد في وادي دوقة و قرماء و ناوان و الشغز و الأحسبة و لومة و قنونا و يبة و حلي، مزارع ذات مساحات كبيرة جدا بل وشاسعة وقد كان يعمل غالب سكان تلك الأماكن في الزراعة التي كانت تقوم على مصادر الأمطار و السيول وعلى الآبار أيضاً فيُزرع الدخن والذرة والسمسم في تلك المزارع فُيزرع الدخن والذرة والسمسم ،، وهذه الأصناف تعتبر مصدر أساسي لقوت الناس هنا ومن السمسم يستخرج الزيت الذي يعتمد عليه في أمور التغذية، وبعض الأماكن لا زالت إلى اليوم تقوم فيها صناعة زيوت السمسم بواسطة المعاصر الشعبية، إلى جانب ذلك كان يزرع العطب الذي يعتبر مصدر أساسي لإنتاج القطن وحب البرعم الذي يستعمل كغذاء هام للمواشي وقد كان يقوم مقام تجارة الشعير اليوم.

أما المزارع التي كانت تسقى بمياه الآبار فكانت غالبا تزرع بها الخضار والبقوليات والريحان والكادي وهي زراعة هامة ولا تزال قائمة إلى يومنا هذا، ولا يعن ذلك إغفال زراعة الذرة والدخن في تلك المزارع ولكنها زراعة محدودة لأن زراعة الذرة والدخن تحتاج إلى مساحات كبيرة وهذا أمر يتطلب قدر كبير من المياه ولم تكن مياه الآبار عادة تكفي لزراعة هذه الأصناف من أنواع الزراعة.

أما زراعة الفواكه فقد كانت القنفذة تعتمد في هذا الجانب على ما يرد إليها عن طريق المخواة والتي كانت تمد القنفذة بالقدر الكافي من الفواكه.



صورة لما كان يعرف بالمحناط - وهو محل بيع الحبوب كالذرة والدخن

أما تربية الماشية فلم تكن بأقل شأناً من الزراعة في القنفذة حيث كان هذا النشاط يعد من الجوانب المهمة هنا وهو نشاط لازال باقياً إلى الآن، حيث تربى الأغنام والبقر والإبل كونها أنواع هامة في حياة الناس حيث يعتمد عليها كمصادر أساسية للحوم والحليب وصناعة الجلود المستعملة في القرب والأحذية وغير ذلك، كما يعتمد على البقر في الحرث وسقيا المزارع إضافة إلى إنتاج الحليب واللبن كما يعتمد على الإبل في التنقل والسفر بالإضافة إلى كونها مصدر أساسي من مصادر اللحم واللبن أيضا والمتاجرة بها في مواسم الحج كأضاحي.

أما صيد الأسماك فإنه يحتل المرتبة الثالثة في القنفذة بعد الزراعة وتربية الماشية، ويتبع ذلك ما يخدم هذا النشاط مثل صناعة القوارب و السفن و تجارة الأخشاب التي تعد هي المصدر الأساسي لهذه الصناعة.
ثم يأتي بعد ذلك النشاط التجاري وهو مقتصر على سكان المدن والأسواق مثل مدينة القنفذة وسوق أحد بني زيد وسوق كياد بحلي وسوق الخميس بالقوز وثلاثاء يبة والمظيلف ودوقة وثلاثاء الخرم وسبت الجارة وخميس حرب وأثنين نمرة وسوق ثريبان بالإضافة إلى وجود من يمارس التجارة المتنقلة على وسائل الجمال أو الحمير.
والى جانب هذه النشاطات توجد أيضا نشاطات حرفية أخرى منها النجارة وعلى ذلك تقوم أعمال صناعة الأبواب و النوافذ و الرواشين و الأسرة الخشبية وهي صناعة كانت رائجة ولها نشاط حي هنا.

كما كانت صناعة الفخار من النشاطات الهامة لاعتماد الناس عليه في أواني الماء و الطبخ وغير ذلك خاصة وأن المواد الحديدية كانت نادرة ومكلفة، كما أن صياغة المجوهرات والخياطة لا تقل شأنا عن النجارة وعن صناعة الفخار. وكانت كل هذه الأنشطة لا يقوم بها إلا أهالي هذه المنطقة. ولم تكن جل أن لم تكن كل المواد المستخدمة في حياة الناس في الصناعة إلا على أيدي محلية فصائغ المجوهرات من نفس البيئة والحداد والنجار وصناع الفخار كذلك فالحلي المستعمل تصوغه أيد محلية. وكذلك الفأس والمسحاة والسكين والخنجر والرمح والمغراب والسنة[٦٢] والقدوم والمطرقة كل هذه الآلات لا تصنعها إلا أيد محلية بحتة.

أما القسم الثاني من النشاط التجاري فهو الذي طرأ بعد أن دخلت القنفذة تحت الحكم السعودي وهذا القسم الثاني لم يلغ النشاط الأول بل يعتبر ازدهاراً له وإضافة عنصر جديد إليه وهو عنصر العمل الوظيفي حيث أصبحت مجموعات كبيرة من سكان القنفذة تعمل في الأعمال الحكومية تبعاً لتوفر كافة مصالح الدولة، وأنا لن أضيف جديداً إذ أشرت إلى ما أشار إليه الباحث عاتق البلادي الذي ذكر ذلك وأضاف قائلا: (كما تشتغل مجموعة من السكان في أعمال البيع والشراء أو ما يعرف بالقطاعي أما بالنسبة للأعمال التجارية الكبرى لما يعرف بمفهومها اليوم المعتمد على الاستيراد والتصدير الخارجيين فلا يوجد بها من ذلك شيء).

وهذا قول صحيح لأن ميناء جدة أدي إلى توقف عجلة النشاط التجاري في القنفذة بعد أن كانت ترد إليها البضائع من اليمن والهند وبعد أن كانت منفذ تجاري بحري هام لسراة عسير ولكن هذا النشاط التجاري توقف منذ فترة طويلة خاصة حينما تم الاعتماد على النقل البري على الشاحنات.
أما بقية النشاطات كالزراعة وصيد الأسماك ورعي الماشية فقد زاد نشاطها بسبب الإعانات والتسهيلات التي تقدمها الدولة لدعم هذه الأنشطة وتبعا لذلك نشطة صناعة وتجارة القوارب وان كانت صناعة القوارب المحلية قد اختفت من القنفذة منذ حوالي ثلاثين سنة وقامت بدلاً عنها القوارب الحديثة المصنوعة من الفيبرجلاس وكذلك الحال في نشاط آلات الزراعة وتجارة الشعير.
ونستطيع أن نؤكد بلا أدني شك أن النشاط الوظيفي يعتبر اليوم من أهم الأنشطة السكانية فهناك أعداد كبيرة من أهالي المحافظة يعملون في مجال التعليم وفي المجال الوظيفي المدني والعسكري إلى جانب العمل الوظيفي في المؤسسات الأهلية مثل الشركات والبنوك والمصالح الأخرى وهناك من شباب المحافظة من يمارس العمل في محلات بيع الأجهزة الحديثة بمختلف أنواعها.

ومن نافلة القول أن نقول انك لا تجد مصلحة من المصالح ولا مرفقاً من المرافق سواء كان حكومياً أو أهلياً إلا وتجد اغلب العاملين به من أبناء المحافظة وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على ازدهار النشاط السكاني في مجال العمل الوظيفي كبقية الأنشطة الأخرى كالزراعة وتربية الماشية محافظة على نشاطها ولم تتأثر بالجانب الوظيفي.

٦٢- قطعة من الحديد تثبت في رأس المحراث من أجل حرث الأرث.

- **المصالح الحكومية والأهلية القائمة في محافظة القنفذة**

توجد في محافظة القنفذة إدارات حكومية وفروع لكافة المصالح بدءً بالمحافظة والمحافظ اليوم هو الأستاذ فضا بن بين البقمي وبها رئاسة للمحاكم العامة يعمل بها رئيس محاكم وأربعة قضاة والرئيس هو الشيخ حسن بن محمد المباركي وهو رجل جمعتني به زمالة العمل ووجدت فيه رجلاً ذا عقل راجح ووعي عميق يدير الأمور بمعرفة الواعي وحكمة الخبير، وأنا وإن كانت شهادتي فيه مجروحة إلا أنني أقول وبكل حيادية انه رجل صاحب حنكة وروية وقدرة على فهم أمور الإدارة إلى جانب قيامه بعمله الأساسي وهو عمل القضاء، ويساعده القاضي الشيخ علي بن زين بن محمد السميري إلى جانب القضاة الشيخ القاضي بيشي بن حسين الحسني والشيخ القاضي أبو بكر بن عمر المتحمي. وبالقنفذة مقر لكتابة العدل يشغله اليوم كاتب العدل الشيخ محمد بن إبراهيم القوزي.
وبها إدارة للشرطة مديرها العقيد علي بن موسى الحكمي. وسجن عام يقع غرب قرية الثعالبة شمال القنفذة على بعد ثلاثة أكيال تقريباً عن وسط البلد وإدارة الجوازات وإدارة للدفاع المدني ومديرها العميد حسن القفيلي الخيري ومديرية حرس الحدود وإدارة المرور ومديرها اليوم غازي العتيبي وإدارة مكافحة المخدرات والمباحث الإدارية والعامة وإدارة الأحوال المدنية وإدارة الأوقاف والمساجد ومديرها اليوم محمد بن علي الشرقي وبلدية القنفذة ورئيسها اليوم علي بن سعد الغامدي وإدارة التربية والتعليم للبنين وأخرى للبنات ومدير التعليم اليوم د. محمد إبراهيم الزحيمي، وفرع الزراعة وفرع المياه وفرع للطرق والنقل وفرع المالية وفرع هيئة الرقابة والتحقيق والادعاء العام ومكتب الضمان الاجتماعي ومديره اليوم يوسف الخالدي، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإدارة الشؤون الصحية ويرأسها فؤاد السندي، ومستشفى القنفذة العام ومديره اليوم محمد بن عيسى الحازمي، ومركز صحي ووحدة صحية للبنين تابعة لوزارة التربية والتعليم وأخرى للبنات تتبع نفس الوزارة، ومديرية للبريد ومكتب للعمل والعمال وفرع للغرفة التجارية وفرع لمصلحة التقاعد وبنك التسليف السعودي ويرأسه أبو بكر بن محمد الزبيدي، والبنك الزراعي ويرأسه علي المغربي، وكلية للمعلمين وأخرى للمعلمات وكلية تقنية ومعهد فني مهني ومدرسة لتعليم قيادة السيارات (دلة) ووحدة مكافحة الملاريا وجمعية الهلال الأحمر السعودي.
وفروع للبنوك الأهلية وهي فرع البنك الأهلي والعربي والراحجي والبلاد، وفرع لشركة الاتصالات السعودية (STC) ويديرها اليوم الأستاذ حسين المعيدي، ومكتب لشركة موبايلي للاتصالات وشركة الكهرباء وتحلية المياه المالحة ومقرها القنع، بالإضافة إلى العديد من المرافق والمراكز الأهلية مثل المستوصفات والمراكز الطبية بالإضافة إلى وجود مكتبة إدارة التربية والتعليم، والمتحف التابع لنفس الإدارة، هذا بالإضافة أيضاً إلى العديد من المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية بنين وبنات ومدرسة تحفيظ القرآن ومدرسة ذوي الاحتياجات الخاصة.
ومسيرة التعليم في القنفذة شأنها عظيم وماضيها عريق وميدانها رحب فسيح، فقد بدأت مراحل التعليم في القنفذة أول ما بدأت بمرحلة الكتاتيب حيث بدأ أهالي القنفذة من خلال الكتاتيب بتعلم القرآن الكريم والفقه ومبادئ القراءة والكتابة وكان يعقد مقر التعليم أو التدريس في منزل المعلم أو في المسجد كما كانت هناك كتاتيب في القرى.

وكان أول ظهور لهذه الكتاتيب في عام ١٣٣٤هـ بعد ذلك قامت مدارس القرعاوي التي أنشأها الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي في الفترة ما بين عام ١٣٦٥- ١٣٧٦هـ .

كتاتيب البنين في القنفذة :

١- كتَّاب آل درويش يعلم به الشيخ حسين بن محمد درويش في مدينة القنفذة وكان التعليم به مقتصرا على القرآن والفقه وبعض مبادئ القراءة.
٢- كتَّاب أحمد عمودي بمدينة القنفذة وكان التعليم فيه مقتصر على القرآن والقراءة.
٣- كتَّاب إسماعيل مكاوي بالقنفذة وكان التعليم فيه مقتصر على القراءة والكتابة.
٤- كتَّاب الشيخ محمد السالك الشنقيطي حيث كان عالما جليلا .

كتاتيب البنات :

١- كتَّاب السيدة فاطمة محمد درويش وكان كتَّابها بجوار كتَّاب والدها.
٢- كتَّاب السيدة لؤلؤة بنت أبكر محمد نولي والدة الأستاذين حسين احمد بدوي وعبد الرحمن احمد بدوي رحمهما الله تعالى.
٣- كتَّاب السيدة فاطمة بنت ياسين الشنقيطي والدة السيد محمد مصطفى الشنقيطي.
٤- معلامة عيشة بنت أحمد عمر باسندوة.

ولم تكن الكتاتيب مقتصرة على القنفذة فقط بل كانت توجد كتاتيب في بعض القرى مثل كتَّاب الشيخ احمد بدوي الشاعري والشيخ احمد بن حسن المهابي في قرية مخشوش بحلي وكتَّاب الشيخ يحيى جابر الغانمي في الخيع بحلي وكتَّاب الشيخ علي بن عمر الغانمي في قرية الغوانمة بحلي وكتَّاب الشيخ محمد بن أحمد البحيصي في السلامة وكتَّاب الفقيه العالم الشيخ علي بن محمد القناعي في كياد والقفل بحلي.

٥- كتَّاب الشيخ بن بلقاسم السيد النهاري بجامع السلامة عام ١٣٤٧هـ ، وكتَّاب الشيخ نهاري بلغيث الغبيشي بقرية السلامة بحلي عام ١٣٥٠هـ .

ولم يكن التعليم في حلي متوقفا على البنين فقط بل شمل البنات أيضا وكانت هناك مدرسة تخرجت منها السيدة ردنية بنت حسن الغبيشي زوجة الشيخ عبد الرحمن بن ابراهيم الكناني شيخ قبيلة كنانة بحلي.

٦- كتَّاب الشيخ بلغيث بن علي الجعيدي الشيخي في البيضين بحلي.
٧- كتَّاب الشيخ عبده بن حسن الشيخي وكتَّاب الشيخ ابراهيم بن محمد قضيبي الشيخي المولود في عام ١٣٣٧هـ .
٨- كتَّاب الشيخ عمر بن علي حمزي العلوي الملقب (زهري) بقرية بالكدوة.

٩- كتَّاب الشيخ عبد الكريم بن علي بن إبراهيم العلوي بقرية منجية المولود في عام ١٣٣١هـ والذي تلقى تعليمه في سامطة بجيزان ثم عاد إلى قريته ولغزارة علمه وفقهه عين في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقنفذة ، كما عين مدرسا في مدرسة حلي التي كانت هي ثاني مدرسة ابتدائية بعد القنفذة افتتحت في العهد السعودي الزاهر عام ١٣٦٣هـ وقد استمر الشيخ عبد الكريم في التعليم حتى أحيل على التقاعد عام ١٣٩١هـ وقد توفى في عام ١٤١٦هـ . رحمه الله تعالى.

١٠- كتَّاب الشيخ عابث بن محمد القشيبي بقرية الردحة بحلي وقد ساعده ودعمه في مسيرته لتعليم الكتَّاب احد الرجال الفضلاء وهو المدعو / حسن بن عبادل الصحبي.

١١- كتّاب الشيخ احمد بن محمد أدريس الصحبية بقرية الردحة.

كتاب وادي يبة :

١- كتَّاب الشيخ حسن بن خلف البيهي في قرية النوارية وقد ترجم له العالم الضمدي الشيخ احمد العكاش في كتابه (عقود الدرر) وأشار إلى انه في آخر حياته انقطع في قريته بوادي يبه يعلم الناس ويفقههم أمور دينهم.

٢- كتَّاب الشيخ علي بن قناعي وأخيه عبد االجرد.حل يبة .

٣- كتَّاب الشيخ الحسن أحمد الفقيه بقرية الجرد .

٤- كتَّاب الشيخ محمد عمود الدين بقرية الحبيل .

٥- كتَّاب الشيخ إدريس بن حسن الفقيه بقرية القوز .

٦- كتَّاب الشيخ عبد الله بن محمد البيشي وابنه محمد بقرية القوز أيضا .

٧- كتَّاب الشيخ قادري بن عبد الله بقرية القوز عام ١٣٦٦هـ

٨- كتَّاب الشيخ عيسى بن سليمان الفقيه والشيخ حسين بن محمد العقيلي .

٩- كتَّاب الشيخ بن نويحر وكان التعليم يشمل الرجال والنساء .

١٠- كتَّاب الشيخ علي بن جابر عشيري القوزي وبقي هذا الكتاب حتى عام ١٣٧٣هـ

كتاب العرضية الجنوبية :

١- كتَّاب الشيخ أحمد بن عبد الله وهاس أحد أسرة آل بن وهاس بيت مشيخة بني رزق ثريبان وكان التعليم فيه يشمل البنين والبنات.

٢- كتَّاب الشيخ محمد بن أحمد الشيباني العماري.

كتاب العرضية الشمالية :

١- كتَّاب الشيخ علي محسن اليماني في شعب العفراء ببني سهيم .

٢- كتَّاب الشيخ عبد الله أحمد اليماني في قرية الفائجة ببلاد بني بحير وهما شيخان قدما من اليمن .

٣- كتَّاب الشيخ علي عادل الحذيفي كان يعلم الناس القرآن في مسجد قرية القرن ببني سهيم .

كتاب وادي لومة :

١- كتَّاب الشيخ احمد بن زاهر الزبيدي بقرية صبيا بلومة في عام ١٣٤٣- ١٣٦٥هـ ويشاركه أخوه محمد.

كتاب وادي قنونا :

١- كتَّاب الشيخ احمد محمد المتحمي وكان على اتصال بالملك عبد العزيز.
٢- كتَّاب الشيخ يحيى بن يحيى المتحمي .
٣- كتَّاب الشيخ عبد الله بن احمد المتحمي .
٤- كتَّاب حمزة بن محمد الشطيري بقرية الجلمة .
٥- كتَّاب خضر بن محمد الزيلعي بمسجد حداب حباب بناحية سبت الجارة .
٦- عبد الله محسن كان من مدرسة القرعاوي بسبت الجارة

كتاب وادي دوقة :

١- كتَّاب الشيخ علي دعشوش الشيخي .
٢- كتَّاب الشيخ حضر محمد المسعودي بقرية المساعيد .
٣- كتَّاب الشيخ جيلان بن عمر الخيري في دوقة .

- **تطور التعليم :**

في عام ١٣٤٩هـ وبناء على اهتمام الملك عبد العزيز طيب الله ثراه الذي كان يسعى بكل ما أوتي من قوة للقضاء على الثالوث الخطير الفقر و الجهل و المرض تم افتتاح المدرسة التحضيرية الابتدائية (السعودية الابتدائية اليوم) وكنت أنا أحد طلابها في التسعينات وبعدها جرى افتتاح عدة مدارس في حلي ومدرسة ثريبان ومدرسة الفائجة والسبطة بحلي ثم توالى افتتاح المدارس في أنحاء المحافظة وقد أنشأت معتمدية للتعليم بالقنفذة وتولى إدارتها الأستاذ احمد عبد الغني الأهدل، بعد ذلك تحولت المعتمدية إلى إدارة التعليم وكان ذلك في عام ١٣٧٨هـ وقبل هذا التاريخ أي في عام ١٣٧٥هـ ضمت للقنفذة بعض المدارس من تعليم الباحة والمخواة وفرعه غامد وبعد ذلك ضمت ابتدائية الليث إلى القنفذة. بعد ذلك انفصلت مدارس الظفير (الباحة) والفرعة والمخواة والليث مكونة إدارات تعليم مستقلة.

وقد بلغ عدد المدارس في عام ١٤٢٨هـ ٣١٦ مدرسة منها ١٤٧ ابتدائية و٧٠ متوسطة و٣٩ ثانوية منها ١٩ مدرسة لتحفيظ القرآن بالإضافة إلى ١٠ مدارس للتربية الخاصة وعدد ٥٠ مدرسة ليلية.

وقد قاد مسيرة التعليم في القنفذة عدد من الرجال المخلصين فقد كان أول مدير للتعليم في القنفذة هو أحمد الأهدل كما أسلفنا، ثم خلفه مصطفى حسين بدوي في عام ١٣٨٥هـ ثم علي يحيى صديق من عام ١٣٨٩ إلى عام ١٤٠٣هـ، ثم احمد مسفر القرني من عام ١٤٠٣ إلى عام ١٤٠٧هـ رحمه الله تعالى،

ثم بالقاسم أحمد الشريف من عام ١٤٠٧ إلى عام ١٤١٧هـ، ثم إبراهيم بن علي الفقيه من عام ١٤١٧ إلى عام ١٣٢٥هـ، ثم بلغيث علي القوزي من عام ١٤٢٥ إلى عام ١٤٢٦هـ، ثم محمد عبد الرحمن بامهدي من عام ١٤٢٦الى عام ١٤٢٩هـ، ثم خلفه شجاع بن ذعار القحطاني الذي جرى نقله بناء على طلبه ثم خلفه الدكتور محمد الزحيمي كما تقدم[٦٣].

ويحسن بنا ونحن لا زلنا بصدد الحديث عن المراق الحكومية بالقنفذة أن نشير للتاريخ في لمحة عاجلة بأن هذه المرافق لا تقتصر على مدينة القنفذة فحسب بل توجد مرافق أخرى مقامة في المراكز التابعة لمحافظة القنفذة إذ يوجد بأحد بني زيد مقر المركز ورئيسه اليوم عائض بن غازي العميري العتيبي، وبه مخفر للشرطة ومركز صحي ومندوبية لتعليم البنات ومجمعات مدرسية بنين وبنات. كما يوجد بالقوز مركز ومحكمة بها قاضيان احدهما الشيخ سليمان بن محمد الربعي وكتابة عدل ومخفر شرطة وبلدية ومركز للدفاع المدني ومركز صحي ومندوبية لتعليم البنات بالإضافة إلى العديد من المجمعات الدراسية بنين وبنات ومستشفى عام يخدم قرى القوز وحلي ويقع بين القوز وحلي.
كما يوجد ببلدة المظيلف مقر المركز ورئيسه اليوم محمد بن مطلق العتيبي، ومخفر للشرطة ومحكمة قاضيها الشيخ نواف بن عمير السعدون، ومندوبية لتعليم البنات ومركز للدفاع المدني وبلدية ومركز صحي ومستشفى عام تحت الإنشاء وقد قام بوضع حجر الأساس له سمو أمير منطقة مكة المكرمة في مطلع عام ١٤٢٩هـ، و وحدة صحية مدرسية بنين وأخرى للبنات ومكتب للبريد وهيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
كما يوجد في القديح بدوقة الثانية مقر المركز ومجمعات مدرسية ومركز صحي. كما يوجد في حلي مركزين هما مركز الصفة في الصفة ومركز كنانة في مخشوش، ومخفري شرطة أحدهما في الصفة والآخر في مخشوش ومركز صحي ومركز للدفاع المدني ومحكمة في الصفة. وكذلك يوجد مركز في سبت الجارة وآخر في خميس حرب وبهما مخافر للشرطة كذلك. كما يوجد في ثلاثاء الخرم مركز ومخفر شرطة ومركز صحي.

ويوجد في العرضية الشمالية مركز يرأسه اليوم الأستاذ عمران بن حسن الزهراني وهو رجل ربطتني به علاقة وطيدة في مجال العمل المشترك أثناء الوقوف على القضايا التي يتم النظر فيها من قبل هيئة الخبراء، كما يوجد بها محكمة قاضيها اليوم الشيخ خالد الغامدي ومخفر للشرطة ومركز صحي ومكتب للضمان الاجتماعي وفرع للبنك الأهلي ومكتب للطرق والنقل وعدد من المجمعات المدرسية بنين وبنات والإشراف التربوي.

وكذلك الحال في العرضية الجنوبية (ثريبان – وشمران) يوجد مركز مقره ثريبان ورئيسه اليوم الأستاذ حمود بن عبيد العصيمي ومخفر شرطة بثريبان وآخر بشمران ومحكمة عامة وكتابة عدل

٦٣- تعليم القنفذة ، نقطة البداية .. ومسيرة التطور .

يشغلها اليوم الشيخ صالح بن علي القرني ومقر للبلدية ومركز صحي وعدد من المجمعات المدرسية بنين وبنات ومقر للإشراف التربوي.

ونحن بهذا نريد أن نثبت للقادم من الأجيال أن الإنسان في عصرنا هذا ينعم بأمن شامل ورعاية كبيرة من هذه الدولة أيدها الله وحفظها وهي نعم لم تشهدها الأجيال التي خلت وكان يحسن بنا أن نثبت الإشارة إلى ما ينعم به ابن هذه الأرض في هذا العصر الزاهر وأعني به عصر المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله ورعاه وفي عهد من سبقه من ملوك هذه البلاد من لدن الملك عبد العزيز طيب الله ثراه إلى عهد أبناءه سعود وفيصل وخالد وفهد رحمهم الله جميعا.



سعادة محافظ محافظة القنفذة

الأستاذ: فضا بن بين البقمي

- **المواقع السياحية والمرافق العامة في القنفذة**

تزخر القنفذة بالعديد من المرافق العامة والمواقع السياحية وتنقسم تلك المرافق إلى قسمين رئيسيين القسم الأول يقع في مدينة القنفذة نفسها ويضم شاطئ البحيرة الجنوبي وشاطئ البحر الجنوبي والغربي وشاليهات ومنتزهات الكادي في الجيادي وشاطئ حنيش وشاطئ القنع وهذه المواقع قد عنيت باهتمام خاص من قبل بلدية القنفذة حيث أقامت على أطرافها الخطوط المعبدة ومشاريع التشجير واهتمت بإقامة الجسور والمظلات والجلسات البحرية والإنارة وإقامة الساحات مثل ساحة الاحتفالات العامة، كما عمدت إلى مد خطوط الكورنيش على أطراف حافة البحر من الجهة الغربية والجهة الجنوبية وتمتد شرقاً إلى ساحل القصارة وتدخل في وسط البلد إلى أن تصل بالقرب من مكان سوق السمك القديم الذي تمت إزالته وهو ما كان يعرف باسم (البنقلة). وتحيط بحافتي البحيرة الجلسات البحرية وأشجار الزينة وتغطي الجلسات طبقة من الإعشاب الخضراء وتجد المتنزهين من كبار وصغار ونساء

وأطفال يشغلون وقت فراغهم بالتنزه في تلك المرافق، كما يزورها الكثير من القرى المجاورة وهي تضفي على البلدة منظراً جمالياً رائعاً ناهيك عما يجده فيها الزوار والسياح من الراحة والمتعة.

كما يوجد أيضا فندق قرية البحر الذي يطل على البحر مباشرة وهو الفندق الذي افتتحه سمو الأمير خالد الفيصل أمير منطقة مكة المكرمة في مستهل عام ١٤٣٠هـ. ويقع على الشاطئ الجنوبي وفندق الحسني بالقرب من الشاطئ الغربي.

أما الساحة العامة فهي الموقع المخصص لإقامة الاحتفالات العامة وأيضا الخاصة وهو موقع معد ومهيأ بوسائل خدمية مثل وجود بوابات ومداخل متعددة وأرصفة خاصة ومرافق حيوية ومواقف للسيارات ومدخل عام يمثل قوس جمالي يعكس صورة حسنة عن العناية بذلك الموقع.

كما أن البلدية أيضا لم تغفل الاهتمام بمنتزه شاطي حنيش الواقع شمال غرب القنفذة على بعد حوالي خمسة أكيال حيث أقيمت عليه المظلات والجلسات وشوارع الكورنيش وزود بوسائل الترفيه مثل ملاهي الأطفال وقوارب السباحة والغوص والصيد والنزهة.
كما قامت مديرية حرس الحدود بإنشاء مركز أمني يهتم بحراسة الموقع أمنياً ويعنى بإنقاذ الغرقى والتائهين ويحذر الغواصين من مواقع الدوامات البحرية الخطيرة ويرشدهم إلى الأماكن البحرية الآمنة.
وهناك شاطي القنع ويوجد به جبل بحري جيري يسمى جبل القنع ويقع جنوب شرق القنفذة على بعد خمسة أكيال تقريباً ويتكون من امتداد صخري ذا تربة جيرية ومرتفع رملي ابيض اللون ويوجد في هذا الموقع أشجار نخيل منحصرة بين شاطئ البحر وبين الجبل الجيري ويكسو أرض موقع النخيل بساط أخضر من الحشائش وأشجار الحلفاء. ويوجد في جبل القنع بئر تسمى (أم الدبا) وهي البئر التي أشار إليها الأمير (الملك فيما بعد) عبد الله بن الحسين في كتابه "مذكراتي" الذي سبقت الإشارة إليه عند الحديث عن موقعة عجلان. وهي بئر يستطيع الظمآن أن يشرب ماءها وقطرها صغير لا يتجاوز المتر تقريباً وعمقها في حدود أربعة أمتار ولم أعد أعرف هل لازالت في موقعها أم أن شركة كهرباء القنفذة التي اتخذت من القنع مقراً لها قد طمرتها وإزالة موقعها وقضت على آثارها. وإن فعلت ذلك فقد ارتكبت عملاً غير حسن في قضاءها على معلم أثري تاريخي كان يجب الحفاظ عليه كمعلم تاريخي يشهد على أحداث التاريخ التي تعرضت لها القنفذة في العصور الماضية وإن لم تفعل شركة الكهرباء فخيرا صنعت. وإنني كنت أود كما أشرت إلى ذلك أكثر من مرة لو أن تلك المعالم الأثرية لقيت شيء من العناية في المحافظة عليها وصيانتها ومنع الأيدي من الاعتداء عليها حتى تبقى شاهد عيان ينطق بلسان الحال عما خلفه الأجداد للأحفاد من تراث عريق يدل على الجهد والكفاح الذي بذله رجال هذه المحافظة في سبيل البقاء على أرضها المعطاءة وحتى يبق الانتماء الحاضر إليها موصولاً بالماضي الغابر لا تنفصم عروة من عراة سواء كانت موروث حي كالمزارع التي خلفها الأجداد والآباء للأبناء أم آثار مات تأثيرها وبقي أثرها.



أحد الشواطئ الجميلة في محافظة القنفذة

أما القسم الثاني فيضم جزيرة "أم القماري" وهي تقع جنوب غرب القنفذة على بعد خمسة وعشرين كيلاً ويبلغ قدر استدارتها حوالي كيلومتر تقريباً وتوجد بها أشجار الحمض والسواد الأراك والصاب وتمتلئ بالآلاف من طيور "القمري" خاصة في فصل الشتاء وهي اليوم محمية من ضمن المحميات الطبيعية وتعتبر جزيرة أم القماري أحد منتزهات القنفذة البحرية الهامة.
والى جانب أم القماري يوجد منتزه وادي قنونا ويضم الصخيرات شرق أحد بني زيد وهو بداية دخول وادي قنونا إلى أرض آل زياد وهو منتزه طبيعي يوجد به العديد من أشجار الدوم والأثل والسمر والسدر والأراك ويعتبر غابة طبيعية خلابة.



جزيرة أم القماري



وادي قنونا بالقرب من سبت الجارة

وإلى الشرق منه يوجد منتزه آخر يقنع شرق جنوب سبت الجارة وهو عبارة عن مجرى ماء تجري فيع المياه على سطح الأرض وبه أشجار من النخيل والسدر والسمر والسلم ومغطى ببساط أخضر من الحشائش وتحيط به الجبال من الشمال والجنوب والشرق والغرب ولا يوجد بينها أي منفذ إلا مجرى الوادي فقط أو طريق جبلية وعرة ،، عدا طريق سبت الجارة خميس حرب المعبد،، وهذا الطريق يعتبر طريق قديم كانت تسلكه قوافل الحج والتجارة في طريقها من السراة إلى تهامة وهو متفرع من الطريق القديم الذي سلكه الشريف حسين باشا في رحلته الحربية التي فك بها الحصار الذي ضربه الإدريسي على سليمان كمالي شفيق باشا متصرف عسير حيث يلتقي الطريقان في وادي يبة في موقع يقال له "الأنصب" وهذا الموقع هو ملتقى مفرق الطريقين حيث تتجه أحدهما إلى "جمعة ربيعة" في بلاد حرب ثم يمر بالقوز والآخر يتجه إلى "ثربان الأسفل" ماراً بخميس حرب ثم سبت الجارة وثلاثاء الخرم ثم يتجه شمالاً ماراً بالحسبة بالقرب من قرية عشم الأثرية.

وأنا لا استبعد أن يكون هذا الطريق قد قام بدلاً عن طريق القوافل القديم المار بسوق حباشة وقرية عشم والذي أُستخدم في رحلتي الشتاء في العصر الجاهلي ثم بقي إلى أن اندثر وخرب سوق حباشة سنة ١٩٧هـ، ثم في حدود الربع الثالث من القرن الخامس أي في حدود سنة ٤٦٢هـ أو ما قاربها،، ذلك أن آخر تاريخ عثر عليه في شاهد أحد القبور بعشم حمل تاريخ ٤٤٩هـ.

الفصل الرابع

الباب الرابع

أهم المعالم الأثرية في محافظة القنفذة

سنتناول في هذا المبحث الذي سنورد من خلاله إشارات عاجلة ومختصرة عن أهم معلمين تاريخيين يتبعان محافظة القنفذة أحدهما "سوق حباشة" والثاني "قرية عشم" وهذين المعلمين الأثريين لم تبق إلا رؤوسهما وآثارهما فقط.

١- سوق حباشة:
سوق حباشة هو الموقع الأثري في قنونا و كلمة الحبش والحبشة الأحبش تعن لغويا جنس من السودان. حبشان وأحابش، وتعن الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة، وهو الموقع القابع شرق القنفذة والذي يرجح بعض الباحثين ومنهم الوالد حسن فقيه، انه يقع فيما يعرف اليوم بالسوق، وسوق حباشة كان يقام في رجب من كل عام. وأكثر المصادر أكدت انه يقع بالقرب من القنفذة وكادت تجمع تلك المصادر على أن سوق حباشة يقع تحديداً في العرضية الشمالية بالقرب من ربوع الفائجة وكان اسم هذا الموقع أو هذا السوق هو الباعث الذي من اجله ألف ياقوت الحموي كتابه الذي سماه (معجم البلدان) وذلك حسبما ذكر هو في مقدمة معجمه حيث قال: (وكان من أول البواعث لجمع هذا الكتاب أنني سألت بمرو الشاهيجان في سنة خمسة عشرة وستمائة في مجلس شيخنا الإمام السعيد الشهيد فخر الدين أبي المظفر عبد الرحيم ...) إلى أن قال: (عن سوق حباشة اسم موضع جاء في الحديث النبوي وهو سوق من أسواق العرب في الجاهلية فقلت - والكلام لياقوت - أرى انه حباشة بضم الحاء قياساً على أصل هذه اللفظة في اللغة لأن الحباشة الجماعة من الناس من قبائل شتى) . ا.هـ . إلا انه لم يعط هذا السوق حقه من البحث والتحقيق وكان يجدر به أن يوف البحث حقه فيما يتعلق بهذا الموقع طالما انه كان هو السبب الرئيسي عنده في تأليف مصنفه القيم وكان يجدر به أن ينشأ زيارة خاصة إلى موقع السوق خاصة وانه كان قريب عهد باندثاره وأجزم انه لو أزمع العزم على الرحيل إلى موقع السوق لكتب لنا علماً قيماً يغني الكثير ممن تاهوا في سباسب البحث والتنقيب عن موقع ذلك السوق العتيق.

فأما عن الخبر الذي أُثر عن أن رسول الله ﷺ حضر سوق حباشة ما روي عن حكيم بن حزام قال: (وقد رأيت رسول الله ﷺ يحضرها – أي سوق حباشة - واشتريت فيها بزاً من بزها وهي صدر قنونا أرضها بارق). وحكيم هنا قد حدد موقع سوق حباشة بأنه يقع في صدر قنونا وصدر أي وسط، ووسط قنونا يمتد من المعقص إلى شرق القنفذة، وبارق لعله يقصد أبرق وهي جمع أبارق وهي الأرض الغليظة التي فيها حجارة ورمل وطين وقنونا كذلك.

أما الأزرقي فقد قال: وحباشة سوق الأزد وهي في ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا وحلي من ناحية اليمن وهي من مكة على ست ليال. .
وقد استدرك بعض الباحثين والمحققين على الأزرقي عدم الدقة في تحديده لموقع سوق حباشة في مسألة الخلط بين صدر قنونا وحلي فحلي ليست قريبه من قنونا ولذلك وقع الكثير من المحققين في حرج من تحديد موقع سوق حباشة فمن اعتمد على صدر قنونا مفسرا كلمة (أرضها بارق) بأنها الأرض الغليظة التي بها حجارة ورمل وطين واستشهد ببعض الشواهد مثل وجود آثار مباني قديمة ومقبرة أثرية ومخلفات فخارية قديمة جداً تقع جنوب غرب ربوع الفائجة في موقع يسمى السوق واستشهد أيضا ببيت كثير عزة وهو يرثي صديقه خندقاً في كثير من شعره ومن ذلك قوله:

بوجه أخي بني أسد قنونى *** إلى (يبة) الى برك الغماد

فيعتبر في نظري على صواب. والحقيقة أن ضبط كلمتي – قنونى وييت – في قصيدة كثيِّر هذه فيها خلل إملائي حيث ضبط كلمة (ييت) هكذا، وهناك من رأى أن صحة كتابة كلمة - قنونا - بالألف الممدودة أصح من المقصورة وقد ضبطها صاحب معجم البلدان مرة باللينة ومرة بالمقصورة فكتب "قنونا" وكتب "قنونى" وباللينة أقرب للصواب كما أكد ذلك بعض المعاصرين ومنهم عاتق البلادي أما كلمة (ييت) فلا خلاف عند المعاصرين أن ضبطها الصحيح هو "يبة" وهي وادي يبة المعروف والمشهور الواقع جنوب القنفذة.
وقد ذكر ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان بأن (خندقاً الأسدي كان صديقاً لكثير عزة وكان ينال من السلف بسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال يوما: لو أني أصبت رجلاً يضمن لي عيالي بعدي لقمت في هذا الموسم وتكلمت فقال كثير: فلله عليّ عيالك من بعدك فقام خندق فسبهما فمال الناس عليه فضربوه حتى أفضوه إلى الموت فحمل إلى منزله بالبادية فدفن بموضع يقال له قنونى) انتهى كلام ياقوت.

قلت: لا أحسب خندقاً والله أعلم إلا انه قد قام في موسم سوق حباشة فسب الخليفتين الراشدين رضي الله عنهما وأرضاهما، ولذلك عندي عدة شواهد تدعم رأيي هذا، منها أن كثير عزة كان عائشاً في عهد الدولة الأموية وكانت وفاته في سنة ١٠٥هـ تقريبا، ومنها أن سوق حباشة لم يدمر وينتهي من الوجود إلا في سنة ١٩٧هـ كما سيأتي، ومنها أن كثير عزة كان من غلاة الشيعة والأمراء في ذلك وهو ما دفعه إلى أن يتحمل عيال خندق عندما يسب خندق الخليفتين الراشدين ويؤكد تشيعه أيضاً برثاءه لخندق حتى اشتهر خندق بسبب ذلك.
وكون خندق الأسدي دفن في قنونا لا يعن بأن كثير عزة لا يعرفه على رأي من قال (خندف) وليس (خندقا) وكما أن ذلك لا يعتبر دليلاً على أن يكون خندق من بني أسد الذين ربما كانوا قد فروا إلى تهامة بعد قتلهم للملك حجر بن الحارث والد الشاعر الجاهلي امرؤالقيس الذي حارب بني أسد وفروا منه بعد أن استنجد لنصرته ببكر وتغلب، بل أن خندقاً يعتبر من بني أسد وبنوا أسد أصلهم من أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وبنو أسد تفرقوا في الديار وإن كانت أشهر قراهم تقع في قرن المنازل ووادي السيل ومنها قرى جنوب الطائف وكذلك في الزيمة ونخلة والعقيق وهو وادي

يمر قرب الطائف ويمر أيضاً غرب عشيرة ومنهم من استقر بالقرب من ذات عرق وهناك قيل أنها كانت ديار حليمة السعدية مرضعة الرسولﷺ.
وكانت لهم ديار أيضاً في حائل والرقة في الشام وليس ببعيد أن يكون خندق مقيم بالمدينة ومن هنا سيكون معروفاً لكثير كون كثير عاش في المدينة ثم تعهد كثير لخندق كما أسلفنا بأن يتحمل عياله إن هو سب الخليفتين أبوبكر وعمر في مجمع كبير وهو موسم سوق حباشة على الأرجح الذي كان يقام في شهر رجب لمدة ثمانية أيام، وبما أن سوق حباشة كان حياً إلى سنة ١٩٧هـ فذلك قمين جداً بأن يهبط إليه خندق الأسدي ويسب أبو بكر وعمر ثم يضربه الناس في السوق حتى مات، ولا يمنعنا قول ياقوت (فحمل إلى منزله – أي خندق – بالبادية فدفن بموضع يقال له قنونا) من أن نرجح أن قنونا المذكورة هنا هي وادي قنونا الواقع بها سوق حباشة القريب من القنفذة بل أن ذلك يجعلنا نعيد النظر كثيراً في قول ياقوت (إلى منزله بالبادية في موضع يقال له قنونا) فذلك لا يتفق مع كون كثير انه سيتحمل عياله من بعده، فكثير في المدينة وقنونا في جنوب مكة على مسير أكثر من ست ليالي، ولولا أن المسافة بين قنونا والمدينة بعيدة لما احتاج الأمر إلى أن يتحمل كثير عيال خدنف من بعده لأن بعد المكان وطول المسافة كليهما قمين بعدم ضمان عودة خندف من رحلته تلك بالإضافة إلى خطورة ما سيقدم عليه خندق حينما يسب الخليفتين !! كما إن الأقرب إلى الواقع أن خندقا عندما اقترب موعد سوق حباشة كشف عن نيته انه لو يجد من يضمن له عياله لقام في ذلك الموسم وتكلم فضمن له صديقه كثير عياله فرحل إلى موسم السوق وتكلم فقتل.
وطبيعي أن يدفن هناك لأن حمله إلى ديار بني أسد سواء كانوا في السيل أم في المدينة أمر محال لقوله في العهد الأموي.

وكثير رثى خندقا بعدد من القصائد منها مرثيته التي من ضمنها البيت المتقدم ومرثيته التي منها قوله:

أصـــادرة حجاج كعب ومالك ** على كل عجلى ضامر البطن محنق

ومنها أيضا قوله:

جزا الله خيرا خندقا من مكافئ ** وصاحب صدق ذي حفاظ ومصدق

أقام قنات الود بيني وبينـــــه ** وفارقني عن شيمة لم ترنــــــــق

حلفت على أن قد أجنتك حفرةٌ ** ببطن قنونى لو نعيـــــشُ فنلتــقي

وقال أيضا في مرثية أخرى وهي التي اخترنا منها الشاهد الأول:

مقيم بالمجازةِ من قنونا *** وأهلك بالأجيفر والثمادِ

وكعب هي خزاعة ومالك كنانة وخزاعة وكنانة من قبائل اليمن. وهل اليمن إلا ما كان جنوب مكة؟ والأجيفر: لعله موضع في ديار بني أسد. والثماد: جمع ثميدة وهناك جبل يقع غرب الفائجة هو جبل ثميدة. كما ذكرت بعض المصادر انه قد ورد في تاريخ العرب القديم أن ثميد تقع شرق القنفذة وتمتد من يبة إلى قنونا ويوجد بها مناجم الفضة وتوجد بها مواقع تحمل نقوش يعتقد بأنها ثمودية والثمد هو أيضا جمع ثماد وهو الماء القليل الذي يتجمع شتاء وينضب صيفا وذلك متحقق في قنونا وفي شسع وفي يبة[٦٤].

وأجمعت معظم المصادر أن سوق حباشة كان قائما إلى عام ١٩٧هـ وكان والي مكة إذا اقترب موعد سوق حباشة استعمل عليه رجلاً يخرج معه بجند فيقيمون بالسوق إلى أن تنتهي مدته وظل ذلك إلى أن قتلت الأزد والياً كان على السوق بعثه الخليفة داود بن عيسى بن موسى العباسي في عام ١٩٧هـ فأشار عليه فقهاء مكة بتخريب السوق وتدميرها فخربها وتركت إلى يوم الناس هذا[٦٥]، وليس ذلك ببعيد أن تكون فعلت الأزد ذلك تعصباً لمقتل خندق لأن الأزد ارتبطت بقبيلة أسد كما ورد ذلك في بعض المراجع.

والآن وبعد أن سقنا الشواهد والاستنتاجات لننظر ماذا كتب المؤرخون عن سوق حباشة؟

قال البكري في معجمه: حباشة، بدون ألف ولام سوق للعرب معروفة بناحية مكة وهي أكبر أسواق تهامة كانت تقام ثمانية أيام في السنة.

أما الأزرقي في أخبار مكة فقد قال: وحباشة سوق الأزد وهي في ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا وحلي من ناحية اليمن من مكة على ست ليال.

وقال عاتق البلادي في مصنفه بين مكة واليمن: من صدر قنونا وحلي المكانان لا يمكن جمعهما فهما واديان يتباريان وبينهما عشرات الأكيال فهو أما من صدر قنونا وأما من صدر حلي، وأردف بأن البكري نص على انه من صدر قنونا، بينما أجمعت النصوص انه في ديار بارق وديار بارق من حلي وليست في قنونا. وقال: لا اعتقد إنهم كانوا ينزلون قنونا ثم أزيحوا عنها.

أما الوالد حسن إبراهيم فقيه شافاه الله وعافاه فيستنتج أن سوق حباشة يقع في صدر قنونا وتحديداً جنوب غرب الفائجة بحوالي أربعة أكيال، وهو لم يقطع بذلك ولكنه يظن ظناً أقرب إلى الواقع، وقال أن الأوصام من بارق لا يُعرفون اليوم.

وهناك من يظن أن سوق حباشة يقع في المعقص لأن الفائجة منصرفة عن طريق الحجاز والموقع الذي ذكره الوالد حسن فقيه بعيد عن جهة الطريق وهو أيضا مكان ضيق نسبيا، كما أن المعقص توجد به آثار قديمة وقبور وبعض النقوش.

٦٤- المنجد في اللغة .
٦٥- بين مكة واليمن .. عاتق البلادي

قلت لا ريب عندي بناء على كل ما تقدم أن سوق حباشة يقع في قنونا وليس في بارق، والدليل على ذلك كثرة الشواهد وتضافرها من شعر ومن وصف ومن آثار ورموس ومن طرق قديمة .

وحينما وقفت بنفسي على موقع السوق بقنونا رأيت تلك الآثار التي لم يبق منها إلا حجارة متناثرة هنا وهناك ومن المؤكد أن تلك الحجارة كانت قائمة كمباني وما يؤكد ذلك أن بعضها يظهر بشكل مرصوص بفعل فاعل وقد وقف بي السيد معيض بن عائض بن محمد القرني وأكد لي أن هذا الموقع منذ أن نشأ آباءنا وأجدادنا وهم يقولون عن هذا الموقع (موقع السوق)، وقد امتدت يد الإنسان ونقلت بعض، بل جل، الحجارة واستخدمها الناس في البناء وفي وضعها على السدود الترابية لمزارعهم.

وقيل بأن الشنفري ثابت بن أوس الأزدي كان ممن شهد سوق حباشة، والشنفري هو صاحب لامية العرب المشهورة، وقد بلغني أن المشرف على الآثار بالعرضيتين المعلم عبد الله الرزقي ألف كتاباً عن سوق حباشة إلا انه لم يتسنى لي الإطلاع عليه ولم أجده في بعض المكتبات هنا مع أنني اطلعت على صورة الغلاف على الشبكة العنكبوتية ولكن لم أتمكن من وجود نسخه منه على الانترنت.

ونحث من أراد أن يطلع على آثار المعقص أو آثار السوق غرب جنوب الفائجة أن يزور تلك المواقع ليقف بنفسه على مشاهدة صورة حية تكاد تنطق بلسان حالها عن الماضي السحيق في أبلغ لغة عن ثقافة ذلك العصر البائد.

وبعد أتممنا الحديث عن سوق حباشة الأثري وأوردنا الشواهد التي تيسر لنا الإطلاع عليها رأينا من الحسن أن نذكر ترجمة مختصرة عن كثير الذي حفظ لنا بشيء من شعره اسم قنونا.

- **كثير عزة**:- هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي ، يكنى أبو صخر.

قال عنه صاحب الأعلام مصري متيم مشهور من أهل المدينة، كانت أكثر إقامته في مصر[٦٦].
وفد على الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان فازدرى منظره ولما عرف أدبه رفع مجلسه فاختص به وبني مروان يعظمونه ويكرمونه، كان دميماً مفرط القصر في نفسه شمم وترفع[٦٧].

ويقال له أيضاً ابن أبي جمعة و (كثير عزة) و (الملحي) نسبة إلى بني مليح وهم قبيلته.

ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء تحت التسجيل ٤٦٢٤- الجزء الثاني – نشر بيت الأفكار الدولية قائلا: كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي { / ت / ١٠٧هـ }. وأردف قائلا: كثير عزة من فحول الشعراء، امتدح عبد الملك والكبار، وقال الزبير ابن بكار كان شيعياً يقول بتناسخ الأرواح وكان خشبياً يؤمن بالرجعة وقان قد تتيم بعزة وشب بها[٦٨].

قلت عجيب أمر كثير عزة كيف يكون منتشيا ومع ذلك يمتدح الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وبني أمية والشيعة على طرفي نقيض ؟ .
قال المرزباني: كان شاعر أهل الحج الشيعة "إسلام" لا يقدمون عليه أحداً وفي المؤرخين من يذكر انه من غلاة الشيعة وقيل انه كان يرى انه يونس بن متى[٦٩].
أما لهوه مع عزة بنت جميل الضمري فهي كثيرة معلومة فقد هام بها حتى عرف باسم كثير عزة وكان عفيفا في حبه، قيل له: هل نلت من عزة شيئا طول مدتك؟ قال: لا والله.

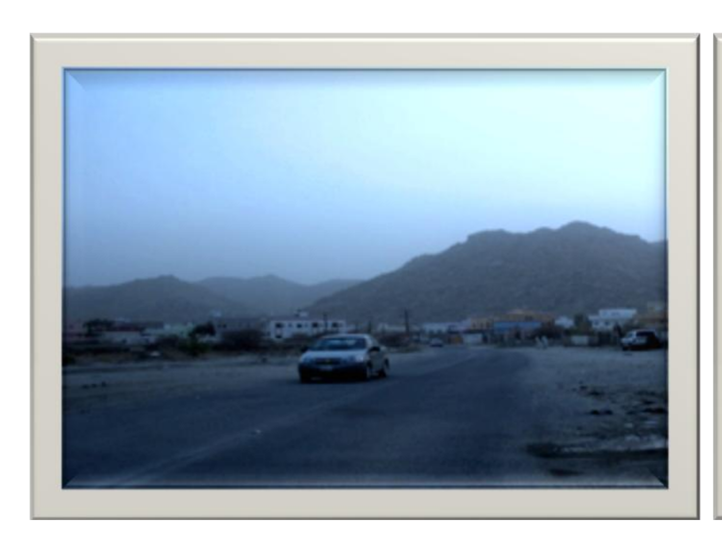
وقد توفى في المدينة وله ديوان شعر مطبوع وعندي انه شيعي بلا ريب فهو الذي بسبب تشيعه رثى خندقاً الأسدي وما ذلك ليكون لولا تكلم خندق في الخليفتين الراشدين كما تقدم، وأدى ذلك إلى مقتله وبالتالي قام كثير برثاءه لأنه على مذهبه حسبما روت لنا المصادر التي اشرنا إليها فيما سقناه هاهنا.

أما خندق الأسدي فشخص مغمور لم اعثر له خلال بحثي على ذكر سوى ما رثاه به كثير وما أشار له أهل التوثيق والشراح من أن كثير هو الذي تعهد لخندق بحفظ أهله من بعده أن هو قام في الموسم وتكلم في الخليفتين و ما سقناه من مقتل خندق في سوق حباشة ومن ثم رثاء صديقه كثير له في أكثر من قصيدة وبسبب ذلك اشتهر اسم خندق كقتيل في قنونا وليس كعلم ذا شأن في عالم الشهرة.

٦٦- الاعلام . خير الدين الزركي
٦٧- الاعلام . خير الدين الزركي
٦٨- سير اعلام النبلاء للذهبي
٦٩- سير اعلام النبلاء للذهبي



بعض المانزل الأثرية في "المعقص" القريبة من ربوع الفائجة



صورة المدخل الشرقي لربوع الفائجة



صورة احد الحجارة الموجودة في السوق وتظهر عليها آثار النقش



وادي قنونا بالقرب من الموقع المعتقد بأنه سوق حباشة



منظر عام للموقع الذي يعتقد بأنه موقع سوق حباشة

- مخلاف عشم

يقع مخلاف مدينة عشم الأثرية شمال القنفذة على بعد خمسين كيلومتر تقرباً وبين عشم وبين مركز ناوان ستة كيلومترات إلى جهة الشمال وقد أصدر عنهما الوالد حسن فقيه مصنفا سماه (مخلاف عشم) وذكر فيه قرية عشم الأثرية وقرية مسعودة ومحلة النصايب ومحلة الأحسبة الشمالية ومحلة الأحسبة الجنوبية وتلك كلها عبارة عن بقايا آثار قرى ومدن أثرية مندثرة لم يبق منها اليوم إلا الآثار والرموس فقط.

وقد أوضح الباحث حسن فقيه بأن المخلاف حسب اصطلاح الجغرافيين هو الوادي أو موضع فيه مزارع وقرى أقامت به قبيلة وعمرته. وعلى هذا المفهوم يكون مخلاف عشم عبارة عن مجموعة من القرى تضم قرية مسعودة الأثرية وقرية محلة النصايب الأثرية وقرية محلة الأحسبة الجنوبية الأثرية وقرية محلة الأحسبة الشمالية الأثرية ،، وهذه القرى الأثرية لازالت آثارها ورسموها قائمة إلى يوم الناس هذا ولازالت المقابر الموجودة حولها قائمة بصورة واضحة جداً وجلية لم يتغير فيها شيء رغم مرور أكثر من تسعة قرون على زوال أهل تلك القرى واندثار جميع مساكنهم بلا استثناء.

ومخلاف عشم يوجد به اليوم العديد من الشواهد الأثرية من بقايا منازل مهدمة ونقوش على شواهد من الحجارة التي كانت موجودة في مقبرة عشم وكان يوجد بها منجم للذهب حسبما ذكر الباحث حسن فقيه وذكر أن ابن خرداذبة (نحو ٢٠٥- ٢٨٠) ذكر مخاليف مكة بتهامة فقال (ومخاليفها بتهامة ضنكان وعشم وبيش وعك)[٧٠]. كما أشار اليعقوبي في تاريخه إلى مثل ذلك أيضا.

وقد ذكر الباحث حسن فقيه أن سبب قيام قرية عشم وأهمية موقعها يعود لوجود معدن الذهب الذي كان يستخرج من منجمها وانه يفوق غيره جودة وغزارة وان ذلك الموقع يعود إلى زمن ما قبل ظهور الإسلام بكثير وأن عشم مخلاف من مخاليف مكة وكلمة مخلاف تعني الإقليم وهو ما يعرف اليوم بالمنطقة، كما أشار إلى أن الدولة الأموية اهتمت بموارد معادن الحجاز سنة ١٢٨هـ لما كان يمثله دخل الذهب من أهمية لبيت مال المسلمين. وأن موقع عشم له أهمية خاصة كونه يقع عند نقطة انتقال بين سطحين مختلفين من التضاريس الجغرافية شرقي جبلي، وغربي سهلي، فتمثل بذلك همزة اتصال بين سكان التلال الجبلية وسكان السهل الساحلي[٧١]. ولا احسب الوالد حسن فقيه إلا انه كان مصيباً فيما ذهب إليه من تعليل لقيام ذلك المخلاف العتيق الذي كان في سابق الأيام يشهد حضارة عامرة قبل أن تأتي إليها يد الإله جل وعلا.

٧٠- مخلاف عشم – حسن فقيه
٧١- مخلاف عشم – حسن فقيه

كذلك أشار الباحث الوالد حسن فقيه إلى أهمية موقع عشم في تزود القوافل التجارية اليمنية بالماء والأعلاف عند التوقف في ذلك المخلاف الذي يعتبر محطة استراحة وتزود هامة لقوافل التجارة أثناء الرحلات السفرية. كما توقع أيضا أن موقع عشم قد جعل منها محطة من محطات خدمات البريد منذ بداية العصر العباسي الأول .

وقد توقع الباحث حسن فقيه أن الأسرة التي تولت إمارة مخلاف عشم هي أسرة آل عويد وذلك استنتاجا من النقوش الشاهدية التي تم العثور عليها في مقبرة عشم الخاصة ببيت الإمارة حيث ضمت تلك المقبرة عددا من النقوش الشاهدية جاء بأحدها النقش التالي: (الأمير عبد الله بن عويد بن محمد بن عبيد الله) حيث قال: (لا يستبعد أن يكون قد تولي الإمارة بعد والده عويد بن محمد بن عبيد الله وقد توفى الأمير عبد الله في رمضان سنة ٣٧٩هـ ...)[٧٢] .

أما الدكتور احمد بن عمر الزيلعي فقد تناول موضوع قرية عشم الأثرية في بحث خاص في مجلة جامعة الملك خالد المجلد الحادي عشر للسنة الهجرية ١٤١٩هـ وذلك بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة ويظهر لي أن الدكتور احمد أراد أن يصل الماضي العريق بالحاضر التليد حينما تناول قريشة عشم الأثرية على وجه التحديد وقد أشار إلى أن مؤرخ اليمن الحسن الهمداني في كتابه الإكليل كان أول من بادر إلى الاهتمام بدراسة علم شواهد القبور في باب الحقول المساندة لتدوين التاريخ وقد وظفه في خدمة تاريخ أهل اليمن، ويليه مؤرخ مكة تقي الدين الفاسي الذي استفاد من شواهد القبور في تدوين سلسلة انساب الشخصيات الذين ترجم لهم وأشار إلى ذكر عشم في قصيدة أبي الجياش التي أوردها الهمداني حيث وصف أبو الجياش طريق الحج شعراً ومن ذلك قوله:

فقنونا فأرض دوقة فالليث *** فعشم فالسرين فالسراء

ومع أن ترتيب المواقع في هذا البيت غير متفق مع الواقع فعشم تأتي بعد قنونا في الترتيب للقادم من اليمن إلى مكة المكرمة ثم يلي عشم في الترتيب دوقة ثم السرين ثم الليث، ولم يتطرق الدكتور احمد إلى تحديد موقع السراء ورأيت أن ياقوت قال عن السراء في معجمه: (سراء بالفتح كذا مضبوط بخط ابن نباته انه اسم هضبة). وقال أيضا: (السراء أرض لبني أسد. أما سُرَّاء بضم أوله وتشديد ثانيه فهي اسم من أسماء سر من رأى. وسراء أيضا وادي أرك وهي مدينة سلمى أحد جبال طي).

وأنا لم اطلع على موقع اسمه السراء بالقرب من عشم أو من الليث وقلت لعل ابن أبي الجياش يقصد هضبة يلملم (السعدية) أو ما جاورها كالخضراء وجبل أبي صادع المشهور بتلك الناحية وتلك كلها هضاب إذا أخذنا في الاعتبار بقول ياقوت عن ابن نباته أن السراء اسم هضبة. والذي يقف على موقع مدينة عشم الأثرية اليوم لا يجد إلا رموزاً بالية امتدت لها يد القدر الرباني فأتت على من كان فيها من

٧٢- مخلاف عشم – حسن فقيه

البشر وأصبحت لا ترى إلا مساكنهم خاوية على عروشها على هيئة أكوام من الحجارة نبتت في عرصاتها وفي قيعانها وأطلالها أشجار من السمر والسلم والسرح والرمث والحشائش فهي أثراً بعد عين تعكس للناظر إليها آيات بينات من قدرة الله وعظمته الذي يزيل الجموع والأجناد جيلا بعد جيل وينشأ بعهم قوما آخرين إلى أن يرث الأرض ومن عليها والسماء ومن فيها يوم يقومون له بالحق كما كتب عليهم ولهم ولله الأمر من قبل ومن بعد.



منظر لمدخل موقع قرية عشم حيث يلتقي السهل بالجبل و هنا تقبع عشم



اللوحة التحذيرية المقامة بجوار بوابة السور من الجهة الغربية



منظر عام لبعض بقايا آثار مدينة عشم الاثرية المندثرة

- **جولة ميدانية في قرية عشم**

بعد عصر يوم الاثنين الموافق ١٤٣٠/٨/٥هـ قمت بجولة ميدانية في داخل موقع قرية عشم والتي سبق لي أن زرتها قبل عشر سنوات تقريبا وكنت ضمن بعض الأشخاص الذين كان منهم الباحث حسن فقيه شخصيا وكاتب العدل بكتابة عدل الثانية بجدة حينذاك الشيخ عبد الله بن علي بن مرزوق الزبيدي والعميد علي بن مبارك السريحي والشيخ إبراهيم بن علي بن مرزوق عضو محافظة القنفذة حينذاك والأخ صالح بن علي بن مرزوق وجمع من الرجال الأفاضل الذين كانوا في ضيافة الشيخ عبد الله بن مرزوق ، وقد تجول بنا الباحث حسن فقيه في أرجاء بقايا رموس قرية عشم وحدثنا عن بعض النتائج التي توصل لها من خلال بحثه عن تلك القرية المندثرة . وعندما عدت لها اليوم تجولت في جنباتها وتأملت في رموسها ورأيت في بقايا آثارها آيات لؤلؤية الألباب تتجلى فيها عبر عظيمة.

وقد رأيت بقايا اغلب جدران المنازل الحجرية لا تزال على الهيئة التي أنشأت عليها ثم تهدمت تلك الجدران ولم يزد ارتفاع ما بقي منها قائما على أكثر من متر واحد، وقد لاحظت أن بقايا آثار الجزء الأوسط من مباني القرية يظهر على هيئة مباني متقابلة وكأنها كانت على هيئة سوق يقسمها شارع عام كما في الصورة التالية:



منظر يشبه الشارع يقسم المباني إلى قسمين متقابلين على هيئة شارع

ويوجد في وسطها بقايا آثار مبنى ظهر لي انه أثر اكبر مبنى رأيته في قرية مخلاف عشم الأثرية واغلب الظن عندي انه مسجد القرية ، فقد كانت هيئته توحي بذلك لأنه مستطيل الشكل وبقايا جداره المواجه للقبلة والجدار الموازي له هما اكبر الجدران بينما الجداران الواقعان على يمين المتجه للقبلة وعلى يساره اصغر من الأوليان . وقد أمعنت النظر لعلي التمس هيئة المحراب إلا أن تناثر أكوام الحجارة في كل اتجاه لم يبق ما يمكن الاستدلال به على المحراب وإذ لو تحقق لي ذلك لارتقى الظن إلى منزلة اليقين.



من المتوقع أن هذه الآثار هي بقايا مبنى المسجد

وموقع القرية الأثرية اليوم محاط بسور من الأسلاك الحرارية والأسلاك الشائكة ومواسير حديدية مثبته في الأرض بواسطة صبات خرسانية وهي عبارة عن ثلاثة أسوار الأوسط يحيط بالقرية ومقبرة صغيرة تقع في الجهة الشرقية من القرية والثاني يحيط بالمقبرة الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية عن القرية والثالث يحيط بالمقبرة الواقعة جنوب القرية الأثرية.

وقد ظهر لي أن القبور الواقعة في المقبرة الواقعة شمال شرق القرية محاطة بأحجار مرتبة بعناية خاصة وصفة الأحجار صفة مختلفة عن بقية الأحجار التي تحيط بالقبور الواقعة شرق القرية وجنوبها ذلك أن الحجارة التي تحيط بالقبور التي في المقبرة المذكورة هي صخور ملساء ومسطحة ومرصوصة بعناية تميزها عن بقية القبور ويظهر أن تلك المقبرة خاصة بأصحاب الشأن من الأمراء أو الأثرياء وقد لاحظت الترتيب المميز في تلك المقبرة يشمل حتى القبور الصغيرة التي يبدو أنها قبور للأطفال.

لم أجد أي من الشواهد المنقوشة في جميع القبور التي وقفت عليها ويظهر لي بأن صخور الشواهد التي تحمل تلك النقوش قد نقلت إلى متحف أو مستودع إدارة التربية والتعليم بالقنفذة من اجل المحافظة عليها من التلف أو الضياع بسبب العوامل الطبيعية أو البشرية. وقد وجدت غرفة من البلك والأسمنت مقامة على قمة جبيل صغير يقع بين القرية الأثرية وبين المقبرة الشمالية الشرقية.

كما شاهدت مولّد قديم متوقف عن العمل يظهر لي انه كان يستخدم لتوليد الطاقة من اجل عمليات تلحيم الأسلاك الحرارية التي استخدمت في تسوير القرية والمقبرتين كما تقدم. وربما استخدم ايضا اثناء بناء

الغرفة فقد لاحظت وجود اعمدة حديدية مثبته في الأرض ويبد انه كان موصل بها أسلاك لإيصال التيار إلى تلك الغرفة.
و تقع قرية عشم الأثرية في سفح جبلي يطل على سهل رملي وهو بصفة عامة عبارة عن تل صخري يكتنفه من الجهتين الشمالية والجنوبية واديان صغيران يسيلان من سفوح الجبال الواقعة شرق القرية مباشرة والمقبرة الشمالية الشرقية تشترك تقريباً مع القرية في نفس الموقع أما المقبرة الجنوبية فيفصل بينها وبين القرية الوادي الجنوبي. وقد شاهدت أشجار السمر والسلم تنتشر في الوادي الشمالي والجنوبي. كما شاهدت نبات العرفج يملأ الشعبان المحيطان بقرية عشم الأثرية من الشمال والجنوب.
وقد تذكرت البيت الذي أورده الباحث الوالد حسن فقيه وهو يستشهد به على وجود نبات العرفج في موقع قرية عشم بشعر شاعرها حيث قال:

ولها جيد مغزل أم خشف *** ترتعي بين عرفج وبشام

والخشف هو ولد الظبي أول ما يولد ولعل الشاعر هنا يكني بقوله (أم خشف) أي أن خصرها مثل خصر الظبية بعد أن تلد مولوها الأول فيصبح خصرها ناحل خميص وفي هذه العبارة دليل على قوة اللغة العربية التي كان يتحدث بها أهل مخلاف عشم[٧٣].

كما أورد الوالد حسن فقيه بيتا آخرا نصه:

دعص رمل حر عليه قضيب *** سيسبان عليه بدر التمام

والدعص: هو كثيب الرمل مجتمع، كما أن قرية عشم ما هي ألا كما وصفها الوالد حسن فقيه بأنها مادة أقدامها في طرف ذلك السهل التهامي[٧٤] قلت: وهي أيضا تسند رأسها على سفوح جبال تهامة مما يلي قرية المروة من الجهة الشرقية وهي تقع عند تقاطع خط ٤١/١٢ درجة شرقا بدائرة عرض ١٩/٣٦ شمالا تقريبا وهي تقع تحديدا شرق المظليف بحوالي ثمانية عشر كيلومتر وشمال شرق مركز ناوان بحوالي ستة كيلومتر.

٧٣- مخلاف عشم – حسن فقيه
٧٤- مخلاف عشم – حسن فقيه



منظر يبين اتصال عشم بالسهل والجبل

وأثناء تجولي في المقبرة الجنوبية التقيت رجل يبدو لي انه في السبعين من عمره أو أكثر بقليل. سلمت عليه ثم قلت له: أأنت من قبيلة زهران أم من قبيلة زبيد؟
قال لي: أن أردت أنت أنني من زهران فأنا منهم وإن أردت أنني من زبيد فأنا منهم.
ولكن عندما سمعت لكنته أدركت انه من قبيلة زبيد فقلت له: أريد أن تكون من قبيلة زبيد.
قال لي: إذن كما تريد.
قلت له: ما اسم الشيخ الكريم؟
قال: محمد بن حسن بن علي الزبيدي.
بعد ذلك سألته قائلا له: ماذا تعرف عن قرية عشم الأثرية ؟
قال: لا اعرف عنها إلا أنها آثار ورموس مباني مهدمة فقط.
قلت له: أما كان آباءكم يحدثونكم عن أهل هذه القرية ممن هم من العرب؟ والى من من القبائل العربية يرجع نسبهم؟ وهل باقي من عقبهم أحد؟ وما سبب اندثار قريتهم؟
قال: لا اعرف عن كل ذلك أي شيء.
قلت له: أين موقع الشواهد التي تحمل النقوش الكتابية؟
قال: تقع في المقبرة الواقعة شمال شرق رموس عشم . كما أن هناك بعض تلك الصخور قد نقلت إلى مدرسة المروة بعشم الواقعة غرب القرية الأثرية مباشرة.

ودعت صاحبي ثم عدت إلى موقع المقبرة الشمالية الشرقية وبحثت بين القبور عن الشواهد المنقوشة ولم أعثر على أي شاهد يحمل أي نقش.

غادرت موقع قرية عشم الأثرية متجها إلى الغرب وعلى بعد كيلومتر ونصف الكيلومتر مررت بقرية المروة بعشم وهي متصلة بقرية العواصية الواقعة غربها بخط مسفلت وشاهدت مدرسة المروة بعشم وقرية المروة قرية صغيرة نسبيا ويصلها بقرية العواصية الواقعة غربها مباشرة خط معبد وتشملها خدمة التيار الكهربائي وعلى بعد أربعة كيلومترات غربا وصلت قرية العواصية ثم تجاوزتها إلى قرية البقاقير وأثناء مروري في وسط قرية البقاقير شاهدت رجلاً يسير مترجلاً على قدميه فتوقفت أمامه وعندما سلمت عليه وإذ به احد زملائي السابقين في العمل الذي تركته بناء على طلبي في عام ١٤٢٠هـ وهو الزميل محمد بن حسن بن علي الزبيدي والذي ما أن عرفني حتى ألح علي جدا بأن يستضيفني في منزله كما هي عادات العرب إلا أنني رجوته أن يعذرني و أن يقدر ظرفي الراهن كوني قادم من جولة ميدانية مرهقة وهيئتي ومظهري لا تسمحان لي بأن انزل ضيفا على احد بعد أن كنت في موقع مليء بالأتربة والأحراج، كما أن صلاة المغرب قد أزفت والوقت غير مناسب للضيافة. بعد ذلك سمح لي مشكورا بالانصراف فسلكت الطريق المسفلت إلى مركز ناوان وهناك توقفت لأداء صلاة المغرب في احد المساجد المجاورة للطريق العام المظيلف - المخواة ،، وقد سرني المنظر الجمالي الذي شاهدته في ذلك المسجد المزين محرابه بالخشب المزخرف المطلي بمادة عودية اللون بمساحة لا تقل عن أربعة أمتار طولا في ثلاثة أمتار ارتفاعا وعندما رأيت ذلك المنظر الجمالي الأنيق في محراب المسجد عدت بالذاكرة إلى الوراء وتذكرت قرية ناوان عندما كانت مكونة من مقهى وثلاث عشش من القش فقط تعود للشخص الذي انشأ المقهى وكان اسمه (شاقي) وسمي المكان على اسمه (مقهى شاقي). واليوم يضم هذا الموقع مركزا به وحدة للدفاع المدني ومركز صحي ومخفر للشرطة ومركز للأمارة وعمائر سكنية بعضها ثلاثة ادوار ومجمعات مدرسية للبنين والبنات وحديقة ملاهي للأطفال ومحطات للوقود ومحلات تجارية وهو يتبع محافظة المخواة التابعة لمنطقة الباحة

- **سبب اندثار قرية عشم**

لم يذكر الوالد حسن فقيه نصاً صريحاً يحدد نهاية وجود قرية عشم وإنما توقع توقعات مبنية على استنتاجات دراسية تعتمد على تاريخ آخر نقش تم العثور عليه في قرية عشم حيث حمل الشاهد نقش التاريخ ٤٤٩هـ وعلى ما أورده ياقوت الحموي نقلاً عن صاحب الأترجة مسلم بن محمد اللحجي المتوفى سنة ٥٤٥هـ حيث قال: (وعشم قرية كانت بشامي تهامة مما يلي الجبل بناحية الحسبة) - يعني الأحسبة - ويركز حسن فقيه على الفعل الماضي (كانت) مشيراً أنها في زمن صاحب الأترجة تعتبر مندثرة. وتوقع حسن فقيه أن تكون عشم اندثرت بسبب وباء جارف مثل الجدري أو الكوليرا، وربما ساعد ذلك مجاعة مهلكة ولا يستبعد أيضا أن يكون من ضمن الأسباب تعرضها لحملة أو لحملات حربية للسيطرة على منجم الذهب بها، أو ربما تكرر غزوها ونهب ثرواتها.

ولا يستبعد أن تكون اندثرت بسبب المجاعة التي حدثت في اليمن عام ٤٤٣ هـ حتى أكل الناس الميتة وخلت الأسواق من الحركة والعمل. كما حدثت مجاعة ثانية في عام ٤٦٢هـ وشملت تلك المجاعة حتى مصر والحجاز وقيل أن الذهب في تلك المجاعة قد رخص حتى ساوى سعره سعر التراب إلى أن قيل أن احد القصور في احد الأقطار بيع برغيف واحد[٧٥]. وبما أن الصور التي تم التقاطها في يوم الاثنين لم تكن كافية وظهرت لي عليها بعض الملاحظات فقد عدت إلى موقع عشم بعد عصر يوم الثلاثاء ١٤٣٠/٨/٦هـ وأعدت التصوير وهنا يلاحظ فارق التاريخ بين يوم الاثنين ويوم الثلاثاء المدون على بعض الصور.

هذا وقد أورد الباحث حسن فقيه الكثير من الشواهد في مصنفه المشار إليه آنفا ومن أراد الازدياد فعليه الرجوع إليه.

٧٥- مخلاف عشم – حسن فقيه

الفصل الخامس

بعض العادات والتقاليد التي كانت موجودة في محافظة القنفذة ثم اختفت او كادت تختفي

١- عادة الأخبار او ما يعرف بـ (العون)
٢- عادة إحتفالات الختان
٣- عادة المساماة
٤- الزي الذي كان شائعا ارتداءه قديماً

الفصل الخامس

بعض العادات والتقاليد التي كانت موجودة في محافظة القنفذة ثم اختفت أو كادت تختفي

- **عادة الأخبار أو ما يعرف بـ (العون)**

لم يكن الناس في الزمن القديم يعرفون وسائل الإعلام مثل المذياع أو الصحف اليومية ناهيك عن التلفاز وما شابه ذلك ، وكانوا يستعيضون عن ذلك بما يعرف عندهم - بالعون – وطريقته إذا تقابل الرجلان سواء كانا من نفس القرية أو هذا من قرية وذاك من أخرى أو هذا من قبيلة والآخر من قبيلة أخرى وعادة يكون الشخص منهم يحمل عصا فيبدأ الأول بالقول بعد السلام والسؤال عن الأحوال العامة والخاصة يبدأ بالقول لصاحبه: (العون لكم) فيرد عليه الآخر: (أعاننا الله وإياكم) فيواصل الأول قوله: (نحن في مثبانا ساكنين لا غادين ولا آتين مسيِّرين تحت عين كريم) ثم يبدأ عادة ينكث الأرض بالعصا التي يحملها معه أو يبدأ يرسم مربعاً على الأرض ثم يملأه بخطوط مستطيلة ويعود ويقطعها بأخرى عرضية كما في الصورة أدناه.





طريقة تخطيط التربة أثناء سرد قصة العون

ويحدث ذلك وهو يواصل نقل الأخبار من أسعار الحبوب والمواشي والمواد الغذائية وأخبار الأمطار أن وجدت والأمراض إذا كانت متفشية في قوم أو جهة معينة ويتطرق حتى إلى أخبار السياسة وما هو حاصل على الساحة ثم يفصح عن هدفه الذي جاء من أجله وإن كانت المقابلة بسبب الصدفة وليس لها هدف ختم بقوله: (هذه هي أخبارنا والذي "جرنا" ما عندنا غير ذلك جديد إلا دايم الستر و بقاءكم) مع

الأخذ في الاعتبار أن الجملة بين القوسين لا تقال إلا عندما تكون الزيارة لها هدف أساسي جاء من أجله، وهذه العادة تعتبر اليوم شبه مختفية إلا ما ندر جداً بين كبار السن من الأولين وهم اليوم قلة.

ثم يرد عليه صاحبه قائلاً: (بقيت ولا شقيت ولا في حالك عنيت من طرف ما ذكرت) ثم يشير إلى ما نقله له من أخبار بما يؤكد صحة سماع ما قاله له صاحبه أو انه لم يسمع بذلك.

- **عادة احتفالات الختان**

ومن العادات أيضاً التي كانت منتشرة هنا ثم اختفت اليوم تماماً عادة احتفالات الختان وذلك أن الشاب كان لا يختن حتى يبلغ الخامسة عشرة أو الرابعة عشرة من عمرة ويسبق ذلك ما يسمى بالتثليب، والتثليب هو تهيئ الشاب لعملية الختان وإعداده نفسياً ومن مظاهر التثليب أن يجتمعن النساء ليلاً ويغنين على آلات الدفوف والأزيار ويحضر أقارب الشباب المزمع ختانهم وتقال بعض الأشعار والمدائح فيمن يراد ختانهم من أجل تشجيعهم وحثهم على الرجولة وعدم الخوف من عملية الختان وأنها هي أساس الرجولة فمن يخاف من الختان لا خير فيه لا للقبيلة ولا لنفسه ،، وربما دخل في عملية التشجيع ما يسمى بـ (التحية) وهي أن يأتي أحد أصدقاء أهل الشاب المراد ختانه بمراسم عشاء وتشمل تلك المراسم تقديم هدية من النقود للشاب أو لأهل الشاب من أجل مساعدتهم على إتمام عملية الختان. ثم يفصل له ملابس خاصة وتكون ذات ألوان مزركشة ومخططة وهو ما يسمى بالصدرية والتكة والسروال ويرتدي هذا النوع من الملابس في يوم ختانه ويقوم الشباب المراد ختانهم بالركوب على المطايا ثم يذهبون إلى القرى المجاورة لهم فيدعون أهلها للحضور و لمشاهدة عملية الختان التي تتم عادة في نفس اليوم الذي تصدر فيه الدعوة ويسبق ساعة تنفيذ عملية الختان تقديم وجبة غداء للضيوف تعرف باسم (القرى) وبعد تقديم القرى تقام العرضة الشعبية ويقوم خلالها الشباب المراد تختينهم بحركات الرقص والاستعراض أمام المدعوين اللذين تم حضور لمشاهدة عملية الختان ويتخلل ذلك ما يسمى بالعزاوي وهي أشعار مغناه يلقيها شاعر خاص يمدح من خلالها الحضور كما يمدح الشباب المراد تختينهم.

ويكون الهدف من ذلك الاحتفال هو تعويد الشاب على الرجولة والشجاعة وعدم الخوف حتى يقدم على الخاتن بقلب ثابت وروح أبية متوثبة لا تخاف من حد السكين وإذا اقتربت ساعة الصفر وهي تكون عادة قبيل صلاة المغرب بقليل تنزع عن الشاب التكة والسروال ويلبس إزاراً أبيضاً ثم يقف الشباب في صف واحد، ظهورهم ناحية الحضور ووجوههم أمام الخاتن ولا يسمح أن يبقى أمامه أحد أبداً إلا الخاتن فقط ومندوب الأمارة وهو ما يعرف بالخوي وشيخ القبيلة فقط. ثم يبدأ الخاتن في تنفيذ عملية الختان مبتدءً بأول شاب يقف على يمين الخاتن حتى يفرغ من أخرهم ثم بعد ذلك يتم نقل الفتيان إلى المنزل المعد لتضميد الجراح وعمل الدواء، وعادة يمكث الشاب شهراً كاملاً حتى يُشفى من جروح الختان، وعندما يشفى الشاب تماماً يصبح في عرفهم قد دخل خانة الرجولة فيصبح يعتمد عليه في

السفر مع محارمه ويتغطين منه النساء اللواتي لستن من محارمه وربما تزوج بعد شفاءه بفترة قصيرة لأنه قد أصبح عرفاً رجلاً مكتملاً ولم يعد صغيراً أو طفلاً .

- **عادة المساماة**

وهذه العادة كانت منتشرة من أجل كسب الأحلاف أو الأصدقاء وتتمثل في الشخص الذي يرزق ولداً أن يسميه على اسم شخص يختاره من نفس القبيلة أو من قبيلة أخرى ثم يخبره بذلك وعندما يشب السمي عن الطوق يأتي المسمى به في كوكبة من رجاله وأقاربه إلى منزل سمية ويحضر معه وليمة وهدية لسميه تسمى (الكسوة) وهي نوع من القماش الفاخر أو مبلغاً من المال وربما أخر السمي كسوته إلى وقت ختان سميه ثم احضر الكسوة. وعادة تقال في هذه المناسبة بعض الأشعار وعادة لا يختار المسمي إلا شخصاً من أعيان القوم وقد أختار احد رجال قبيلتنا أن يسمي ابنه باسم شيخ القبيلة وكان الشيخ حينذاك والد والدي وعندما شب السمي عن الطوق أقام سمية وليمة وذهب إلى منزل السمي وبعدما تم تقديم الوليمة ونام جميع الضيوف في منزل المسمي وتناولوا طعام الإفطار على مائدته نهض الشيخ المسمى به وكان شاعرا مجيدا فأمتشق سيفه وهو يستعرض راقصا وينشد قائلا:

يا السمـــــي رخصـــــة ولا تلزمنا *** بعض ذبح الكبش باليمين
بيض الله وجـــــه من كرمنـــــــــا *** بالسمن من بعد السميـــن

وختمت العرضة بركوب القوم على مطاياهم ثم انصرفوا عائدين إلى قريتهم.

- **الزي الذي كان شائعاً ارتداءه قديماً**

كان الزي الشائع ارتداءه قديماً بالنسبة للرجال الإزار والقميص ويكون عادة من اللون الأبيض غالباً أما في المناسبات فيغلب ارتداء الثوب ويسمى (المشقر) وهو يشبه الثوب الرجالي اليوم إلا انه من أسفل الحقوين يكون متسعاً ويخاط من عدة طرائق تسمى الشقر، واحدها (شقرة) وهي قطع من القماش لا يزيد عرضها عن ٢٥سم وتكون عادة ست شقر على اليمين ومثلها على الشمال قد تزيد أو تنقص بحسب العادة عند كل جماعة أو فئة من الناس كما يستخدم اللحاف وهو ما يعرف بالمصنف بأن يوضع على الكتف أو يلف به الرأس أو يشتمل به على الكتفين.

أما النساء فكن يرتدين الوزرة وهي تشبه المصنف إلا أنها مصنوعة غالباً من الحرير ثم يستر بقية الجسد بما يعرف بـ (الصدرة) وهي قماش أسود غير شفاف بعضها تكون مزركشة من ما يلي الجيوب بتطريز ملون وله إشكال جماليه مميزة ثم يستر الرأس بالخمار ويسمى (القناع) ثم تلتحف بالجلباب وهو ما يعرف بالملحفة أو بالمردوف لأنه عبارة عن قطعة من القماش غير شفافة مكونة من طبقيتين أو ردفتين لذلك كانت تسمى بالمردوف.
وكن النساء يتغطين كما هو الحال اليوم فلا يظهر منهن إلا العينان فقط أو اليدين وهن يباشرن أعمالهن بدون حرج أو ريبة مثل أعمال الحصد في المزارع أو جلب المياه من الآبار أو الرعي أو جمع سنابل الذرة أو الدخن أثناء الحصد فتلك كانت مما يختص به النساء ويسمى (الصرام أو الجديع) وكن النساء

على درجة عالية من الحياء والستر والعفاف. كما كان الرجال أيضا على جانب كبير من الحياء والشهامة والشرف والعفة والإباء الرجولي المنقطع النظير وليس معنى ذلك أن الحال اليوم قد تغير بأن زالت مثل تلك الأخلاق السامية ولكن اليوم اختلفت الثقافة ودخلت على الناس ثقافات ومفاهيم قد غيرت الكثير مما كان سائداً آنذاك من الطباع الفريدة والعادات الحسنة.

ومن الأزياء التي كانت تستعمل في العصر القديم (الإزار والقميص) والإزار عادة يكون قماش أبيض يشبه إزار الإحرام في العصر الراهن وهناك إزار يسمى أبو طرف كما في - الشكل أدناه - وعادة يستخدم مع الإزار ما يسمى (بالصدرية) أو القميص ويكون لونها ابيض مخطط بالأحمر أو بالأخضر أو ألوان أخرى كالأحمر المخطط بالأسود أو الأصفر المخطط بالأسود كذلك ويسمى ذلك النوع بـ (الشيت) وتدخل فيه نسبة من الحرير. وممن يشتهر باقتناء مثل هذه الأقمشة والمتاجرة بها اليوم الشيخ محمد بن إسماعيل الماجدي فهو صاحب محل في القنفذة يوجد به جل إن لم نقل كل المستلزمات التراثية القديمة ولازال لها في عالم الوجود شأن عند من يعنى بهذا التراث ليس كارتداء وبقاء على ما كان عليه الحال سابقاً ولكن كاقتناء واحتفاظ به لأن به عبق الماضي وتذكر الزمن العتيد.

أما الإزار الذي يستعمل لبسه عادة مع القميص فغالباً ما يستعمل إزار قطني تحلى طرفيه العلوي والسفلي بألوان معينه ويسمى لأجل ذلك إزار (أبو طرف)- الشكل أدناه .

وكل هذه الأزياء تعتبر اليوم في حكم الملغاة من الاستعمال بالكلية بين إفراد الجيل الحاضر. أما من بقي من الأجيال التي قبل الجيل الحاضر فلا يخلُ الأمر من وجود من لازال يستعمل هذا الزي ولكن في الإطار الأهلي فقط، أي بين أهله وخاصته وعشيرته أو في المناسبات التي يستدعي الأمر فيها ذلك كما حصل أثناء الاحتفالات بتعيين سمو الأمير خالد الفيصل أميراً لمنطقة مكة المكرمة حيث أقام شيوخ وأهالي وادي يبة الشيخ محمد بن خيره الناشري والشيخ محمد بيطلي والشيخ عبده القوزي والشيخ عبدالله المقعدي والشيخ محمد القحماني والشيخ حسن الشاردي احتفالاً بهذه المناسبة فظهر من خلاله من تزين بالزي التراثي القديم.

اللحاف (أو ما يعرف بالمصنف)

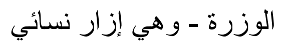


صورة تمثل الزي التراثي



إزار ابو طرف





الوزرة - وهي إزار نسائي

الخاتمة

ختاماً نرجو أن نكون قد قدمنا للباحث والمطلع معلومة متواضعة ومفيدة عن القنفذة كمدينة وكمحافظة منذ أن نشأت على سطح الوجود إلى عصرنا هذا وعن المراكز التابعة لها كمواقع عامرة وحية بمن هم فيها من الأقوام وعن بعض رجالاتها الأوفياء وأعيانها الكرماء وفي الوقت نفسه أرجو أن أكون قد صغت هذا البحث في قالب مرن تجنبت فيه التعقيد التاريخي المطول أو السرد القصصي المسترسل أو الاستطراد الجانبي المخل بالهدف من البحث حتى لا يخرج عن الغاية منه في نهج تشعبي متحور قد يشعر القارئ من خلاله بالملل أو بفقدان ترابط الأبواب والمباحث التوثيقية فلا تتاح الفرصة للمطلع بأن يستفيد فائدة مترابطة متسلسلة أو أن يمل من كثرة الشرح وطول الاستطراد في تتبع الأحداث تاريخيا. كما أرجو لمن يطلع على هذا العمل بعد حقبة من الزمن أن يجد فيه من الحقائق ما يعينه على وصل الماضي التليد بالحاضر المجيد وصلى الله وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

تم بحمد الله

ثم آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين

تأليف شيخ قبيلة الأشراف العجالين

يحيى بن إبراهيم بن يحيى العجلاني – مركز المظيلف – محافظة القنفذة

ملحق الكتاب

- صور الوثائق
- الأشعار والأهازيج الشعبية
- الصور الفوتوغرافية

يشتمل هذا الملحق على الوثائق والأشعار والصور التالية:-

١- صورة وثيقة عن قضاء سراة عسير ويظهر من خلاله أن القنفذة تتبع عسير وذلك في زمن الدولة العثمانية
المصدر: كتاب "صفحات من تاريخ عسير"
المؤلف: د. غيثان علي جريس.

٢- صورة وثيقة خطاب موجه من السيد محمد بن علي الإدريسي حاكم صبيا إلى قائده العام مصطفى النعمي ويحمل الخطاب اسم والد والدي الشيخ يحيى بن مبارك حينما كان من احد رجال السيد الإدريسي ولم يفارقه إلا بعد وفاته عام ١٣٤١هـ وعندما خلفه ابنه علي عزف الشيخ يحيى بن مبارك عن الصحبة وعاد إلى القنفذة . المصدر: الكتبة العقيلية بجيزان.

٣- صورة عن ذكر القنفذة في بواكير جريدة أم القرى.
المصدر: عبد الرحمن حلواني نقلاً عن سعيد احمد باسندوة – منتدى مدينة القنفذة.

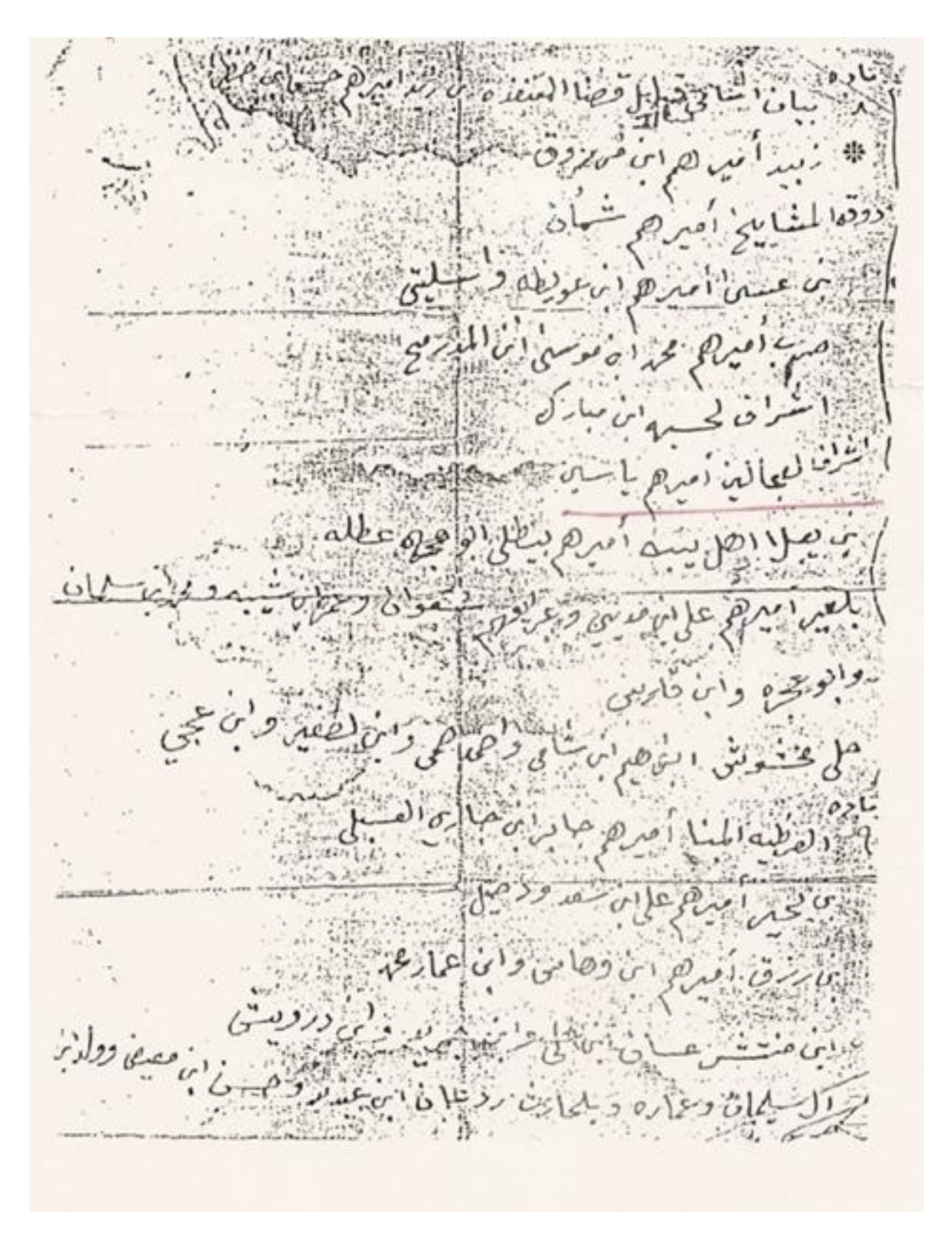
٤- صورة تحقيق مصور عن شاعر الحكمة الشيخ يحيى بن مبارك – تحقيق الدكتور حمزة احمد عامر الشريف.

٥- نسخة من قصيدة الشاعر الشيخ يحيى بن مبارك التي ألقاها بين يدي الملك عبد العزيز في حدود عام ١٣٥١هـ تقريبا أي قبل توحيد المملكة العربية السعودية.

٦- صور السيارات القديمة التي بعث بها الملك عبد العزيز إلى القنفذة.

٧- صور أخرى مختلفة .

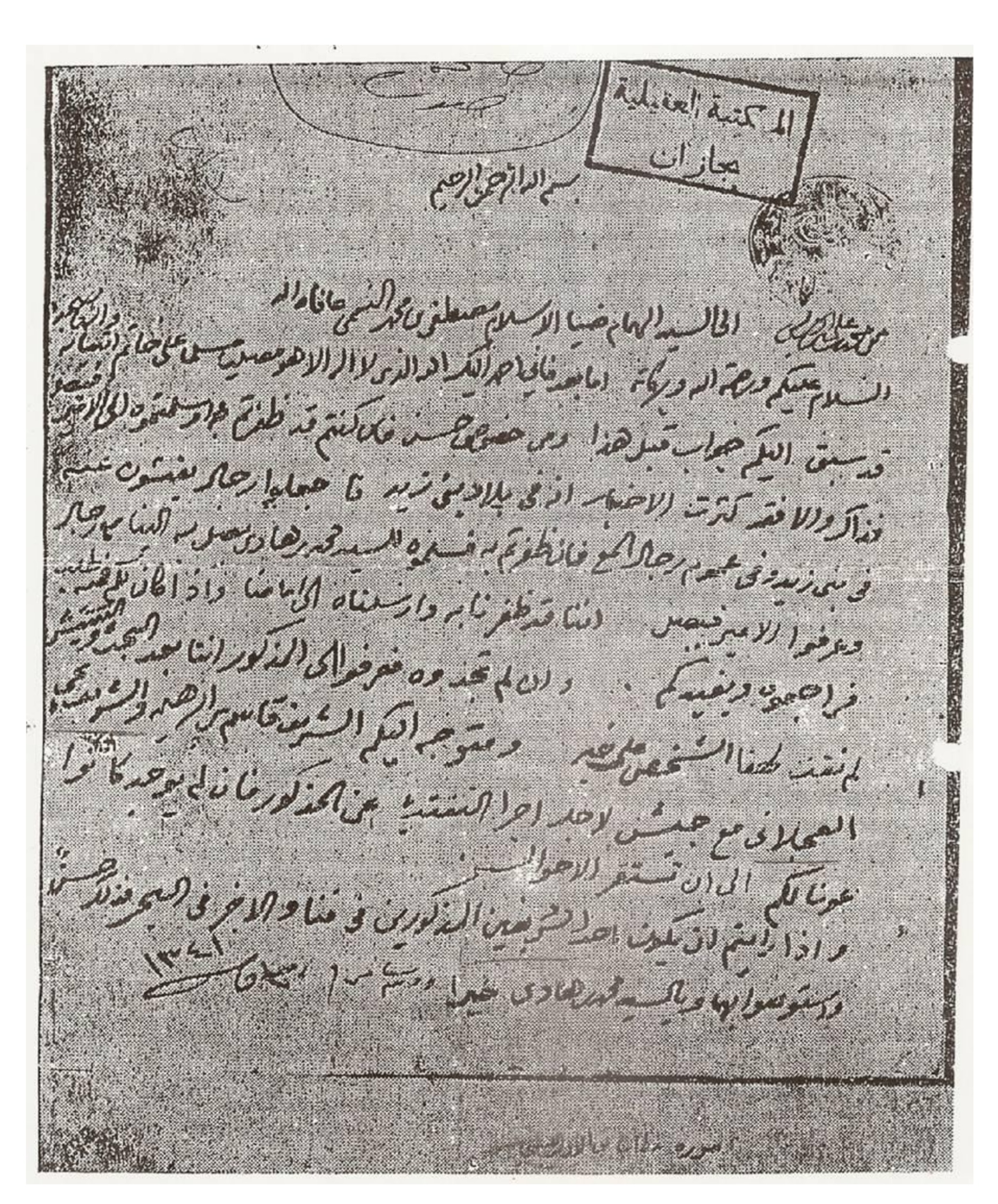
١- صورة وثيقة عن قضاء سراة عسير ويظهر من خلاله أن القنفذة تتبع عسير وذلك في زمن الدولة العثمانية (المصدر: كتاب "صفحات من تاريخ عسير" المؤلف: د. غيثان علي جريس).



نص وثيقة بيان أسماء قبائل القنفذة:
(يلاحظ أن بالوثيقة أخطاء إملائية ولغوية لذا جرى التنويه)

مادة ٨* بيان أسماء قبائل قضاء القنفذة
بني زيد أميرهم حسن بن خضر
زبيد أميرهم بن مرزوق
دوقة المشاييخ أميرهم شامان
بني عيسى أميرهم عويضة والسليتي
حرب أميرهم محمد بن موسى بن المدرمح
أشراف الأحسبة ابن المبارك
أشراف العجالين أميرهم ياسي
بلعير أميرهم علي بن مديني وعرايفهم شعوان وعمر بن شيبة ومحمد بن سلمان وأبو عجرة وبن فارس
حلي مخشوش إبراهيم بن شامي واحمد صمي وابن الصغير وابن عجي
العرضية المبنا أميرهم جابر بن جاري العسبلي
بني بحير أميرهم علي بن سعد ودخيل
بني رزق أميرهم بن وهاس وبن عمار محمد
وبني منتشر عساف بن علي وابن جريد وابن درويش
آل سليمان وعمارة وبالحارث ردعن بن عبد الله وحسن بن معيض وولد بن ......

٢- صورة وثيقة خطاب موجه من السيد محمد بن علي الإدريسي حاكم صبيا إلى قائده العام مصطفى النعمي ويحمل الخطاب اسم والد والدي الشيخ يحيى بن مبارك حينما كان من أحد رجال السيد الإدريسي ولم يفارقه إلا بعد وفاته عام ١٣٤١هـ وعندما خلفه ابنه علي عزف الشيخ يحيى بن مبارك عن الصحبة وعاد إلى القنفذة ، المصدر: الكتبة العقيلية بجيزان.



بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد علي الإدريسي الى السيد الهمام ضياء الإسلام مصطفى بن محمد النعمي عافاه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد ...

نص خطاب السيد الإدريسي الموجه للسيد مصطفى النعمي:

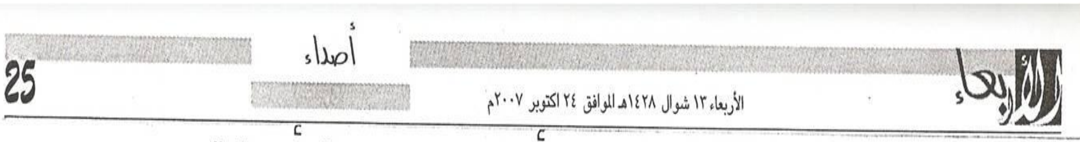
بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد علي الإدريسي إلى السيد الهمام ضياء الإسلام مصطفى بن محمد النعمي عافاه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو مصلياً ومسلماً على خاتم أنبيائه ....
قد سبق إليكم جواب قبل هذا ومن خصوص حسن فإن كنتم ظفرتم به وسلمتموه إلى الأمير فيصل فذاك وإلا فقد كثرت الأخبار أنه في بلاد بني زيد فاجعلوا رجال يفتشون عنه في بني زيد وفي عموم رجال المع فإن ظفرتم به فسلموه للسيد محمد بن هادي يصل به إلينا مع رجال وعرفوا الأمير فيصل أننا قد ظفرنا به وسلمناه إلى أمامنا وإذا كان لكم فيه طلب فراجعوه ويفيدكم . وإن لم تجدوه فعرفوا إلى المذكور أننا بعد البحث والتفتيش لم نعثر لهذا الشخص على خبر. ومتوجه إليكم الشريف قاسم بن إبراهيم والشريف يحيى العجلاني مع جيش لأجل إجراء التفتيش عن المذكور فإن لم يوجد كانوا عونا لكم إلى أن تستقر الأحوال.
وإذا رأيتكم أن يكون احد الشريفين المذكورين في قنا والآخر في الحبر فذلك حسن واستوصوا بهما وبالسيد محمد بن هادي خيرا ودمتم سالمين ١٣البحر

وقوله البحر : أي خميس البحر
وكان مصطفى النعمي أحد قواد السيد الإدريسي وقد نمى إلى علمي أن الشريف يحيى بن مبارك مكث في قنا حوالي ستة اشهر قائد لأحدى الفرق الحربية هناك.

٣- صورة عن ذكر القنفذة في بواكير جريدة أم القرى.
المصدر: عبد الرحمن حلواني نقلا عن سعيد احمد باسندوة – منتدى مدينة القنفذة.



أصداء 25
الأربعاء ١٣ شوال ١٤٢٨هـ الموافق ٢٤ اكتوبر ٢٠٠٧م

القنفذة في بواكير أعداد جريدة أم القرى

جمع وإعداد : سعيد أحمد باسندوة (*)

منذ بداية توحيد هذا الكيان الكبير على يد المغفور له بإذن الله الملك عبدالعزيز احتلت القنفذة دورا رئيسيا بحكم موقعها المتميز ومينائها البحري حيث اتخذها يرحمه الله مركزاً للتجارة والاتصالات الداخلية والخارجية.

وشهدت بذلك اهتماماً كبيراً من لدن المؤسس الباني وحظيت بالأولوية في معظم المشاريع وتتأكد أهميتها في التغطية المباشرة من صحيفة أم القرى الصادرة عام ١٣٤٣هـ الموافق ١٩٢٥م أي قبل خمسة وثمانين عاماً من الآن وهي الجريدة الرسمية للدولة السلطانية حيث نرصد بعض الأخبار التي توضح وضع ومكانة القنفذة فقد أفردت في صفحاتها أخبار متلاحقة عن منطقة القنفذة تبرز من خلالها المكانة التاريخية والاجتماعية والأهمية الاقتصادية في أعدادها الأولى، وهذا يعكس الدور الذي كانت تقوم به القنفذة كأحد الروافد المساندة في التنمية منذ بدايتها.

ولأهمية وسائل الاتصال في حياة الأمم والشعوب لنقل وتبادل المعلومات في شتى المجالات والتطور الذي مر بوسائل الاتصال حتى أصبحت بالوضع الذي يعيشه العالم اليوم.

وقد كانت رسائل البريد تمثل أهمية متقدمة في زمن لم تتوفر فيه الوسائل الحديثة الأخرى.

وبحكم موقع القنفذة وأهميتها فقد اتخذها الملك عبدالعزيز مركزاً لتبادل الرسائل مع الخارج ولربط الدولة السعودية بالعالم الخارجي.

فقد حملت الصحيفة الرسمية الأولى في المملكة السلطانية النجدية وملحقاتها مواضيع وأخبار كانت أبرزها يتناول:

* القنفذة مركز لتبادل الرسائل مع الخارج.
* لاسلكي القنفذة يعمل ويستقبل ويرسل البرقيات.

حيث ورد النص التالي في جريدة أم القرى العدد رقم ١٤ بتاريخ ١٩ شعبان سنة ١٣٤٣هـ ١٥ مارس ١٩٢٥م.

تنظيم البريد:

أتمت إدارة البريد السلطانية تنظيماتها وأخذت تقبل الرسائل لسائر الجهات الداخلية والخارجية وقد اتخذت القنفذة مركزاً لتبادل الرسائل مع الخارج حيث ترسل الرسائل الخارجية إليها ومنها تذهب لسواكن وترسل لسائر الجهات وكذلك الرسائل التي ترد إلى الحجاز تأتي عن طريق سواكن إلى القنفذة.

كما ورد نص الخبر التالي بنفس الجريدة العدد ٢٠ شهر شوال سنة ١٣٤٣هـ الموافق ١٩٢٥م.

أخبار البريد:

علمنا من دائرة البريد أن الرسائل التي أرسلت إلى القنفذة لترسل لأنحاء العالم عن طريق (مصوع) قد أرسلت بتاريخ ٢٤ رمضان وقد وصلت مصوع وذهبت منها وقد اتخذت إدارة البريد طريقاً ثانياً لإرسال الرسائل منها وهي طريق البحرين ماراً بالرياض لترسل الرسائل المتعلقة بالهند والعراق من هذا الطريق وترسل الرسائل الأخرى بطريقها الأول المعتاد.

وشهدت القنفذة تطوراً مبكراً في وسائل الاتصال حيث تم تركيب جهاز لاسلكي لإرسال واستقبال البرقيات.. وقد ورد بأحد اعداد جريدة أم القرى لعام ١٣٤٣هـ نص الخبر التالي:

* لاسلكي القنفذة وأبها:

تم تركيب اللاسلكي في القنفذة واصبحت المخابرات تروح وتجيء من ذلك المركز وتم ايضاً تركيب ماكينة ثانية في أبها وبقي لها بعض المواد لتمشية العمل وقد ارسلت المواد المطلوبة وسينتظم أمر المخابرات مع ذلك المركز عن قريب.

* البواخر ترسوا في ميناء القنفذة:

سافرت الباخرة (هلال) من القنفذة إلى السويس.

وبحكم موقع القنفذة ومينائها البحري الهام فقد كان ميناؤها يستقبل السفن والبضائع ويتم من خلاله تصدير إنتاج المنطقة من المحاصيل الزراعية واستحصال الرسوم الجمركية عبر جمرك مينائها.

وقد ورد في جريدة أم القرى بأحد أعدادها سنة ١٣٤٣هـ الخبر التالي:

* البواخر في القنفذة:

وقد قررت الشركة البحرية الهندية أن تعتبر ميناء القنفذة من السواحل التي ترسوا فيها سفنها وبالفعل وصل ميناء القنفذة قبل ستة ايام باخرة اسمها (هلال) وأنزلت ما يزيد عن الثلاثة آلاف طرد من مختلف الأرزاق والحاجيات وقد سافرت الباخرة من القنفذة إلى السويس وستعود إلى القنفذة حاملة كمية عظيمة من الكاز وسيكون مرور هذه السفن بالقنفذة كل خمسة عشر يوما مرة واحدة.

وهذا يعكس أهمية وقدم ميناء المنطقة باعتباره من أوائل المركز التي عنيت بالاستيراد والتصدير من وإلى السلطانية النجدية وملحقاتها مع العالم الخارجي.

* تعيين الأمير مساعد بن سويلم أميراً على القنفذة:

وقد حرص الملك عبدالعزيز يرحمه الله منذ بدايات التأسيس على تعيين أمراء للمناطق لتنظيم وإدارة شؤونها وقد ورد في جريدة أم القرى العدد ٢٠ شهر شوال ١٣٤٣هـ مايو ١٩٢٥م صحيفة ٤ الخبر التالي نصه:

أمير القنفذة:

لقد صدر الأمر السلطاني بتعيين الأمير مساعد بن سويلم أميرا على القنفذة وهو من الرجال الذين اشتهروا بالحنكة والدراية في الأمور وقد سافر لاستلام مهمة وظيفته قبل ٤ أيام رافقته السلامة ووفقه الله لما فيه الخير للمسلمين.

إن اهتماماً كهذا في صحيفة رسمية تؤرخ بعام ١٣٤٣هـ لهو جدير بالملاحظة والاهتمام والتركيز على دور منطقة القنفذة المهم في التنمية منذ بواكير النهضة السعودية المباركة والذي يؤكد بعد نظر المؤسس رحمه الله على الاستفادة من الموقع الاستراتيجي والجغرافي للمنطقة في تنمية الموارد المالية والاقتصادية للدولة من خلال تفعيل الاستيراد والتصدير من وإلى القنفذة كمنفذ مهم.

(*) عضو المجلس المحلي بمحافظة القنفذة

٤- صورة تحقيق مصور عن شاعر الحكمة الشيخ يحيى بن مبارك – تحقيق الدكتور حمزة احمد عامر الشريف.

○ السنة الخامسة والثلاثون – العدد ١٠٠٢٠ السبت ٢٦ رجب ١٤١٤هـ الموافق ٨ يناير ١٩٩٤م ○

24 OKAZ

العجلاني.. شاعر الحكمة

بقلم: حمزة احمد الشريف

طالما تشوقت الى اخبار واشعار وحكم الشيخ الشريف يحيى بن مبارك العجلاني وكنت اسمع قصيدة مشهورة له فيها جميل الكلام ولذيذ المعاني.. كنت ابحث خلال دراستي للأدب الشعبي في القنفذة عن تاريخ هذا الرجل الشاعر الحكيم.

وكنت أود تضمين دراستي القصيدة وردها للشاعر الشريف محمد بن مهدي المهداوي، والقصيدتان من عيون شعر المنطقة وخاصة انهما تؤرخان لفترة مهمة في حياة الناس في منطقة القنفذة وضواحيها.. وقد اشتهرت هاتان القصيدتان الى درجة ان معظم اهالي القرى المحيطة يحفظونها ويتداولون أبياتها..

لم أستطع الحصول على القصيدتين الا منذ ليال.. عندما زارني الشريف يحيى بن ابراهيم العجلاني وفي معيته الاستاذ ابراهيم الخالدي– وكانت الزيارة ليلة ٢١/٦/١٤١٤هـ. في منزلي.. وهذا تشريف لي اعتز به، وهنا دار حديث بيننا كانت نتيجته حصولي على نبذة عن الشاعر الشيخ يحيى بن مبارك الشريف من حفيده وسميه يحيى بن ابراهيم الشريف العجلاني وحصولي على بعض القصائد الجميلة ومنها القصيدة المشهورة وردها.. وهذا يجعلني اكتب وانا مزود بهذه المعلومات الصادقة من مصدرها الصحيح وحتى لايعتقد الابن العزيز/ ناصر العجلاني الشريف بأنني اهمل هذا الرجل العزيز علي «الشريف يحيى بن مبارك» رحمه الله فلم أقدم احدا على احد وانما انشر من الموضوعات مايتم لي جمعه وما أشق جمع هذه المعلومات لأنها شفاهية وحفاظها قليلون.. وعندما كنت اتحدث عن الشاعر «الشاووش» ماكنت قد جمعت المعلومات عن شاعرنا الشيخ يحيى بن مبارك ولكنني كنت متشوقا الى شعره وحكمه واخباره.. فها هي بين يدي القاريء راجيا من جميع الأعزاء التريث قليلا في اصدار احكامهم حتى يتم مانصبو اليه من جمع ودراسة هذه الثروة الشعبية الزاخرة في منطقتنا الواسعة ولايظن البعض انني اهمل او اغفل شأن احد الا بسبب عدم توفر المعلومات وقلة الرواة، وهذا عذري أذا حصل تقصير في بعض الجوانب، فانا مع القائل:

لاتلم كفي اذا السيف نبا
صح مني العزم والدهر أبا

وان اعجابي القديم بالشاعر الشيخ الشريف يحيى بن مبارك دفعني الى القيام بلقاءات ببعض المهتمين بالشعر الشعبي في القنفذة وضواحيها ولكن لم اجد من الحفاظ الا القليل ومنهم الشيخ محمد بن علي بن مرزوق فهو يحفظ قصائد عديدة لشاعرنا ويحفظ رد القصيدة من الشريف الشاعر: محمد بن مهدي المهداوي.. وكذلك والدي الشريف احمد بن محمد عامر يحفظ شيئا من قصائد الشريف يحيى بن مبارك.. وفي لقائي هذا بحفيده وسميه لفائدة لأنه يحفظ القصيدة وتاريخها وقصائد اخرى سأتطرق اليها ان شاء الله. مولد الشاعر: يقول حفيده الشريف يحيى بن ابراهيم.. ان جده ولد تقريبا عام ١٢٩٢هـ في احدى قرى بلاد العجاليين «الاحسبة»، وهو من اعيان وشيوخ هذه القبيلة ومقدم في قومه. لما يمتاز به من حكمة ورجاحة عقل وعلم.. وكانت تبدو عليه علامات الذكاء والحنكة والفهم.

من أفكاره وحكمه: انه قسم اهل مجتمعه الى اصناف حسب الآيات القرآنية فقال:

«الهاكم التكاثر» تنطبق على آل فلان وقال: «ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» تنطبق على آل فلان.. وهكذا راح يصنف الناس على ضوء آيات الكتاب الكريم بسبب تصرفاتهم وأفعالهم.. ومما يروى عنه من

النبطية لهم تقسيم خاص للقصيدة فهي تبدأ بذكر الله ثم وصف الذلول وسيلة التوصيل ثم الغرض الهام من القصيدة وتختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.. وفيها ايضا استغفار الشاعر لذنبه والشوق الى الجنة، وقد امتاز شاعرنا الشيخ يحيى بن مبارك بتعدد اغراض الشعر عنده، فقد صاغ قصيدة جيدة ارسلها الى مقام جلالة الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه.. والقصيدة في وزن الهلالي «سروبع» ومنها:

لك الحمد يامعبود في الاولى
حمدك يقوله صاحب الفكر والعقلا
ورحمتك وسعت صاحب العلم والجهلا
انت الذي تعلم عروج الروح طالع ونازل

● ● ●

وصل الهي ماسجع طير في الهوا
على صاحب المعراج والحوض واللوا
من الفرد الا على فالق الحب والنوى
عداد ماظلت غصون تمايل

● ● ●

ثم يقول:

وسلك الهوا يلقي عباره مقولة
ترد من اقصى بلدة لبلدة محولة
يخبر بها الرادي عسى الله يزوله
من اقليمنا هذا ومن ارض بابل

● ● ●

ويخلص الى غرض القصيدة وهو مديح الملك عبدالعزيز رحمه الله وطيب مثواه فقال:

وهميت اسافر من ثلاثين مرحله
مزاور ملك في نجد ناصية يقبل
يقول من نصانا فاز في كل مسأله
وفيضه يحمل كم من العيس بازل

● ● ●

نبلغ تحيتنا الى خير منصفا
وبعده على أولاده والاخوان ماكفى
وتغشى مناصبيه وراحل ومن لفا
وجمع القضاة وطارفتهم وعامل

● ● ●

والقصيدة طويلة وهي من عيون شعره وتدل على اجادته لهذه الفنون الشعرية.

وله قصائد رثاء ومواساة منها القصيدة التي أرسلها الى الحسين ابن الشيخ احمد الصمي شيخ حلي في ذلك الوقت ومنها:

قله تراني جيت بكتاب رسول
لفظه بمسنون العزا سجل منقول
ان العزا بين العرب كان ماصول
يتواصلون الناس به قول وارسال

● ● ●

قله عسى ربي يحسن عزاكم
ويعظم الله اجر منهو كماكم
ويزيدكم نعمه ويعمر قراكم
وكل منكم تمتلي يديه بالمال

● ● ●

وهي قصيدة طويلة فيها وصف الذلول والعزاء والتحذير من الدنيا وغدرها. ومن قصائده الجيدة ايضا القصيدة التي بعثها الى أمير القنفذة في ذلك الزمان قبل خمسين سنة تقريبا اي سنة ١٣٦٤هـ.. وكان الامير هو «صاحب السعادة/ فهد بن زعير» والقصيدة تهنئة في مناسبة من المناسبات التاريخية ومنها:

يا الله يامنشي السحاب الثقال
ه الرعد والبرق في عرض منشاه

قال ان اميرا كان يحكم في أيامه وحدثت واقعة قتل
ال الامير يا شيخ يحيى احضر القاتل وكانت مسالة
عبة نظم فيها قصيدة ضاع اكثرها ولم يبق منها الا
ه الابيات التي رواها حفيد الشاعر «يحيى» وكان اسم
مير «صالح».. يقول الشريف يحيى بن مبارك في
قصيدة مخاطبا الامير «صالح»:

يا الشيخ صالح من عدل في رعاياه
لذت له الدنيا وطابت سجاياه

لو جات من غيرك عليكم شكيناه
وانتم على من نشتكي ماتسوون

● ● ●

دنياك غدارة تقلب بوجهين
ان ضحكت في يوم بكتك يومين

أيام ترقى بك محل السلاطين
وايام هم وغم وحسوف وغبون

● ● ●

والقصيدة من وزن المسحوب وتسمى «المروبع» ظما و«المجال» غناء، وقد قيلت تقريبا عام ١٣٥٧هـ..

رحلاته وأسفاره: كانت له رحلة الى «صبياء» جازان واستقر بها فترة من الزمان وكانت رحلته طلبا للرزق والتعرف على الديار، وكانت هذه الرحلة في عام ١٣٣٢هـ تقريبا، وطالت مدة بقائه هناك حتى عام ١٣٤٩هـ..

وخلال هذه الفترة كانت له نشاطات شعرية ورداديات بينه وبين الشاعر الشريف محمد بن مهدي المهداوي وخاصة القصيدتين المشهورتين القصيدة الاولى من الشريف يحيى العجلاني والرد من الشريف محمد بن مهدي المهداوي وكلتا القصيدتين من الشعر النبطي الجيد وذات تقسيم واحد من حيث الوزن والفكرة، وكلا القائلين شيخ في قبيلته ومقدم في قومه وسأتعرض لهاتين القصيدتين في هذه النبذة

أغراض الشعر وفنونه عند الشاعر: يعتبر الشيخ الشريف يحيى بن مبارك من مبدعي القصيدة النبطية وتحس وانت تقرأ شعره بأنك تقرأ لشاعر ذي ثقافة ووعي وفكر، ومدرسة الشاعر هي نفس مدرسة شعراء النبطي في زمانه كالشريف بركات وبديوي الوقداني والامير محمد السديري، فهؤلاء وغيرهم من شعراء

اغفر لي الزلات واقبل سؤالي
ودلني فيما تحبه وترضاه

● ● ●

هذا ويا راكب على حر غالي
حر مهذب من نضا نجد مقناه

فوقه شداد وخرج بين الزوالي
وعذار يدهش بالقصب في مقفاه

منصاك «أبوفيصل» كثير النوال
أميرنا من طيب الله سجاياه

بلغ سلام ارسلت به في مقالي
واقرا التحية وافية (....) تبناه

وحي نجله بالسلام الكمال
وجملة اخوانه والاعيان وقضاه

● ● ●

والقصيدة طويلة وهي من وزن المسحوب وأبياتها واحد واربعون بيتا.. وفيها أوصاف جيدة للقوة والقدرة وحماية الديار تحت راية التوحيد بعد ان ارسى الاساس الملك عبدالعزيز غفر الله له.

من ذلك قول الشاعر:

تلقى على اليعسوب حوم النحال
ريشه بنادق والسيوف المشباه

والشمع مقصب فوق مقصب يلالي
مثل الجراد المنتظم حول مرعاه

● ● ●

فهذان البيتان يدلان على براعة الشاعر وقدرته على الوصف فهو يصف البنادق في كثرتها وتصافقها بريش النحل وكذلك السيوف الصقيلة، ويصف انتظام الشمع ولعله يعني بذلك الرصاص المصفوف في الشمع فانه يشبه عيون الجراد. وللشاعر فنون شعرية محلية لم استطع الحصول عليها ولكنني سمعت من الثقة ان للشيخ يحيى قصائد شعبية من اشعارنا المحلية في عدة اغراض، وكان رحمه الله محبا للشعر النبطي ومجيدا فيه ولذلك غلب شعره المحلي الشعبي وحفظ الرواة قصائده المطولة لما فيها من جميل المعاني والاوصاف..

وفاته: توفي رحمه الله في اليوم العاشر من شهر شوال عام ١٣٧٤هـ عن عمر تجاوز السبعين- وترك ثروة أدبية شعبية لها قيمتها.

نص المقال الذي نشره الدكتور حمزة بن عامر في جريدة عكاظ تحت عنوان (شاعر الحكمة) في العدد ١٠٠٢٠ السبت ٢٦ رجب ١٤١٤هـ

شاعر الحكمة

بقلم: حمزة أحمد الشريف

طالما تشوقت إلى أخبار وأشعار وحكم الشيخ الشريف يحيى بن مبارك العجلاني وكنت أسمع قصيدة مشهورة له فيها جميل الكلام ولذيذ المعاني .. كنت أبحث خلال دراستي للأدب الشعبي في القنفذة عن تاريخ هذا الرجل الشاعر الحكيم.
وكنت أود تضمين دراستي القصيدة وردها للشاعر الشريف محمد بن مهدي المهداوي والقصيدتان من عيون شعر المنطقة وخاصة أنهما تؤرخان لفترة مهمة في حياة الناس في منطقة القنفذة وضواحيها.
وقد اشتهرت هاتان القصيدتان إلى درجة أن معظم أهالي القرى المحيطة يحفظونها ويتداولون أبياتها.
لم استطع الحصول على القصيدتين الا منذ ليال .. عندما زارني الشريف يحيى بن إبراهيم العجلاني وفي معيته الأستاذ إبراهيم الخالدي وكانت الزيارة ليلة ١٤١٤/٦/٢١هـ .. في منزلي .. وهذا تشريف لي أعتز به ، وهنا دار حديث بيننا كانت نتيجته حصولي على نبذة عن الشاعر الشيخ يحيى بن مبارك الشريف العجلاني من حفيده وسميه يحيى بن إبراهيم الشريف العجلاني وحصولي على بعض القصائد الجميلة ومنها القصيدة المشهورة وردها .. وهذا يجعلني اكتب وأنا مزود بهذه المعلومات الصادقة من مصدرها الصحيح وحتى لا يعتقد الابن ناصر العجلاني الشريف بأنني أهمل هذا الرجل العزيز علي (الشريف يحيى بن مبارك) رحمه الله فلم أقدم أحدا على احد وإنما انشر من الموضوعات ما يتم لي جمعه وما أشق جمع هذه المعلومات لأنها شفهية وحفاظها قليلون .. وعندما كنت أتحدث عن الشاعر (الشاووش) ما كنت قد جمعت المعلومات عن شاعرنا الشيخ يحيى بن مبارك ولكني كنت متشوقا إلى شعره وحكمه وأخباره .. فهل هي بين يدي القارئ راجيا من جميع الأعزاء التريث قليلا في إصدار أحكامهم حتى يتم ما نصبوا إليه من جمع ودراسة هذه الثروة الشعبية الزاخرة في منطقتنا الواسعة ويظن البعض أنني أهمل أو اغفل شأن أحد إلا بسبب عدم توفر المعلومات وقلة الرواة وهذا عذري إذا حصل تقصير في لعض الجوانب ، فأنا مع القائل:

لا لم كفي إذا السيف نبا : صح مني العزم والدهر أبا

وان إعجابي القديم بالشاعر الشيخ الشريف يحيى بن مبارك دفعني إلى القيام بمبارك.ببعض المهتمين بالشعر الشعبي في القنفذة وضواحيها ولكن لم أجد من الحفاظ إلا القليل ومنهم الشيخ محمد بن علي بن مرزوق فهو يحفظ قصائد عديدة لشاعرنا ويحفظ رد القصيدة من الشريف الشاعر محمد بن مهدي المهداوي .. وكذلك والدي الشريف احمد بن محمد عامر يحفظ شيئا من قصائد الشريف يحيى بن مبارك. وفي لقائي هذا بحفيده وسميه لفائدة لأنه يحفظ القصيدة وتاريخها وقصائد أخرى سأتطرق إليها إن شاء الله . مولد الشاعر: يقول حفيده الشريف يحيى بن إبراهيم أن جده ولد تقريبا عام ١٢٩٢هـ في

أحدى قرى بلاد العجالين (الأحسبة) وهو من أعيان وشيوخ هذه القبيلة ومقدم في قومه . لما يمتاز به من حكمة ورجاحة عقل وعلم .والفهم.تبدو عليه علامات الذكاء والحنكة والفهم.
من أفكاره وحكمه انه قسم أهل مجتمعه إلى أصناف حسب الآيات القرآنية فقال: (الهاكم التكاثر) تنطبق على آل فلان. وقال: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) تنطبق على آل فلان وهكذا راح يصنف الناس على ضوء آيات الكتاب الكريم بسبب تصرفاتهم وأفعالهم .. ومما يروى عنه من القصص استطاعته قتل الذئب بواسطة بندقية ربطها في وتد بجانب الفريسة وعندما جاء الذئب وسحب الفريسة أصابته البندقية دون أن يضربه احد ووجدوه صريعا .. ويقال أن أميرا كان يحكم في أيامه وحدثت واقعة قتل يا شيخ يح):أحضر القاتل وكانت مسألة صعبة نظم فيها قصيدة ضاع أكثرها ولم يبق منها إلا هذه الأبيات التي رواها حفيد الشاعر (يحيى) وكان اسم الأمير (صالح).. يقول الشريف يحيى بن مبارك في القصيدة مخاطبا الأمير (صالح):

يا الشيخ صالح من عدل في رعاياه : لذت له الدنيا وطابت سجايـــــــاه
لو جات من غيرك عليكم شكينـــــاه : وانتم على من نشتـــــكي ما تسوون

***

دنيـــــاك غدارة تقلب بوجهيــــن : إن ضحَّكت في بكتــــك يوميـــن
أيــــام ترقى بك محـل الســلاطين : وايـــــام هم وغم وحسوف وغبون

***

والقصيدة من وزن المسحوب وتسمى (المروبع) نظما والمجال غناء وقل قيلت تقريبا عام ١٣٥٧ هـ
رحلاته وأسفاره: كانت له رحلة إلى (صبيا) بجازان واستقر بها فترة من الزمان وكانت رحلته طلبا للرزق والتعرف على الديار وكانت هذه الرحلة في عام ١٣٢٢هـ وطالت مدة بقاءه هناك حتى عام ١٣٤٩هـ ..
وخلال هذه الفترة كانت له نشاطات شعرية و- مرادات – بينه وبين الشريف محمد بن مهدي المهداوي وخاصة القصيدتين المشهورتين القصيدة الأولى من الشريف يحيى العجلاني والرد من محمد بن مهدي المهداوي وكلتا القصيدتين من الشعر النبطي الجيد وذات تقسيم واحد من حيث الوزن والفكرة وكلا القائلين شيخ في قبيلته ومقدم في قومه وسأتعرض لهاتين القصيدتين في هذه النبذة .
أغراض الشعر وفنونه عند الشاعر: يعتبر الشيخ الشريف يحيى بن مبارك من مبدعي القصيدة النبطية وتحس وأنت تقرأ شعره بأنك تقرا لشاعر ذي ثقافة ووعي وفكر، ومدرسة الشاعر هي نفس مدرسة شعراء النبطي في زمانه كالشريف بركات وبديوي الوقداني والأمير محمد السديري فهؤلاء وغيرهم من شعراء النبطية لهم تقسيم خاص للقصيدة فهي تبدأ بذكر الله ثم وصف الذلول وسيلة التوصيل ثم الغرض الهام من القصيدة وتختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .. وفيها أيضا استغفار الشاعر لذنبه والشوق إلى الجنة، وقد امتاز شاعرنا الشيخ يحيى بن مبارك بتعدد أغراض الشعر، عنده

فقد صاغ قصيدة جيدة أرسلها إلى مقام جلالة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه.. والقصيدة في وزن الهلالي (مروبع) ومنها:

لك الحمـــد يا معبـــــود في الأولـــى حمدك يقوله صاحب الفكر والعقـــــلا
ورحمتك وسعـــة صاحب العلم والجهلا أنت الذي تعلم عروج الروح طالع ونازل

***

وصلى إلاهي ما سجـــع طير في الهوى على صـــاحب المعراج والحوض واللـوا
من الفـــرد الأعلى فالق الحب والنـــوى عـــداد ما - ضلت – غصون تمـــتايل

***

ثم يقول:

وسلك - الهوى – يلقي عبـــارة مقولـــه تـــــرد من قضا بلـده لبلــــده محوله
يخبر بها الرادي عســـى الله يزولـــه من اقليمنـــــا هذا ومن أرض بابـــل

***

ويخلص الى غرض القصيدة وهو مدح الملك عبدالعزيز رخمه الله وطيب مثواه فقال:

وهميتا سافـــــر من ثلاثين مرحـــــلة مزاور ملك في نجـــد ناصيه يقبلـــــه
يقول من نصانا فاز في كل مســـــأله وفيضه يحمـــل كـم من العيس بــــازل

***

نـــــبلغ تحيتنــا الى خيـــر منصفــــا وبعـده على أولاده والاخـــوان ماكفـــى
وتغشى مناصيبه وراحل ومن لفـــــا وجمـع القضـــاة وطـارفتهم وعامــــل

***

والقصيدة طويلة وهي من عيون شعره وتدل على إجادته لهذه الفنون الشعرية.
وله قصائد رثاء ومواساة منها القصيدة التي أرسلها إلى الحسين ابن الشيخ احمد الصمي شيخ حلي في ذلك الوقت ومنها:

قله تراني جيت بكتـــاب مرسـول لفظه بمسنون العزا سجل منقول
إن العزا بين العرب كان ماصــول يتواصلون الناس به قول وارسال

***

قله عسى – الله - يحسن عزاكـــم ويعظم الله أجر منهو كمـــــاكم
ويزيدكم نعمة ويعمر قراكـــــم والكل منكم تمتلي يديه بالمـــــال

***

وهي قصيدة طويلة فيها وصف الذلول والعزاء والتحذير من الدنيا وغدرها . ومن قصائده الجيدة أيضا القصيدة التي بعثها إلى أمير القنفذة في ذلك الزمان قبل خمسين سنة تقريبا أي سنة ١٣٦٤هـ.

وكان الأمير هو صاحب السعادة: (فهد بن زعير) والقصيدة تهنئة في مناسبة من المناسبات التاريخية ومنها:

يا الله يا منشي السحـــاب الثقــال والرعد والبراق في عض منشــــــــاه
يا مـالك الامــلاك يا ذا الجـــلال فوق الحجب محد عرف وصفه ومعناه
أغفر لي الزلات واقبل ســـؤالي ودلني – يا رب - فيما تحبه وترضـاه

***

هذا ويار راكب على حـر غـالي حر مهذب من نضا نجـــد مقنـــــاه
فوقه شـــداد وخرج بين الزوالي وعـــــذار يدهش بالقصب في مقفـــاه
منصـاك أبو فيصل كثير النوالي أميرنـــا من طيـــــــب الله سـجايــاه
بلغ ســـلام ارسلت به في مقالي واقرا التحيـــة وافيه قبل تنبــــــــاه
وحي نجله بالســـلام الكمـــال وجملة اخوانــه والاعيـــان وقضـــاه

***

والقصيدة طويلة ومن وزن المسحوب وأبياتها واحد وأربعون بيتا.. وفيها أوصافالشاعر:قوة والقدرة وحماية الديار تحت راية التوحيد بعد أن أرسى الأساس الملك عبد العزيز غفر الله له.
من لك قول الشاعر:

تلقى على اليغسوب حوم النحـــال ريشه بنادق والسيوف المشبـــاه
والشمع مقصب فوق نقصب يلالي مثلالجراد.المنتظم حول مرعـــاه

***

فهذان البيتان يدلان على براعة الشاعر وقدرته على الوصف فهو يصف البنادق في كثرتها واتصافها بريش النحل وكذلك السيوف الصقيلة. ويصف انتظام الشمع ولعله يعني بذلك الرصاص المصفوف في الشمع فإنه يشبه عيون الجراد. وللشاعر فنون شعرية محلية لم استطع الحصول عليها ولكنني سمعت من الثقة أن للشيخ يحيى قصائد شعبية من أشعارنا المحلية في عدة أغراض. وفاته:مه الله محبا للشعر النبطي ومجيدا فيه ولذلك غلب شعره المحلي الشعبي وحفظ الرواة قصائده المطولة لما فيها من جميل المعاني والأوصاف.
وفاته : توفى رحمه الله في يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر شوال عام ١٣٧٣ هـ عن عمر تجاوز السبعين – وترك ثروة أدبية شعبية لها قيمتها.

انتهى نص المقال الذي كتبه ونشره الدكتور حمزة بن احمد الشريف بجريدة عكاظ في عام ١٤١٤هـ.
ولنا على مقال الدكتور حمزة بعض الاستدراكات والتصويبات وقد عمدت إلى وضع خط تحت الكلمات التي تحتاج إلى تصويب. كما حصرت بين قوسين بعض الكلمات التي وردت بها أخطاء في النقل أو في اللفظ والجمل المستدركة هي.

١- (ذكر بأن اسم الشريف أبو راسين المهداوي محمد بن مهدي) والصحيح أن اسمه أحمد بن مهدي المهداوي الحسني .
٢- ذكر أن رحلة الشريف الشيخ يحيى بن مبارك العجلاني إلى صبيا كانت من عام ١٣٢٢هـ إلى عام ١٣٤٩هـ والواقع أن الشريف الشيخ يحيى لم يرحل إلى صبيا إلا في عام ١٣٢٧هـ وهو العام الذي بدأ فيه ظهور نفوذ السيد محمد بن علي الإدريسي ومكث في صبيا إلى أن توفى السيد محمد الإدريسي عام ١٣٤١هـ وخلفه ابنه علي وكان صغير في السن ولم يستمر في الإمارة كثير وقت حيث عين بدلا منه عمه الحسن . أما الشيخ يحيى فقد غادر صبيا نهائيا عقب وفاة السيد محمد بن علي الإدريسي مباشرة وكان ذلك في عام ١٣٤١هـ
٣- ذكر أيضا أن الشريف يحيى بن مبارك نظم قصيدة جيدة وأرسلها إلى الملك عبد العزيز. والحقيقة انه لم يرسلها إلى الملك عبد العزيز بل سافر هو إلى الملك عبد العزيز واغلب الظن انه قابل الملك في مكة في اشهر الحج وتشرف بإلقاء القصيدة بنفسه بين يدي الملك عبد العزيز طيب الله مثواه وقال له الملك ما هي مظلمتك فذكر له حبسه من قبل أمير القنفذة صالح العلي دون أن يقترف جرما . فقال له الأميرا. العزيز إن رغبت عيناك قاضيا هناك فأعتذر عن أمر القضاء. قال نعينك أميرا . فأعتذر عن الإمارة وقال أنا لا أرغب إلا أن أكون شيخا لقبيلتي فقط. فقبل الملك الكتاب الذي أشرنا له فيما تقدم وعين بموجبه شيخا على قبيلته .
٤- أورد أيضا الدكتور حمزة أن الشيخ يحيى بن مبارك توفى في اليوم العاشر من شوال عام ١٣٧٤هـ. والصحيح انه توفى في اليوم السادس والعشرين من شهر شوال عام ١٣٧٣هـ كما مدون بخط والدي رحمه الله .

٥-الأشعار:-

- نسخة من قصيدة الشاعر الشيخ يحيى بن مبارك التي ألقاها بين يدي الملك عبد العزيز في حدود عام ١٣٥١هـ تقريبا أي قبل توحيد المملكة العربية السعودية.

لك الحـــــمد يا معبود في الأولى   حمدك يقوله صاحب الفكر والعقـــــلا
ورحمتك وسعت صاحب العلم والجهلا   انت الذي تعلم عروج الروح طالع ونازل
لك الحـــمد يا معبود والشكر والثنى   عدد ما حمدك من الورى كل محســـنا
سائلك طول الدهر باسماءك الحسنى   بقلب مع التوحيـــد للذكـــر واجـــل
وصلى إلهي ما سجع طير في الهوى   على صاحب المعراج والحوض واللـــواء
من الفرد الأعلى فالـق الحب والنـوى   عداد ما ظلت غصــــون تمايـــل
الا تنظر يا أخي لذا الدهر من عجب ؟   قرانات يزعم بعض منهم مع العـــرب
وقــام اغلظــهم واقـــواهم ســـبب   بحكمة تخلي صـــاحب العقـــل ذاهـل
بوابيــر غطاسات معهم ، مصــوره   ويغشى المدافع غاز خانق وقمبـــره
وطيـــارات عندهم في الجـــو نـــافره   تمشي بجكمة عليها من حروف الأناجـل
وسلك الهـــوى يلقي عبارة مقـــوله   ترد من قضى بلـــده لبلـــده محـــوله
يخبر بها الـــرادي عسى الله يزولـــه   من اقليمنا هـــذا ومـــن أرض بابـــل
اهل الخيانة عصـــابات الافرنـــج   العابهم بقمـار ميســـر وشطـــرنج
مشروبهم تنباك وافيـــون والبنـــج   وثالوثهم فرية ما تنـــزل وبـــاطل
كفى الله جزيرتنا حيــلهم ومكـــرهم   ودارت عليهم دائرة سوء غدرهـــم
ونادى العرب من يستقيـم بنصرهـم   وعنهم يدافـــع كل حيلـــة وبـــاطل
ومن كان عن هذا القول غافل يسالني   واقله عجائب مقبـلـــه لا تســـالني
يا سرع ما انفكـت جميـــع الأمـــاكن   الامطار تنزل والزعايـــم تراســـل
وفكرت في امر المهيمن وما قضـــى   وحـــدثـني قلبـي مهمـات مـــا مضى
وقلت لذاتي : ما يسعنا سوى الرضـــى   عسى الروح تسعد ما تقـــدم ومـــا تلي
وهميت اسافر من ثلاثين مرحلـــة   مزاور ملك في نجد ناصيه يقبـــله
يقول من نصانا فاز في كل مســـاله   وفيضه يحمل كم من العيس بـــازل
نبـــلغ تحيتنــا الى خيـــر منـصفا   وبعده على اولاده والاخوان ما كـــفى
وتغشى مناصبيه وراحـــل ومن لفى   وجمع القضاة وطارفتهم وعـــامل
وترجمت أشعار واعربـــت قيلها   بحرها غزير وخاطري منتحـــي لها
وطيفي شرع في نظمها مستـــوي لها   قصصها يفيد ومن خيار المســـائل
مسائل مهمة ايقظت كل نائـــم   تــمر وتـحلى ما توصـــف لعـــالم
عجبت لها كم أسرت من ضراغـــم   الى طاعة الفيصل ربيع المـــواصل
إمام همام عدل يدعو الى الهـــدى   أمره كعارض بات يبرق ويرعـــدا
سيوله تشل الطلح والرنف والـــردى   تظلي عظات الحجز منها سحايـــل
زعم فيصل الدويش يدعى خليـــفة   ويتسلم الكرسي ويطرح وصيـــفة
ومن كان له رتبة يسوقه عريفـــة   وحاطت به الفتنة سريعا وعـــاجل

ولبى له المتوكل انه يســــــــاعـده
والكل منهم يرتب في ثغور مجــاهده

يبقون متحدين كف وســــــــــاعده
وضاعت فروضه والسنن والنوافــل

قام الليث الهمـــــــام المعظـــــــما
تبتـل وقابـلهم بجيــش عـرمرمـــا

وشربت بقاع الأرض من حاني الدما
قتلهم وجز اعنــــــاقهم والأنـــامل

دعا الناس للشرع الشريف المحمدي
وسيفه قمع به كل جبار معتــــــدي

كل أتى وتجنب المشرب الــــــردي
وروى هجرهم فوق غزر المنـاهــل

دعا الناس واحيا شرع الاسلام وارتقى
رقى مراقي ما رقاها من ارتـــــقى

بناها وشيدها على العز والمجد والتقى
طالت ومهد شرقها والســـــواحـل

أمن الطرق بالبر حتى تـــــعمــــرت
ودانت على يده القائل وسلمـــــت

وطاعت له الاسدان كرها واصحبــت
رقى بهم مراقي علي ذو الفضائــل

أمن الحرم المكي وزين محــــــارمه
ومهد طريق الجيش والقفل قسمـــه

وساق الطرنبيلات خلــف المعالــمه
وهو . كالأسد ما بين دقـل المحامل

تشرفت يا عبد العزيز احسن الشرف
وتمت رتب قومك مع رتبة السـلـف

واسكنت ذريتك في شامخ الغـــــرف
وحزت المفاخر والشرف والفضائل

وإن ذكرنا الرشيد وسلـــــــوك فعله
ذكرنا شرف عبدالعزيـز وعدلـــــه

والنائب الثاني ولي العهد نجـــــله
ومدح ثنائي في محمـد وقائـــــــل

وإن ذكــــرنـــا زبيــدة وشـــــانـها
وما سطرت في الدفاتـر يمانـــــها

وكـــم حسنة خلفت في زمـــــــانها
ذكرنا التقية ذات الجمـال المكمـل

فمـــن ذا الذي يعداك ياسيـد العرب ؟
ويتخير العسجد ويرغب عن الذهب

وينزل مضيق الأرض عن واسع الرحب
ويهوى السـفر في ظلمة الليل عائل

فوالله لو اقسمـــــــت بالواحد الأحـــــد
الا ما تلد عـــذراء بمثلك ولا ولـــد

ســـــوى ان يشا هو الفرد الصمــــــد
بفضله ومن سيـــفك زهق كل باطل

تجـــد كل اميروطارفة في قضى الملك
يهمون يعطونـك من الخيل والرمك

الله يـــاقاهم ما طلع نـــــجم في الفلك
وما راجت الدنيا بجـــاهل وعاقــل

الظـــــافر المنصور بانصافه عـــدل
تبتل بسيفك واتبــــع امره ولا تسـل

وجـــــاهد مع قومه ترى نجمه الزحل
تسامى وبرجــــه في خيار المنـازل

حيــــــاتكم لهذا القرن فيها سعودنــــا
وموتكم متى ما تـــــم جا ما يؤودنـا

الا يـــــا مصيبتنا والا يا نكودنــــــا
وكم عين تبكي بالدمـــوع الهواطل

والختــــــم صلى الهي ما هبت الصبا
على نبي تكلمه الغزالـــة من الظبـا

عليـــــه صلاة الله دايم صرمــــــــدا
عليـــــه صلاة الله ما هل وابــــــل

- قصيدة حسن إبراهيم فقيه:

قالها في أواخر عام ١٣٩٢ عندما قدم الأمير احمد بن عبد العزيز إلى منطقة القنفذة إذ كان نائب أمير مكة المكرمة حينذاك ورأينا من المناسب إثباتها في هذا البحث.

الله اكبر يا جمـــــــوع تقدمي *** هــذا الذي اشـقتـي اليـه فسلمي
الله اكبر يا جمـــــــوع ترنمي *** فاليـــوم ما احــلاه من مترنمي
وقفت تهامة من روابي المحرم *** حتـــى ذرا ضنكان مهد المنجم
وقفت تهامة من بطحاء يلمـلم *** حتـى جبـال البرك باسمة الفم
وقفت مرحبة بنجـل عظيمــها *** عبدالعزيز الضيغم ابن الضيغم
نجل الذي حمل اللواء موحداً *** شعب الجزيرة ياله من ملـهــم
بأخي الذي وسط المعارك فيـ *** صـل رجل السلام وعبقري العالم
اهلا باحمد ماخطى في أرضه *** لله من خطو ومن متـــــــجشم
يا ابن الذي ملك القلوب بعدله *** وحمى السهول ونجدها بالصارم
انظر لجموع الشعب تعلن فـر *** حها بمقدمك الميمون خير المقدم
جاءت تزف على الاكف قلوبـ *** ـــــها وحب يحدوها اليك تسلم
وإذا المدارس رحبت بقدومكـــم *** وشدت بلحن رائـــــع ومنغم
فلأنهم في الشعب حبة قلبــــه *** ما الشعب غير محب ومعـــظم
قراوا بطلعتك البهية فيصـــلا *** يا فصل من آل فيصل .. منتـــم
اهلا بأحمد حيث حل ومرحبا *** في ارضه في ثغره المتبـــــسم
اهلا به مرحا وحيث خطت به *** آماله الكبرى لخير تقـــــــــدم
من كل مدرسة اجل تحيـــــة *** لسموكم من طالب ومعـــــــلم
شيدت على طول البلاد مدارس *** وعلى ذرا شدوين عند الأنـــجم
عنيت بتعليم السوي كمـــــــا *** انها عنيت بتعليم الاصم الابــكم
وأضاء بالعلم الكهوف فاشرقت *** ارض الجزيرة بعد ليل مظلـــم
وقوافل التوحيد سارت بالهدى *** تمشي على سنن النبي الأعظـم
وكفى زوال الشرك اكبر نعمة *** هل مشرك غاداً لغير جهنـــم
دستورها القرآن من حكموا به *** سعدوا وساروا في الطريق القوم
حفظ لنا الإله المفدى فيـصل *** ولتحيا شبل العظيم وتســـــلم

٦- صور السيارات القديمة التي بعثها الملك عبد العزيز إلى القنفذة.



سيارة في كراج فرع وزارة الزراعة بالقنفذة قديمة وغير معروف اسمها من أيام الملك عبد العزيز



سيارة مان (m.a.n) قديمة في نفس الكراج



سيارة مرسيدس قديمة



سيارة مان قديمة ويظهر بها ونش السحب



سيارة مرسيدس قديمة



سيارة المان قديمة

٧- صور أخرى مختلفة .

تنويه: تمت الاستعانة في هذا البحث التوثيقي بالصور التالية بعد الموافقة الشخصية من رائد فن التصوير بمنتدى القنفذة الإلكتروني الأستاذ عبد الرحمن حلواني الذي يعمل في الوقت الراهن معلما بالمدرسة السعودية وقد تم أخذ موافقته قبل نقل ونسخ الصور وطبعها وضمها في هذا البحث . شاكرين ومقدرين للأخ الأستاذ عبد الرحمن حلواني، طيب أخلاقة وحسن تجاوبه معنا في سبيل تقديم صورة واضحة عن غادة الجنوب في هذا البحث المختصر الذي أتمنى أن يكون باكورة عمل أكثر توسعا والماما بكافة جوانب مدينة القنفذة التاريخية والجغرافية والاجتماعية والحضارية والإدارية إضافة إلى الجانب النشاطي والبيئي لأهالي مدينة القنفذة والمراكز والقرى والهجر التابعة لها.



صورة بقايا منزل اثري قديم تهدمت بعض أجزاءه



وهذه أيضا بقايا منزل اثري قديم



منظر لما كان يعرف بالدهليز



وهذه كذالك بقايا بيت اثري قديم



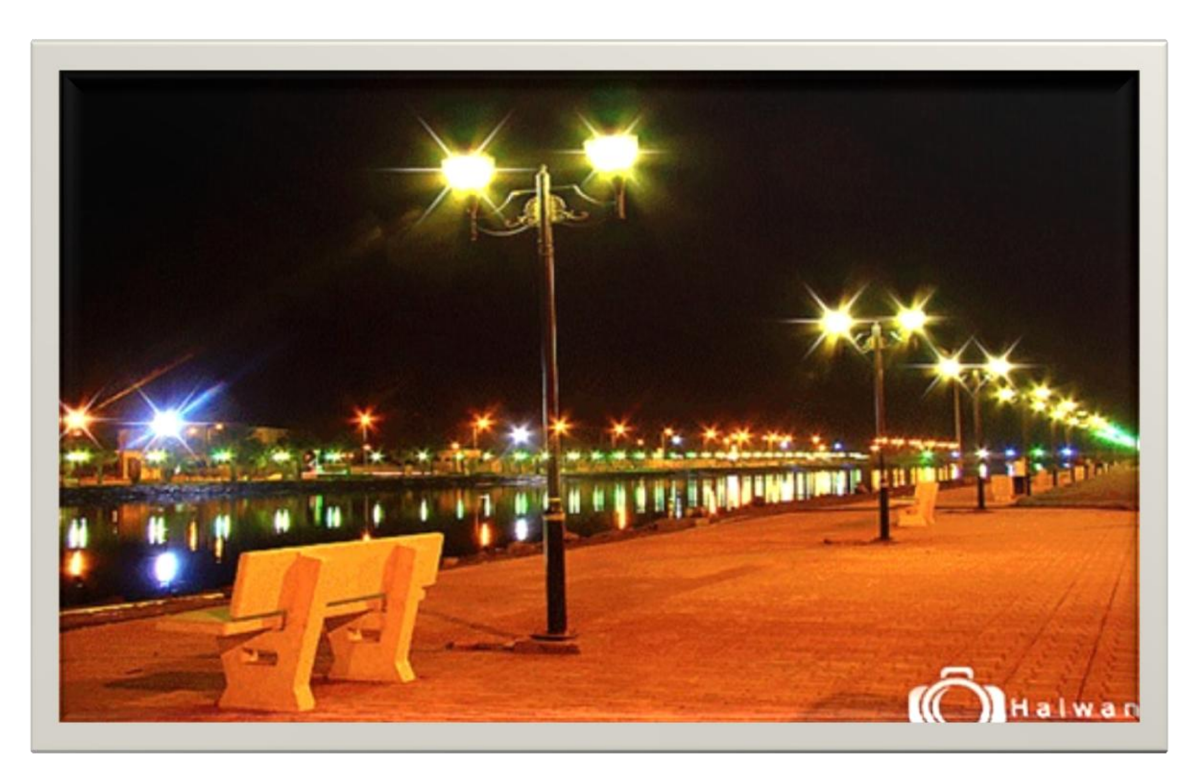
بعض بقايا البيوت الحجرية الأثرية بالقنفذة



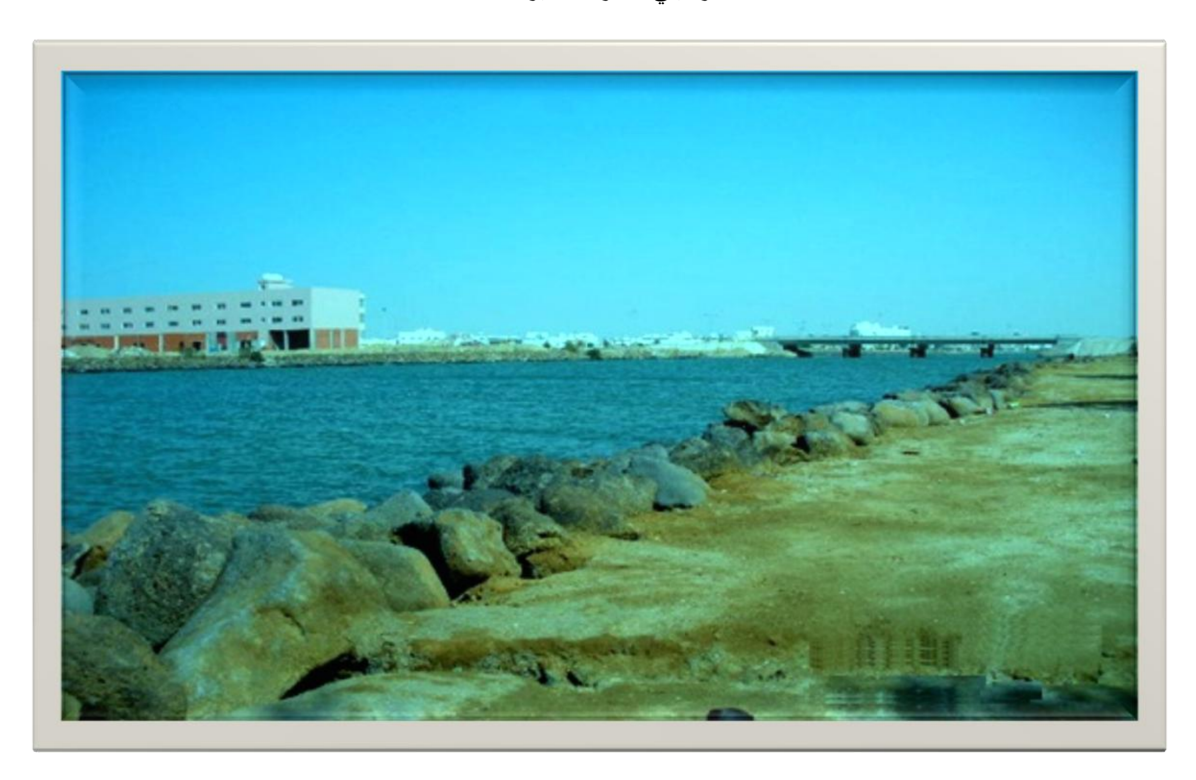
محل بيع الحبوب بالقنفذة ويسمى المحناط



احد أسواق المراكز التابعة للقنفذة



منظر ليلي لمنتزه البحيرة بالقنفذة



للجسر المقام على البحيرة وتظهر بعض المباني وكأنها في جزيرة بحرية



ميناء القنفذة



أحد الشواطئ الجميلة في منتزه القنع



مبنى الطاحونة كما يظهر ضمن المد العمراني الحديث



مبنى الطاحونة – صورة مقربة



منظر النخيل في وادي قنونا



وادي قنونا بالقرب من سوق حباشة الاثري المندثر



جزيرة أم القماري



الطريق الترابي المار شمال موقع (السوق) حباشة



مخلاف عشم



منظر آخر من مخلاف عشم

انتهى ولله الحمد والفضل والمنة وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
والله الموفق

المراجع

- تاريخ عسير: علي احمد عيسى
- بين مكة واليمن : عاتق بن غيث البلادي
- تاريخ مكة : احمد السباعي
- الرحلة اليمانية : شرف بن عبد المحسن البركاتي
- صفحات من تاريخ عسير : د/ غيثان علي جريس
- سمط النجوم العوالي: العصامي
- البرق اليماني في الفتح العثماني – قطب الدين النهرواني
- شبه الجزيرة : خير الدين الزركلي
- قلب جزيرة العرب : فؤاد حمزة
- العقيليون في المخلاف السليماني وتهامة – احمد علي العقيلي
- معجم البلدان – ياقوت الحموي
- الشعر الشعبي في القنفذة – د/ حمزة احمد عامر الشريف
- أهل تهامة – أ.د/عبد الله أبو داهش .
- حوليات كلية الآداب/ جامعة الملك سعود/ المواقع الإسلامية المندثرة - وادي حلي : د/ احمد عمر الزيلعي
- ح- بنو سليمان – حكام المخلاف السليماني : د/ احمد عمر الزيلعي – حولية
- مجلة كلية الآداب/ بنو حرام حكام حلي : د/ احمد عمر الزيلعي – مجلة جامعية
- المنجد في اللغة _ ملحق الأدب والأعلام .
- رحلة ابن بطوطة : تحقيق طلال حرب
- دراسات في تاريخ العرب القديم - د/ محمد بيومي مهرات.
- تعليم القنفذة نقطة البداية ومسيرة التطور – بحث . جمع ياسين الجفري
- الحرب العالمية الأولى - بحث – الشبكة العالمية
- إسلام أون لاين – بحث – الشبكة العالمية
- عمر المختار – تحقيق بحثي – الشبكة العالمية
- الحملة المصرية على عسير- الشبكة العالمية
- رحلة في بلاد العرب – بحث مختصر – الشبكة العالمية
- الحالة السياسية للدولة العثمانية عشية غزو إيطاليا لليبيا . بحث- الشبكة العالمية
- العثمانيون وحكومة الأدراسة في عسير – د/ يوسف حسن العارف
- توثيق مصور – منتدى القنفذة الإلكتروني - انترنت – عبدا لرحمن حلواني . سعيد احمد باسندوة
- صحيفة القوز الالكترونية – الشبكة العنكبوتية – سلطان العقيلي

الفهرست

الفصل الثالث

الباب الأول: بين التبعية والأحداث

الباب الثاني: من بلاد عسير إلى صبيا

الفصل الرابع

الباب الأول: مرحلة النمو والازدهار

الباب الثاني: القنفذة بين الأمس واليوم

الباب الثالث: النشاط السكاني والمرافق الهامة و مواقع السياحة

الباب الرابع: أهم المعالم الأثرية في محافظة القنفذة

الفصل الخامس

بعض العادات والتقاليد التي كانت موجودة في محافظة القنفذة
ثم اختفت أو كادت تختفي

القنفـــذة

نشـأة وتاريـخ

تأليف

الشريف يحيى بن ابراهيم بن يحيى العجلاني

الطبعة الثانية

١٤٣١هـ ٢٠١٠م

فسح إعلامي

